إظهار الحق

الجزء الثاني

تأليف

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي

دار الجيل
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

في ابطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

القول الأول : في الآية الثالثة من الباب السابع عشر من انجيل يوحنا، قول عيسى عليه السلام في خطاب الله هكذا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدَك ويسوع المسيح الذي أرسلته ». فبيَّن عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي، وأن عيسى عليه السلام رسوله. وما قال[1] أن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي، وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إله مجسم. ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء، فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود. فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة، لبيَّنه. وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله واعتقاد الرسالة للمسيح، فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيِّناً البتة. والتوحيد الحقيقي ضدٌّ للتثليث الحقيقي، كما عرفت مفصلاً في الفصل الأول. وكون المسيح رسولا ضدٌّ لكونه إلهاً، لأن التغاير بين المرسَل والمرسِل ضروري. وهذه الحياة الأبدية توجد في أهل الإسلام بفضل الله، وأمّا غيرهم فالمجوس ومشركو الهند والصين محرومون

(١) ما : النافية. ينفي عن خطاب الله ان الحياة...

منها لانتفاء الاعتقادين فيهم. وأهل التثليث من المسيحيين محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الأول. واليهود كافة محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الثاني.

القول الثاني : في الباب الثاني عشر من انجيل مرقس هكذا : « ٢٨ فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل ؟ ٢٩ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ٣٠ وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ٣١ وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ٣٢ فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه ــ أي الله ــ واحد وليس آخر سواه ٣٣ ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح ٣٤ فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله ». وفي الباب الثاني والعشرين من انجيل متى، في قوله عليه السلام بعد بيان الحكمين المذكورين هكذا : « بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس والأنبياء ». فعلم أن أول الوصايا، الذي هو مصرح به في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء وهو الحق وهو سبب قرب الملكوت، أن يعتقد أن الله واحد ولا إله غيره. ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيِّناً في التوراة وجميع كتب الأنبياء، لأنه أول الوصايا، ولقال عيسى عليه السلام : أوّل الوصايا الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي. لكنه لم يُبيَّن في كتاب من كتب الأنبياء صراحة، ولم يقل عيسى عليه السلام هكذا، فلم يكن مدار النجاة. فثبت أن مدارها هو اعتقاد التوحيد الحقيقي، لا اعتقاد التثليث. وهوسات التثليثيين باستنباطه من بعض كتب الأنبياء لا يتمّ على المخالف، لأن هذا الاستنباط خفي جدا مردود بمقابلة النص. وغرض المخالف هذا أن اعتقاد التثليث لو كان له دخل ما في النجاة لبينه الأنبياء الإسرائيلية بيانا واضحاً، كما بينوا التوحيد في الباب الرابع من كتاب الاستثناء : « ٣٥ لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره ٣٩ فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره ». وفي الباب السادس من السفر المذكور : « ٤ اسمع يا اسرائيل

أن الرب الهنا فانه رب واحد ٥ حب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ». وفي الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعياء : « ٥ أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني ٦ ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر ». فالواجب على أهل المشرق والمغرب أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة. وفي الآية التاسعة من الباب السادس والأربعين من كتاب اشعياء: « إني أنا الله وليس غيري إلهاً وليس لي شبه »[1].

القول الثالث : في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل مرقس قول المسيح عليه السلام هكذا : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب ». وهذا القول ينادي على بطلان التثليث، لأن المسيح عليه السلام خصص علم القيامة بالله ونفى عن نفسه، كما نفى عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم في هذا. ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهاً. سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالانقلاب، فانه يقتضي أن يكون الأمر بالعكس، ولا أقل من أن يعلم الابن كما يعلم الأب. ولما لم يكن العلم من صفات الجسد، فلا يجري فيه عذرهم المشهور أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميته، فظهر أنه ليس إلهاً باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها.

القول الرابع : في الباب العشرين من انجيل متى هكذا : « تقدمت إليه أم ابني زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً ٢١ فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في

---

(١) حرّف صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ قول المسيح عليه السلام بتبديل ضمير المتكلم بضمير الخطاب وترجم هكذا (الرب الهك اله واحد). وضيع بهذا التحريف المقصود الأعظم، لأن ضمير المتكلم ههنا دالٌّ على أن عيسى ليس برب بل عبد مربوب بخلاف ضمير الخطاب.والظاهر أن هذا التحريف قصدي.

ملكوتك ٢٢ فأجاب يسوع الخ ٢٣ الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعِدَّ لهم من أبي ». انتهى ملخصاً. فنفى عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله، كما نفى عن نفسه علم الساعة وخصصه بالله، ولو كان الها لما صحح هذا.

القول الخامس : في الباب التاسع عشر من انجيل متى هكذا : « ١٦ واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ ١٧ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ». فهذا القول يقلع أصل التثليث، وما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصالح. أيضاً ولو كان الهاً لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يبيِّن لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة. وإذا لم يرض بقوله الصالح، فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم يا ربنا والهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك ؟ حاشا جنابه أن يرضى بها.

القول السادس : في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لما شبقتني ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ ٥٠ فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح ». وفي الآية السادسة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك استودع روحي ». وهذا القول ينفي ألوهية المسيح رأسا، سيما على مذهب القائلين بالحلول أو الانقلاب، لأنه لو كان إلها لما استغاث باله آخر بأن قال الهي الهي لماذا تركتني، ولما قال يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولامتنع العجز والموت عليه. الآية الثامنة والعشرون من الباب الأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « أما عرفت أو ما سمعت إلهٌ سرمديٌّ الربُّ الذي خلق أطراف الأرض، لن يضعف ولن يتعب وليس فحصاً عن حكمته ». والآية السادسة من الباب الرابع والأربعين من الكتاب المذكور هكذا : « هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه رب الجنود : أنا الأول وأنا الآخر وليس إله غيري ». والآية

العاشرة من الباب العاشر من كتاب ارمياء هكذا : « أما الرب هو اله حق هو اله حي وملك سرمدي » الخ. وفي الآية الثانية عشر من الباب الأول من كتاب حبقوق هكذا : « يا رب اله قدوسي ولا تموت ». وفي الآية السابعة عشر من الباب الأول من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « وملك الدهور الذي لا يفنى لا يرى الإله الحكيم وحده ». فكيف يعجز ويموت الذي هو إله سرمدي بريء من الضعف والتعب، حي قدوس لا يموت ولا إله غيره ؟ أيكون الفاني العاجز إلهاً ؟ حاشا وكلا. بل الإله الحقيقي هو الذي كان عيسى عليه السلام يستغيث به في هذا الوقت على زعمهم والعجب أنهم لا يكتفون بموت الإله، بل يعتقدون أنه بعدما مات دخل جهنم أيضاً. نقل جواد بن ساباط هذه العقيدة من كتاب الصلاة المطبوع سنة ١٥٠٦ هكذا : « كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن، فكذا لا بدّ أن نعتقد أنه دخل جهنم ». انتهى. وفيلبس كوادنولس الراهب كتب في ردّ رسالة أحمد الشريف بن زين العابدين الاصفهاني كتابا بلسان العرب سماه بخيالات فيلبس، وطبع هذا الكتاب سنة ١٦٦٩ في الرومية الكبرى في بسلوقيت ــ وحصلت لي بطريق العارية نسخة قديمة من هذا الكتاب من كتبجانة انكليز في بلدة دهلي ــ فكتب الراهب المسطور في كتابه المذكور هكذا : « الذي تألم لخلاصنا وهبط الى الجحيم تمّ في اليوم الثالث قام من بين الأموات ». انتهى. وفي پريئر بوك في بيان عقيدة اتهانييش التي تؤمن بها المسيحيون لفظ (هل)[1] موجود ومعناه الجحيم. وقال جواد بن ساباط ان القسيس مارطيروس قال لي في توجيه هذه العقيدة ان المسيح لما قبل الجسم الإنساني، فلا بدّ عليه أن يتحمّل جميع العوارض الإنسانية، فدخل جهنم وعذب أيضاً، ولما خرج من جهنم أخرج منها كل مَنْ كان معذباً فيها قبل دخوله. فسألته هل لهذه العقيدة دليل نقلي ؟ قال انها غير محتاجة الى الدليل. فقال رجل مسيحي من أهل ذلك المحفل على وجه الظرافة : إن الأب كان قاسي القلب، وإلّا لما ترك الابن في الجحيم. فغضب القسيس وطرده من المحفل، فجاء هذا الرجل

(١) أي : الجحيم. وهي لفظة انكليزية Hell.

عندي وأسلم، لكن أخذ العهد مني أن لا أظهر حال إسلامه ما دام حيا. ودخل يوسف ولف في بلدة لكهنو سنة ١٢٤٨ من الهجرة وسنة ١٨٣٣ من الميلاد وكان من القسيسين المشهورين، وكان يدَّعي الإلهام لنفسه، وكان يدَّعي أن نزول المسيح يكون في سنة ١٨٤٧ من الميلاد. وقعت المناظرة فيما بينه وبين مجتهد الشيعة تحريراً وتقريراً في هذا الباب. فسأله مجتهد الشيعة عن هذه العقيدة أيضاً، فقال: نعم دخل المسيح الجحيم وعُذِّب لكن لا بأس فيه، لأن هذا الدخول كان لنجاة أمته. وبعض فرقهم يعتقدونها بأشنع حالة. قال بل في تاريخه في بيان فرقة مارسيوني: « هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام بعدما مات دخل جهنم ونجى أرواح قابيل وأهل سدوم لأنهم حضروا عنده وكانوا غير مطيعين لإله خالق الشر، وأبقى أرواح هابيل ونوح وابراهيم والصلحاء الآخرين من القدماء في جهنم لأنهم خالفوا الفرقة الأولى — وهذه الفرقة كانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى، ولذلك ما كانت تسلم كون كتب العهد العتيق الهامية —» انتهى. فكانت عقيدة هذه الفرقة مشتملة على أمور: /١/ جميع الأرواح سواء كانت أرواح الأنبياء والصلحاء أو الأشقياء كانت معذبة في جهنم قبل دخول عيسى عليه السلام. /٢/ ان عيسى عليه السلام دخل جهنم. /٣/ ان عيسى عليه السلام نجى أرواح الأشقياء من العذاب وأبقى أرواح الأنبياء والصلحاء فيه /٤/ أن هؤلاء الصلحاء مخالفون لعيسى والأشقياء موافقون له /٥/ أن خالق العالم إلهان: خالق الخير وخالق الشر. وعيسى عليه السلام رسول الأول، والأنبياء الآخرون المشهورون رسل الثاني /٦/ كتب العهد العتيق ليست الهامية. وقال صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بحل الاشكال في جواب كشف الاستار هكذا: « الحق أنه توجد في العقيدة المسيحية أن المسيح دخل جهنم وقام في اليوم الثالث وعرَّج الى السماء ولكن المراد ههنا من جهنم هاوس[1] وهو موضع ما بين جهنم والفلك الأصلي، والمعنى أنه دخل هاوس ليرى أهله جلالَهُ وينبههم على أني مالك

(١) House. ربما نقل المؤلف اللفظة من الانكليزية كما هي.

الحياة وأني أُعطيت كفارة الذنوب بالموت الصليبي وجعلت الشيطان وجهنم مغلوبين وللمؤمنين كالمعدومين ». انتهى ملخصاً.

أقول أولاً، ثبت من ظاهر كتاب الصلاة وكلام فيلبس كوادلونس، وثبت صراحة من إقرار مارطيروس ويوسف ولف، ومن عقيدة اتهاني سيش أن جهنم على معناه واعترف هو أيضاً أنه يوجد هذا في العقيدة. ثم أوّل فتأويله بدون الدليل لا يقبل، ولا بدّ عليه أن يثبت من كتبه أن ما بين جهنم والفلك الأصلي مكان يسمى بهاوس، ثم يثبت من هذه الكتب أن دخول المسيح في جهنم كان لأجل الإراءة والتنبيه المذكورين. على أنه لا وجود للافلاك عند حكماء أوروبا علماء يروتستنت من المتأخرين يتابعونهم في هذا الرأي، فكيف يصحح هذا التوجيه على زعمهم ؟ **ثم أقول ثانياً**، إن هذا الهاوس محل السرور والثواب أو محل المحن والعقاب. فإن كان الأول، فلا حاجة الى تنبيه أهله لأنهم كانوا قبل هذا في سرور وعيشة راضية. وإن كان الثاني، فلا فائدة في التأويل لأن جهنم الأرواح لا يكون إلا محلّ عذابها. **ثم أقول ثالثا**، إن كون الموت الصليبي كفارة الذنب غير معقول يقيناً، لأن المراد بهذا الذنب، على زعمهم، الذنبُ الأصلي الذي صدر عن آدم عليه السلام، لا الذنب الذي يصدر عن أولاده. ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي، لأن الأبناء لا يؤاخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس، بل هو خلاف العدل. الآية العشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي تخطىء فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه. **ثم أقول رابعاً**، ما معنى جعل الشيطان مغلوباً بالموت لأنه على حكم انجيلهم مقيد بقيود أبدية قبل ميلاد عيسى عليه السلام ؟ الآية السادسة من رسالة يهودا هكذا : « والملائكة الذي لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام ». ثم العجب أنهم لا يكتفون بموت الههم المزعوم ودخوله جهنم، بل يزيدون عليهما أنه صار ملعوناً أيضاً، والعياذ بالله، وملعونيته مسلمة عند المسيحيين، ويسلمها صاحب ميزان الحق أيضاً بكمال

رضا الخاطر ويصرح بها في كتبه، وصرح بها مقدسهم بولس أيضا. الآية الثالثة عشر من الباب الثالث من رسالته الى أهل غلاطية هكذا : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة ». وعندنا اطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جدا، بل لاعِنُ الله واجبُ الرجم بحكم التوراة، ورُجِمَ واحدٌ على هذا الخطأ في عهد موسى عليه السلام، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر الأخبار، بل لاعن الأبوين أيضاً واجب القتل، فضلا عن لاعن الله، كما هو مصرح في الباب العشرين من السفر المذكور.

القول السابع : في الآية السابعة عشر من الباب العشرين من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام في خطاب مريم المجدلية هكذا : « لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد الى أبي، ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ». فسوَّى بينه وبين الناس في هذا القول (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) لكيلا يتقوّلوا عليه الباطل، فيقولوا انه إله أو إبن إله. فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة بل المعنى المجازي، فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة. ولما كان هذا القول بعدما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل العروج بقليل، ثبت أنه كان يصرح بأني عبد الله الى زمان العروج. وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد ﴿ **ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾[1].

القول الثامن : في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام هكذا : « ان أبي أعظم مني ». ففيه أيضاً نفيٌ لألوهيته، لأن الله ليس كمثله شيء فضلا عن أن يكون أعظم منه.

القول التاسع : في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام هكذا : « الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل

---

(١) سورة المائدة (١١٧).

للآب الذي أرسلني ». ففيه أيضاً تصريح بالرسالة، وبأن الكلام الذي تسمعونه وحيٌ من جانب الله.

القول العاشر : في الباب الثالث والعشرين من انجيل متى قول المسيح عليه السلام في خطاب تلاميذه هكذا : « ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحدٌ الذي في السموات ١٠ ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح ». فهنا أيضا صرح بأن الله واحد وأني معلمٌ لكم.

القول الحادي عشر : في الباب السادس والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٣٦ حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جشيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك ٣٧ ثم أخذ معه بطرس وابني زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ٣٨ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ليس كما أريد بل كما تريد أنت ٤٠ ثم جاء الى التلاميذ الخ. ٤٢ فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلا يا أبتاه إن لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس الا أشربها فلتكن مشيئتك ٤٣ ثم جاء الخ ٤٤ فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ». فاقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارات، تدلّ على عبوديته ونفى ألوهيته. أيحزن ويكتئب الإله، ويموت ويصلي لإله آخر، ويدعو بغاية التضرع ؟ لا والله. ولما جاء جنابه الشريف الى العالم وتجسد ليخلص العالم بدمه الكريم من عذاب الجحيم، فما معنى الحزن والاكتئاب وما معنى الدعاء بأن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ؟

القول الثاني عشر : كان من عادته الشريفة أنه إذا عبر عن نفسه كان يعبر بابن الانسان غالبا، كما لا يخفى على ناظر هذا الانجيل المروج أيضاً مثلا في الآية ٢٠ باب ٨، و٦ باب ٩، و١٣ و٢٧ باب ١٦، و٩ و١٢ و٢٢ باب ١٧، و١١ باب ١٨، و٢٨ باب ١٩، و١٨ و٢٨ باب ٢٠، و٢٧ باب ٢٤ و٢٤ و٤٥ و٦٤ باب ٢٦ من انجيل متى، وهكذا في غيره وظاهر أن ابن الانسان لا يكون إلا انسانا.

الفصل الثالث

[في إبطال ألوهيّة المسيح]

قد عرفتَ في الأمر الخامس من المقدمة أن كلام يوحنا مملوء من المجاز قلّما تجد فقرة لا تحتاج الى التأويل. وقد عرفتَ في الأمر السادس، أن الإجمال يوجد كثيرا في أقوال المسيح عليه السلام، بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه. وقد عرفت في الأمر الثاني عشر أن عيسى عليه السلام ما بيَّن ألوهيته الى العروج ببيان لا يبقى فيه شبهة ويُفهم منه صراحة هذا المعنى. فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبا مجملة منقولة عن انجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام، بعضها لا يدلّ بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم، فاستنباط الألوهية منها مجرد زعمهم. وهذا الاستنباط والزعم ليسا بمعتدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية، كما عرفت في الفصلين المذكورين. وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى ومن بعض مواضع الانجيل، ففيها أيضا لا اعتبار لرأيهم. وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أيضا، فإذا وجب التأويل فنقول لا بدّ أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأنَّى لهم ذلك، فلا حاجة الى نقل الكل، بل أنقل الأكثر ليتضح منه للناظر حال استدلالهم ويقيس الباقي عليه.

الأول، من اطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام، أقول هذا الدليل

في غاية الضعف بوجهين : أما أولا، فلأن هذا الإطلاق معارض باطلاق ابن الانسان، كما عرفت، وباطلاق ابن داود. فلا بدّ من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال. وأما ثانيا، فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا. فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح. وقد عُلم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح. الآية التاسعة والثلاثون من الباب الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا : « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الانسان ابن الله ». ونقل لوقا قول القائد في الآية السابعة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من انجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الانسان باراً ». ففي انجيل مرقس لفظ ابن الله وفي انجيل لوقا بدله لفظ البار واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضا، كما استعمل مثل ابن ابليس في حق الطالح في الباب الخامس من انجيل متى هكذا : « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون ٤٤ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسبونكم ٤٥ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات » فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح وعلى العاملين بالأعمال المذكورة لفظ أبناء الله وعلى الله لفظ الآب بالنسبة اليهم. وفي الباب الثامن من انجيل يوحنا في المكالمة التي وقعت بين اليهود والمسيح هكذا : « ٤١ أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني الخ ٤٤ أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذب ». فاليهود ادَّعوا أن لنا أبا واحدا وهو الله، وقال المسيح عليه السلام لا بل أبوكم الشيطان. وظاهر أن الله والشيطان ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقي. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي، فغرض اليهود نحن صالحون ومطيعون لأمر الله، وغرض المسيح عليه السلام أنكم لستم كذلك بل أنتم

طالحون مطيعون للشيطان. وفي الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « ٩ كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس الخ. وفي الآية السابعة من الباب الرابع من الرسالة المذكورة « وكل من يحب فقد ولد من الله ». وفي الباب الخامس من الرسالة المذكورة « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب الوالد يحب المولود منه أيضا ٢ بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه ». والآية الرابعة عشر من الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا : « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ». وفي الباب الثاني من رسالة بولس الى أهل فيلبس هكذا : « افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة ١٥ لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب ». ودلالة هذه الأقوال، على ما قلت، غير خفية وإذا لم يفهم من اطلاق لفظ الله ومثله الألوهية، كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة، فكيف يفهم من لفظ ابن الله ومثله ؟ سيما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهد العتيق والجديد، كما عرفت في المقدمة، وسيما إذا لاحظنا أن استعمال الأب والابن في كتب العهدين جاء في المواضع الغير المحصورة. وأنقل بعضها بطريق الانموذج :

١ ـــ قال لوقا في الباب الثالث من انجيله في بيان نسب المسيح عليه السلام انه ابن يوسف وآدم ابن الله. وظاهر أن آدم عليه السلام ليس ابناً لله بالمعنى الحقيقي ولا إلهاً. لكن لما ولد بلا أبوين نسبه الى الله. ولله درُّ لوقا، لقد أجاد ههنا لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولودا بلا أب فقط نسبه الى الله.

٢ ـــ في الباب الرابع من سفر الخروج قول الله هكذا : « ٢٢ وتقول له هذا ما يقول الرب لبني بكري اسرائيل ٢٣ فقلت له أطلق ابني ليعبدني وان أَبَيْتَ أن تطلقه هوذا أنا سأقتل ابنك بكرك ». فأطلق على اسرائيل لفظ ابن الله في الموضعين، بل أطلق عليه لفظ الابن البكر.

٣ ــ في الزبور الثامن والثمانين قول داود عليه السلام في خطاب الله هكذا : « ١٩ حينئذ كلمت نبيك بالوحي وقلت اني وضعت عوناً على القوي ورفعت منتخبا من شعبي ٢٠ وجدت داود عبدي فمسحته بدهن قدسي ٢٦ هو يدعوني أنت أبي وإلهي وناصر خلاصي ٢٧ وأنا أيضا أجعله بكراً أعلى من كل ملوك الأرض ». فأطلق على الله لفظ الأب، وعلى داود لفظ القوي والمنتخب والمسيح وابن الله البكر وأعلى من كل ملوك الأرض.

٤ ــ الآية التاسعة من الباب الحادي والثلاثين من كتاب أرمياء قول الله هكذا : « إني صرت أباً لاسرائيل وافرام هو بكري » فاطلق على افرام لفظ ابن الله البكر. فلو كان اطلاق مثل هذه الألفاظ موجباً للألوهية لكان اسرائيل وداود وافرام احقاء بالألوهية، لأن الابن البكر أحق بالإكرام من غيره بحسب الشرائع السابقة وبحسب الرواج العام أيضا. وإن قالوا جاء في حق عيسى عليه السلام لفظ الابن الوحيد، قلنا ان الوحيد لا يمكن أن يكون بمعناه لان الله أثبت له اخوة كثيرين، وقال في حق الثلاثة منهم لفظ الابن البكر، بل لا بدّ أن يكون بالمعنى المجازي مثل الابن.

٥ ــ في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني قول الله تعالى في حق سليمان هكذا : « وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً ». فلو كان اطلاق هذا اللفظ سبباً للألوهية لكان سليمان عليه السلام أحق من المسيح عليه السلام لسبقه وكونه من آباء المسيح عليه السلام.

٦ ــ في الآية الأولى من الباب الرابع عشر، والآية التاسعة عشر من الباب الثاني والثلاثين من كتاب الاستثناء، والآية الثانية من الباب الأول والآية الأولى من الباب الثلاثين والآية الثامنة من الباب الثالث والستين من كتاب أشعيا، والآية العاشرة من الباب الأول من كتاب هوشع، جاء إطلاق ابناء الله على جميع بني اسرائيل.

٧ ــ في الآية السادسة عشر من الباب الثالث والستين من كتاب أشعيا، قول أشعيا في خطاب الله هكذا : « فانك أنت أبونا وابراهيم لم يعرفنا واسرائيل جهلنا. أنت يا رب أبونا فخلصنا من الدهر اسمك ». الآية الثامنة من

الباب الرابع والستين من الكتاب المذكور هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا » الخ. فصرح أشعيا عليه السلام في حقه وحق غيره من بني اسرائيل بأن الله أبونا.

٨ ــ الآية السابعة من الباب الثامن والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « إذا كان تسبح لي نجوم الصبح جميعا ويفرحون جميع بني الله ».

٩ ــ قد عرفتَ في صدر الجواب أنه جاء اطلاق ابناء الله على الصالحين وعلى المؤمنين بالمسيح وعلى المحبين وعلى المطيعين لأمر الله وعلى العاملين بالأعمال الحسنة.

١٠ ــ الآية الخامسة من الزبور السابع والستين هكذا : « ابو اليتامى وحاكم الأرامل الله في موضع قدسه ». فأطلق على الله لفظ أبي اليتامى.

١١ ــ في الباب السادس من سفر الخليقة هكذا : « ٢ فرأى بنو الله بنات الناس انهن حسنات واتخذوا لهم نساء من كل ما اختاروا ٤ فاما الجبابرة كانوا في تلك الأيام على الأرض لأن من بعد ما دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن فهؤلاء هم أقوياء منذ الدهر مشهورون ». والمراد بأبناء الله بنو الأشراف وببنات الناس بنات العامة، ولذا ترجم مترجم الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ الآية الأولى هكذا : « رأى بنو الأشراف بنات العامة حسانا فاتخذوا لهم نساء ». فجاء إطلاق أبناء الله على أبناء الأشراف مطلقا، وفُهم منه صحة إطلاق الله على الشريف أيضا.

١٢ ــ جاء في المواضع الكثيرة من الانجيل إطلاق لفظ أبيكم على الله في خطاب التلاميذ وغيرهم.

١٣ ــ قد يُضاف لفظ الابن والأب الى شيء له مناسبة ما بمعناهما، الحقيقي كاطلاق أبي الكذب على الشيطان كما عرفت، وكاطلاق أبناء جهنم وأولاد أورشليم على اليهود في كلام المسيح عليه السلام في الباب الثالث والعشرين من انجيل متى. وجاء اطلاق ابناء الدهر على أهل الدنيا. وجاء إطلاق أبناء الله وأبناء القيامة على أهل الجنة في قول المسيح عليه السلام في الباب العشرين من لوقا. وفي الآية الخامسة من الباب الخامس من الرسالة

الأولى الى أهل تسالونيقي جاء اطلاق أبناء النور وأبناء النهار على أهل تسالونيقي.

الثاني :[1] في الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من انجيل يوحنا هكذا : « فقال لهم أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم ». يعني أني إله نزلت من السماء وتجسمت. **أقول** : لما كان هذا القول مخالفاً للظاهر لأن عيسى عليه السلام كان من هذا العالم، فأوّلوا بهذا التأويل، وهو غير صحيح بوجهين : **الأول**، أنه مخالف للبراهين العقلية والنصوص. **والثاني**، أن عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضا في الآية التاسعة عشر من الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن انكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم »، وفي الباب السابع من انجيل يوحنا هكذا : « ١٤ لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم ١٦ ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم ». فقال في حق تلاميذه أنهم ليسوا من العالم وسوّى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم. فلو كان هذا مستلزماً للألوهية، كما زعموا، لَزَمَ أن يكونوا كلهم آلهة، والعياذ بالله. بل التأويل الصحيح أنتم طالبوا الدنيا الدنية وأنا لست كذلك بل طالب الآخرة ورضاء الله، وهذا المجاز شائع في الألسنة. يقال للزهاد والصلحاء أنهم ليسوا من الدنيا.

الثالث :[1] في الآية الثلاثين من الباب العاشر من انجيل يوحنا هكذا : « أنا والاب واحد ». فهذا يدلّ على اتحاد المسيح بالله. أقول هذا الاستدلال غير صحيح بوجهين : **الأول**، إن المسيح عليه السلام عندهم أيضا انسان ذو نفس ناطقة، وليس بمتحد بهذا الاعتبار، فيحتاجون الى التأويل. فيقولون كما أنه انسان كامل فكذلك إله كامل. فبالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني

---

(١) يتابع المؤلّف هنا براهين وجوب التأويل وصولاً إلى إبطال ألوهيّة المسيح، تلك البراهين التي بدأها مع بداية الفصل الثالث هذا ص ١٥.

متحد. وقد عرفتَ أن هذا التأويل باطل. **والثاني**، أن مثل هذا وقع في حق الحواريين في الباب السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا: « ٢١ ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني ٢٢ وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ٢٣ أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين الى واحد » فقوله (ليكون الجميع واحداً) وقوله (ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد) وقوله (ليكونوا مكملين الى واحد) تدل على اتحادهم. وسوَّى في القول الثاني بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم. وظاهر أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقياً، فكذا اتحاده بالله. بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن اطاعة أحكامه والعمل بالاعمال الصالحة. وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوية الاقدام، وإنما الفرق باعتبار القوّة والضعف. فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشدّ وأقوى من اتحاد غيره. والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول يوحنا في الباب الأول من رسالته الأولى وهو هكذا: « ٥ وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة ٦ إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق ٧ ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ». والآية السادسة والسابعة في التراجم الفارسية هكذا (اكـر كوييم كه باوى متحديم ودر ظلمت رفتار نماييم در وغكوييم ودر راستى عمل نتماييم) ٧ (واكر در روشنائى رفتار نماييم جنانجه اودر روشنائى مى باشد بايكد يكر متحد هستيم) فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد فعُلم أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما قلنا.

الرابع: في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا: « ٩ الذي رآني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الاب ١٠ ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيَّ. الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال » فقوله (الذي رآني فقد رأى الأب) وقوله (أنا في الأب والأب فيَّ) وقوله (الأب الحال فيَّ) دالة على اتحاد المسيح بالله. وهذا الاستدلال أيضا ضعيف بوجهين: **أما الأول**، فلأن رؤية الله في

الدنيا ممتنعة عندهم، كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة، فيؤلونها بالمعرفة. ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضا لا تفيد الاتحاد، فيقولون ان المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية. والحلول الذي وقع في القول الثاني والثالث واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث، فيقولون ان المراد به الاتحاد الباطني. فبعد هذه التأويلات يقولون انه لما كان انسانا كاملا وإلها كاملا صح أقواله الثلاثة بالاعتبار الثاني. وقد عرفتَ مرارا أنه باطل، لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص. **وأما الثاني**، فلأن الآية العشرين من الباب المذكور هكذا : « في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ واني فيكم ». وقد عرفتَ في جواب الدليل الثالث أن المسيح قال في حق الحواريين : « أنا فيهم وأنت فيَّ ». وبديهي أن حالَ الحال حالٌّ في محل الحال. والآية التاسعة عشر من الباب السادس من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس هكذا : « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم ». والآية السادسة عشر من الباب السادس من الرسالة الثانية الى قورنثيوس هكذا : « وآية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحيّ » الخ. والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة الى أهل أفسس هكذا : « إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم ». فلو كان الحلول مشعراً بالاتحاد ومثبتا للألوهية لزم أن يكون الحواريون، بل جميع أهل قورنيثوس، وكذا جميع أهل أفسس، آلهة. بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى كان يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبا من أقربائه. فالأمر المنسوب الى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب الى الأعلى مجازا. ولذلك قال المسيح عليه السلام في حق الحواريين «من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني»، كما وقع في الآية الأربعين من الباب العاشر من انجيل متى. وقال في حق الولد الصغير « من قبل هذا الولد باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني » كما هو مصرح في الآية الثامنة والأربعين من الباب التاسع من انجيل لوقا. وقال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين الى البلاد « الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني » كما هو

مصرح في الآية السادسة عشر من الباب العاشر من انجيل لوقا. وهكذا وقع في حق أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في الباب الخامس والعشرين من انجيل متى. ولذلك قال الله على لسان ارمياء « اكلني ابتلعني بختنصر ملك بابل وجعلني كإناء فارغ كتنين ملأ بطنه من رخصتي وطردني » كما هو مصرح في الباب الحادي والخمسين من كتاب ارمياء. ومثل هذا وقع في القرآن المجيد أيضاً : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**... ﴾[1] وقال مولانا المعنوي قدس سره في مثنويه :

كرتوخوا هي همنشيتي باخدا * رونشين تودر حضور اوليا

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله. وأما حلول الغير في الله، أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح، أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن اطاعة أمرهما. في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا ». وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته **فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب**. وهذا الاستدلال ضعيف جدا، لأن العالم حادث بأسره، وما مضى على حدوثه الى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم. فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أمّ. وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الأمر سبباً للألوهية ؟ ولو نظرنا الى نوع الانسان فآدم عليه السلام يفوق عليه، وكذلك ملكي صادوق الكاهن الذي هو معاصر ابراهيم عليه السلام. في الآية الثالثة من الباب السابع من الرسالة العبرانية حاله هكذا : « بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة ». فيفوق المسيح في كونه بلا أم، وفي كونه لا بداية له. **ويستدلون تارة بمعجزاته**. وهذا أيضا ضعيف، لأن من أعظم معجزاته احياء الموتى. فمع قطع النظر عن ثبوته وعن أنه يفهم من هذا

---

(١) سورة الفتح (١٠).

الانجيل المتعارف تكذيبه، أقول ان عيسى عليه السلام، يحسب هذا الإنجيل، ما أحيا الى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص، كما عرفت في الباب الأول. وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفا، كما هو مصرح في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون الها. وأحيا ايلياء عليه السلام أيضا ميتا، كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول. وأحيا اليشع عليه السلام أيضا ميتا، كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليشع بعد موته : أن ميتاً أُلقي في قبره فحيي باذن الله، كما هو مصرح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه، كما هو مصرح في الباب الخامس من السفر المذكور. وقد يتمسكون ببعض آيات كتب العهد العتيق وببعض أقوال الحواريين.

وإني قد نقلت هذه التمسكات مع أجوبتها في كتاب إزالة الأوهام. فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع اليه. وتركت ذكرها في هذا الكتاب لأن التمسكات الأولية ضعيفة جدا ومع قطع النظر عن الضعف لا يثبت منها الألوهية، على زعمهم أيضا، ما لم يعترف أن المسيح انسان كامل وإله كامل. وهذا التأويل باطل، كما عرفت مرارا. والتمسكات الثانوية حالها كحال التمسكات بالأحوال المسيحية غالبا فيعامل بها معاملة أقوال المسيح من الحالات الثلاثة، كما عرفت في صدر هذا الفصل. ولو فرضنا أن بعض القول منهم نص على هذا الأمر، فيحمل على أنه بحسب اجتهادهم. وقد عرفت في الباب الأول أن جميع تحريراتهم ليست بالإلهام، وأنه قد وقع منهم الأغلاط والاختلافات والتناقض يقيناً. وقول مقدسهم بولس غير مسلم عندنا لأنه ليس بحواري ولا واجب التسليم عندنا، بل لا نسلم وثاقته. واعلم، أرشدك الله تعالى، إنما نقلت الأقوال المسيحية وأولتها لأجل إتمام الإلزام وإثبات أن تمسكهم بها ضعيف. وكذا ما قلت في أقوال الحواريين إنما هو على تقدير تسليم أنها أقوالهم، ولا يثبت عندنا أنها أقوال المسيح عليه السلام والحواريين لأجل فقدان اسناد هذه الكتب، كما عرفت في الباب الأول، ولأجل وقوع التحريف فيها عموما وفي هذه المسئلة خصوصا أيضا، كما عرفت في الباب الثاني أن عادتهم في مثل هذه الأمور كانت كذلك. وعقيدتي أن المسيح

والحواريين كانوا برآء من هذه العقيدة الكفرية يقيناً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وان عيسى عبدالله ورسوله، وأن الحواريين رسل رسول الله.

ووقعت بين الإمام الهمام الفخر الرازي عليه الرحمة وبين بعض القسيسين مناظرة بخوارزم. ولما كان نقلها لا يخلو من فائدة، فانقلها. قال قدس سره في المجلد الثاني من تفسيره في سورة آل عمران تحت تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ**... ﴾. الآية[1].

« اتفق أني حين كنت بخوارزم، أُخبرت أنه جاء نصراني يدَّعي التحقيق والتعمق في مذهبهم. فذهبت اليه، وشرعنا في الحديث. فقال لي : ما الدليل على نبوّة محمد ﷺ ؟ فقلت له : كما نقل الينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل الينا ظهور الخوارق على يد محمد ﷺ. فإن رددنا التواتر أو قبلناه لكنَّا قلنا ان المعجزة لا تدل على الصدق. فحينئذ بطلت نبوّة سائر الأنبياء عليهم السلام. وإن اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم أنهما حاصلان في حق محمد ﷺ، وَجَبَ الاعتراف قطعا بنبوة محمد عليه السلام ضرورة. إذ عند الاستواء في الدليل لا بدّ من الاستواء في حصول المدلول. فقال النصراني : لا أقول في عيسى عليه السلام انه كان نبياً، بل أقول انه كان الها. فقلت له : الكلام في النبوّة لا بدّ وأن يكون مسبوقا بمعرفة الإله، وهذا الذي تقوله باطل، ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا. وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وُجد بعد أن كان معدوما، وقتل بعد أن كان حيا على قولكم، وكان طفلا أولا، ثم صار مترعرعاً، ثم صار شابا، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ. وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنيا والممكن لا يكون واجبا والمتغير لا

---

(١) سورة آل عمران (٦١).

يكون دائماً[١]. **والوجه الثاني**، في ابطال هذه المقالة، أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيّاً على الخشبة وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد. فإن كان إلهاً أو كان الإله حالا فيه أو كان جزء من الإله حالا فيه، فَلِمَ لم يدفعهم عن نفسه، وَلِمَ لم يهلكهم بالكلية ؟ وأي حاجة به الى اظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم ؟ وبالله إنني لأتعجب جدا أن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ويعتقد صحته فتكاد أن تكون بداهة العقل شاهدة بفساده. **والوجه الثالث**، وهو أنه إما أن يقال بأن الإلٰه هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكليته، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه. والأقسام الثلاثة باطلة. أما الأول فلأن إله العالم، لو كان هو الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولا بأن اليهود قتلوا اله العالم. فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله ؟ ثم ان أشدّ الناس ذلاً ودناءةً اليهود، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز. وأما الثاني، وهو أن الإله بكليته حلّ في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد. لأن الإله، إن لم يكن جسماً ولا عرضاً، امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسما فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضا كان محتاجاً الى المحل، وكان الإله محتاجا الى غيره وكل ذلك سخيف. وأما الثالث وهو أنه حلّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه، فذلك أيضا محال. لأن ذلك الجزء، إن كان معتبرا في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله. فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً. **الوجه الرابع**، في بطلان قول النصارى، ما ثبت بالتواتر من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلها لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه. فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم.

---

(١) ... وهو الوجه الأول في إبطال هذه المقالة.

« ثم قلت للنصراني : وما الذي دلَّكَ على كونه إلهاً ؟ فقال : الذي دلّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله تعالى. فقلت له : هل تسلم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا ؟ فإن لم تسلم، لزمك من نَفَى العالم في الأزل نَفَى الصانع. وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول لما جوزت حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فكيف عرفت أن الإله ما حلّ بدني وبدنك وفي بدن كل حيوان ونبات وجماد ؟ فقال : الفرق ظاهر، وذلك لأني إنما حكمت ذلك الحلول لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا. فقلت له : تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولي أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام. فعدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل. فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك بل وفي حق الكلب والسنور والفأر. ثم قلت أن مذهبا يؤدي القول به الى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة. [ثم] إن قلب العصا حية أبعدُ في العقل من إعادة الميت حيا لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان. فإذا لم يوجب قلب العصا حية، كون موسى عليه السلام إلهاً وابنا للإله، فبأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية، كان ذلك أولى. وعند هذا انقطع النصراني، ولم يبق له كلام. والله أعلم ». انتهى كلامه بعبارته الشريفة.

الباب الخامس

في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزا، ورفع شبهات القسيسين.
وضممت الى مبحث القرآن مبحث اثبات صحة الأحاديث النبوية
المروية في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة.
وجعلت هذا الباب مشتملا على أربعة فصول.

الفصل الأول

[في إثبات أن القرآن كلام الله]

الأمور التي تدلّ على أن القرآن كلام الله كثيرة أكتفي منها على اثني عشر أمراً على عدد حواري المسيح، وأترك الباقي. مثل أن يقال أن الخائب المخالف وقت بيان أمر من الأمور الدنيوية والدينية أيضا، يكون ملحوظاً في القرآن، وأن بيان كل شيء، ترغيباً كان أو ترهيباً، رأفة كان أو عتاباً، يكون على درجة الاعتدال لا بالإفراط ولا بالتفريط. وهذان الأمران لا يوجدان في كلام الإنسان لأنه يتكلم في بيان كلِّ حال بما يناسب ذلك الحال، فلا يلاحظ في العتاب حال الذين هم قابلون للرأفة وبالعكس، ولا يلاحظ عند ذكر الدنيا حال الآخرة وبالعكس، ويقول في الغضب زائداً على الخطأ وهكذا أمور أخر.

الأمر الأول : كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيبهم، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم. وهي عبارة عن التعبير باللفظ المعجب عن المعنى المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام بلا زيادة ولا نقصان في البيان والدلالة عليه. وعلى هذا، كلما ازداد شرف الألفاظ ورونق المعاني ومطابقة الدلالة، كان الكلام أبلغ. وتدل على كونه في هذه الدرجة وجوه :

أولها : أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات، مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة. وكذا فصاحة العجم، سواء كانوا شاعرين أو كاتبين، أكثرها في أمثال هذه الأشياء، ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جدا، لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة اليها. وظهر من الزمان القديم في كل وقت وفي كل اقليم — من شاعر أو كاتب — مضمون جديد ونكتة لطيفة في بيان شيء من هذه الأشياء المذكورة، ويكون المتأخر المتتبع واقفا على تدقيقات المتقدم غالبا. فلو كان الرجل سليم الذهن وتوجه الى تحصيل ملكة في وصفها يحصل له بعد الممارسة والاشتغال ملكة البيان في وصف شيء من هذه الأشياء على قدر سلامة فكره وجودة ذهنه. وليس القرآن في بيان خصوص هذه الأشياء، فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت عليها العرب في كلامهم.

ثانيها : أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدقة وتنزه عن الكذب في جميعه. وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيدا. ولذلك قيل : أحسن الشعر أكذبه. وترى أن لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت، رضي الله عنهما، لما أسلما نزل شعرهما، ولم يكن شعرهما الإسلامي كشعرهما الجاهلي. والقرآن جاء فصيحاً مع التنزُّه عن الكذب والمجازفة.

ثالثها : أن الكلام الفصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين والباقي لا يكون كذلك، بخلاف القرآن. فإنه، مع طوله، فصيح كله، بحيث يعجز الخلق عنه. ومن تأمل في قصة يوسف عليه السلام، عرف أنها مع طولها وقعت على الدرجة العالية من البلاغة.

رابعها : أن الشاعر أو الكاتب إذا كرّر مضموناً أو قصة لا يكون كلامه الثاني مثل الأول. وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت العبارة ايجازاً واطناباً وتفنناً في بيانها غيبةً وخطاباً. ومع ذلك، كل واحد منها في نهاية الفصاحة، ولم يظهر التفاوت أصلا.

خامسها : انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة، وأمثال هذه الأمور توجب تقليل الفصاحة. ولذلك إذا قيل لشاعر فصيح أو كاتب بليغ أن يكتب تسعة أو عشرة من مسائل الفقه أو العقائد في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة، فانه، ولا بُدَّ، يعجز في ذلك.

سادسها : إن كل شاعر يحسن كلامه في فن فانه يضعف كلامه في غير ذلك الفن. كما قالوا في شعراء العرب ان شعر امرىء القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الخوف، وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء. وقالوا في شعراء فارس ان النظامي والفردوسي وحيدان في بيان الحرب، والسعدي فريد في الغزل، والأنوري في القصائد. والقرآن جاء فصيحا على غاية الفصاحة في كل فن ترغيباً كان أو ترهيباً زجراً أو وعظاً أو غيرها. وأورد ههنا بطريق الأنموذج من كل فن آية آية : ففي الترغيب قوله : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾[1] وفي الترغيب قوله : ﴿ **وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ** ﴾[2] وفي الزجر والتوبيخ قوله : ﴿ **فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[3] وفي الوعظ قوله : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ** ﴾[4] وفي الإلهيات قوله : ﴿ **اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا**

---

(١) سورة السجدة (١٧).

(٢) سورة إبراهيم (١٥ — ١٧).

(٣) سورة العنكبوت (٤٠).

(٤) سورة الشعراء (٢٠٥ — ٢٠٧).

تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾(1).

سابعها : الأغلب أنه اذا انتقل الكلام من مضمون الى مضمون آخر واشتمل على بيان أشياء مختلفة لا يبقى حسن ربط الكلام، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة. والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصة الى قصة أخرى، والخروج من باب الى باب، والاشتمال على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات النبوة وتوحيد الذات وتفريد الصفات، وترغيب وترهيب وضرب مثال وبيان حال. ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة فتحير فيها عقول بلغاء العرب.

ثامنها : إن القرآن في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير ويكون اللفظ أعذب. ومن تأمل في سورة (ص) علم ما قلتُ : كيف صدرها وجمع فيها من أخبار الكفار وخلافهم، وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم، ومن تكذيبهم لمحمد ﷺ، وتعجبهم مما آتى به، والخبر عن اجماع ملئهم على الكفر، وظهور الحسد في كلامهم، وتعجيزهم وتحقيرهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم، ووعيد قريش وأمثالهم مثل مصابهم وحمل النبي على الصبر على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم بيانه عنهم، ثم شرع بعد تسليته في قصص الأنبياء مثل داود وسليمان وأيوب وإبراهيم ويعقوب وغيرهم عليهم السلام. وكل هذا الذكر ذكر من أولها الى آخرها في ألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة. وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾(2) فإن هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير. ومع كونه بليغاً مشتمل على المطابقة بين المعنيين المتقابلين، وهما القصاص والحياة، وعلى الغرابة بجعل القتل الذي هو مفوِّت للحياة ظرفا لها، وأولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في هذا الباب لأنهم عبَّروا عن هذا

---

(1) سورة الرعد (٨ ـــ ٩).
(٢) سورة البقرة (١٧٩) .

المعنى بقولهم : « قتل البعض أحياء للجميع » وقولهم « أكثروا القتل ليقل القتل » وقولهم « القتل أنفى للقتل ». وأجود الأقوال المنقولة عن القول الأخير. ولفظ القرآن أفصح منه بستة أوجه : /١/ أنه أخصر من الكل لأن قوله (ولكم) لا يدخل في هذا الباب، لأنه لا بدّ من تقدير ذلك في الكل. لأن قول القائل قتل البعض احياء للجميع لا بدّ فيه من تقدير مثله، وكذلك في قولهم القتل أنفى للقتل. /٢/ أن قولهم القتل أنفى للقتل ظاهره يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه، بخلاف لفظ القرآن فإنه يقتضي أن نوعا من القتل وهو القصاص سبب لنوع من أنواع الحياة. /٣/ أن في قولهم الأجود تكرير لفظ القتل بخلاف لفظ القرآن. /٤/ أن قولهم الأجود لا يفيد إلا الردع عن القتل بخلاف لفظ القرآن ، فإنه يفيد الردع عن القتل والجرح، فهو أفيد. /٥/ ان قولهم الأجود دال على ما هو المطلوب بالتبع بخلاف لفظ القرآن، فإنه دالّ على ما هو مقصود أصلي، لأن نفي القتل مطلوب تبعا من حيث أنه يتضمن حصول الحياة الذي هو مطلوب أصالة. /٦/ أن القتل ظلما أيضا قتلٌ، مع أنه ليس بناف للقتل بخلاف القصاص، فظاهر قولهم باطل. وأما لفظ القرآن فصحيح ظاهرا وباطنا. وكذلك قوله تعالى (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه أو في جميع ما يأمرانه وينهيانه (ويخش الله) أي يخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيما بقي من عمره في جميع أمره (فأولئك هم الفائزون) بالمراد في المبدأ والمعاد فإن هذا القول مع وجازة لفظه جامع لجميع الضروريات. حُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد، فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق. فأعلمه أنه من بطارقة الروم من جملة مَنْ يُحسن فَهْمَ الألسن من العرب وغيرها، وأنه سمع رجلا من أسراء المسلمين يقرأ آية من كتابكم، فتأملها فإذا هي جامعة لكل ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة. وهي قوله : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[1] الآية. وحُكي أن طبيباً نصرانياً حاذقاً سأل

(١) سورة النساء (١٣).

الحسين بن علي الواقدي : لماذا لم ينقل شيء في كتابكم عن علم الطب والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان ؟ فقال الحسين : إن الله بيَّن علم الطلب كله في نصف آية. فسأل الطبيب النصراني عن هذه الآية، فقال هي قوله : ﴿ **كُلُوا وَٱشْرَبُوا** ﴾[1] ما أحل الله لكم من المطعومات والمشروبات ﴿ **ولا تُسْرِفُوا** ﴾[2] أي لا تتعدوا الى الحرام ولا تكثروا الانفاق المستقبح، ولا تتناولوا مقدارا كثيرا يضركم ولا تحتاجون اليه. ثم سأل الطبيب : أقال نبيكم أيضا شيئاً في هذا الأمر ؟ فقال الحسين : إن نبينا أيضا جمع الطب في ألفاظ يسيرة. فسأل الطبيب عنها فقال الحسين هي هذه : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته ». فقال الطبيب : الانصاف أن كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة الى جالينوس. يعني بينا الأمر الذي هو رأس حفظ الصحة وإزالة المرض وأصلهما ومدارهما.

تاسعها : [1] ان الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين، واجتماعهما على ما هو ينبغي في كل جزء من الكلام الطويل خلاف العادة المعتادة للبلغاء. فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن كله دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة.

عاشرها : أنه مشتمل على جميع فنون البلاغة، من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة، وحسن المطالع والمقاطع وحسن الفواصل، والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام، وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال، وغير ذلك من أنواع البلاغات. ولا يقدر أحد من البلغاء الكملاء من العرب العرباء إلّا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة. ولو رام غيره في كلامه لم يتأتَّ له وكان مقصراً. والقرآن محتوٍ عليها كلها. فتلك عشرة كاملة، وهذه الوجوه العشرة تدلّ على أن القرآن في الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم

---

(١) سورة الأعراف (٣١).

(٢) يتابع المؤلف تفصيل الأمر الأول في كون القرآن معجزاً في البلاغة...

بأساليب الكلام، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف باعجاز القرآن.

الأمر الثاني :[1] تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف الإشارة وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب، فتحيرت فيه عقول العرب العرباء وفهوم الفصحاء، والحكمة في هذه المخالفة أن لا يبقى لمتعسف عنيد مظنة السرقة. ويمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوقه، لأن البليغ، ناظماً كان أو ناثراً، يجتهد في هذه المواضع اجتهادا كاملا ويمدح ويعاب عليه غالبا في هذه المواضع، كما عِيبَ على مطلع امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

بأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني، فإنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، وأن الشطر الثاني لا يوجد فيه شيء من ذلك. وعِيبَ على مطلع أبي النجم الشاعر المشهور، فإنه دخل على هشام ابن عبد الملك فأنشده :

صفراء قد كدت ولما تفعل   كأنها في أُفق عينُ الأحول

وكان هشام أحول. فأخرجه وأمر بحبسه. وعِيبَ على مطلع جرير، فإنه دخل على عبد الملك وقد مدحه بقصيدة حائية أولها * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال له عبد الملك فؤادك يا ابن الفاعلة. وعِيبَ على مطلح البحتري، فإنه أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي مطلعها * لك الويل من ليل تقاصر آخره ★ فقال بل لك الويل والخزي. وعِيبَ على مطلع اسحق الموصلي الأديب الحاذق، فإنه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان وأنشده قصيدته التي مطلعها :

---

(١) عودة إلى بداية إلى « الأمر الأول » من الفصل الأول من الباب الخامس، تدرك الأمر السابق لهذا الأمر ص ٣١.

يا دار غيَّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

فتطير المعتصم من هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور.

وهكذا قد خطىء أكثر الشعراء المشهورين في المواضع المذكورة. وأشراف العرب، مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام وشدّة عداوتهم للإسلام، لم يجدوا في بلاغة القرآن وحسن نظمه وأسلوبه مجالا، ولم يوردوا في القدح مقالا، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطَب الخطباء وشعر الشعراء، ونسبوه تارة الى السحر تعجباً من فصاحته وحسن نظمه، وقالوا تارة انه إفك افتراه وأساطير الأولين، وقالوا تارة لأصحابهم وأحبابهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون. وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت. فثبت أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه. وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء كثيرين كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، ومشهورين بغاية العصبية والحمية والجاهلية وتهالكهم على المباراة والمباهاة والدفاع عن الاحساب، فيتركون الأمر الأسهل الذي هو الاتيان بمقدار أقصر سورة، ويختارون الأشد الأصعب مثل الجلاء وبذل المهج والأرواح، ويبتلون بسبي الذراري ونهب الأموال، ومخالفهم المتحدي يقرعهم الى مدة على رؤس الملا بامثال هذه الأقوال: ﴿ **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين** ﴾ [١]، ﴿ **وإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِه وَٱدْعُواْ شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تفْعَلُواْ فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وُقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ** ﴾ [٢] ﴿ **قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ [٣] ولو كانوا يظنون أن محمدا ﷺ استعان بغيره لامكنهم أيضا أن

(١) سورة يونس (٣٨).

(٢) سورة البقرة (٢٣ ــ ٢٤).

(٣) سورة الاسراء (٨٨).

يستعينوا بغيرهم لأنه كاولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة. فلما لم يفعلوا ذلك، وآثروا المقارعة على المعارضة والمقاتلة على المقاولة، ثبت أن بلاغة القرآن كانت مسلمة عندهم، وكانوا عاجزين عن المعارضة.

غاية الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدق به وبمن أنزل عليه وبين متحير في بديع بلاغته. رُويَ أنه سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. فقال : والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر. ووُريَ أيضا أنه لما سمع القرآن رق قلبه فجاءه أبو جهل ــ وكان ابن أخيه ــ منكرا عليه، قال : والله ما منكم أحدا أعلم بالأشعار مني. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ورُوِيَ أيضا أنه جمع قريشا عند حضور الموسم وقال : إن وفود العرب ترد العرب، فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضا. قالوا : نقول كاهن. قال : والله ما هو بكاهن بزمزمته ولا سجعه. قالوا : مجنون. قال : ما هو بمجنون ولا بحنقه ولا وسوسته. قالوا : فنقول شاعر. قال : ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه. قالوا : فنقول ساحر. قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده. قالوا : فما تقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين شيئاً من هذا إلا وأنا أعرف أنه باطل، وان أقرب القول انه ساحر. ثم قال : فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته. فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس عن متابعة النبي ﷺ. فانزل الله تعالى في الوليد : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾ الآيات[1] ورُوي أن عتبة كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليه : ﴿ **حم تَنْزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ** ﴾ الى قوله ﴿ **أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود** ﴾[2] فأمْسك عتبة بيده على فيه وناشده الرحم أن

(١) سورة المدثر (١١ وما بعدها).

(٢) سورة فصّلت (١ ــ ١٣).

يكف. وفي رواية : فجعل النبي ﷺ يقرأ، وعتبة مصغ ملقٍ بيديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة، فسجد النبي ﷺ، وقام عتبة لا يدري بما يراجعه. ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه. فاعتذر لهم، وقال : والله لقد كلمني بكلام ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له. وذكر أبو عبيدة أن إعرابياً سمع رجلا يقرأ ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾[1] فسجد، وقال سجدت لفصاحته. وسمع رجل آخر من المشركين رجلاً من المسلمين يقرأ ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا** ﴾[2] فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة، وهي خماسية أو سداسية، وهي تقول أستغفر الله من ذنوبي كلها. فقال لها : مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم ؟ فقالت :

أستغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله، ما أفصحك فقالت : أَوَيُعَدُّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾[3] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وفي حديث اسلام أبي ذر، وصف أخاه أنيسا فقال : والله، ما سمعت بأشعر من أخي أنيس. لقد ناقض إثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم. وإنه انطلق الى مكة وجاءني، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر. ثم قال لقد سمعت ما قال الكهنة، فما هو قولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون. ورُوي في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال : سمعت النبي ﷺ

---

(١) سورة الحجر (٩٤).

(٢) سورة يوسف (٨٠).

(٣) سورة القصص (٧).

يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ** ﴾ ﴿ **أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ** ﴾ ﴿ **أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُسَيْطِرُونَ** ﴾[1] كاد قلبي أن يطير للإسلام. وقد حُكِي أن ابن المقنع طلب معارضة القرآن وشرع فيه، فمرّ بصبي يقرأ ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ** ﴾[2] فرجع، فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر. وكان يحيى بن حكم الغزالي بليغ الأندلس في زمنه، فحكى أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليأتي على أسلوبها وينظم الكلام على منوالها، قال: فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة. وقال الناظم من المعتزلة: اعجاز القرآن بالصرف على المعنى، ان العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل مبعث النبي ﷺ، لكن الله صرفهم عن معارضته بسبب الدواعي بعد المبعث، فهذا الصرف خارق للعادة فيكون معجزا. فهو أيضاً يسلم أن القرآن معجز لأجل الصرف، ومثله غير مقدور لهم بعد المبعث، وإنما نزاعه في كونه مقدوراً قبل المبعث وقوله غير صحيح بوجوه: **الأول**، أنه لو كان كذا لعارضوا القرآن بالكلام الذي صدر عنهم قبل المبعث ويكون مثل القرآن. **والثاني**، إن فصحاء العرب إنما كانوا يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته وسلاسته في جزالته لا لعدم تأتّي المعارضة مع سهولتها في نفسها. **والثالث**، إنه لو قصد الإعجاز بالصرف لكان الأنسب ترك الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته، لأن القرآن، على هذا التقدير، كلما كان أنزل في البلاغة وأدخل في الركاكة كان عدم تيسر المعارضة أبلغ في خرق العادة. **والرابع**، يأباه قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾[3].

فإن **قيل** إن فصحاء العرب لما كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة

---

(١) سورة الطور (٣٥ ــ ٣٧).

(٢) سورة هود (٤٤).

(٣) سورة الاسراء (٨٨).

ومركباتها القصيرة، كانوا قادرين على الإتيان بمثلها، **قلت** : هذه الملازمة ممنوعة لان حكم الجملة قد يخالف حكم الاجزاء. ألا ترى ان كل شعرة شعرة لا يصلح ان يُربَطَ بها الفيلُ او السفينة، واذا سُوِّي من الشعرات حبل متين يَصْلُحُ ان يُربَطَ بهذا الحبل الفيلُ او السفينة، لأنها، لو صحّت، لَزَمَ ان يكون كل احاد العرب قادراً على الإتيان بمثل فصحائهم كامرىء القيس واضرابه !؟

الأمر الثالث: كون القرآن منطوياً على الاخبار عن الحوادث الآتية فوُجِدَت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر. /١/ كقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ...**﴾[(١)]، فوقع كما أخبر ودخل الصحابةُ المسجدَ الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين غير خائفين /٢/ وكقوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** ﴾[(٢)] فكان الله وعد المؤمنين بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضي لهم وتبديل خوفهم بالأمن، فوفى وعده في مدة قليلة بأن ظهر في حياة الرسول ﷺ أن أهل الإسلام تسلطوا على مكة وخيبر والبحرين ومملكة اليمن وأكثر ديار العرب، وأن إقليم الحبش صار دار الإسلام بإيمان النجاشي الملك، وأن أناساً مَنْ هجر وبعض المسيحيين من نواحي الشام قبلوا الإطاعة وأداء الجزية، وأن هذا التسلط زاد في خلافة الصديق الأكبر رضي الله عنه بأن تسلط أهل الإسلام على بعض ديار فارس وعلى بصرى ودمشق وبعض الديار الأُخر من الشام أيضا، ثم زاد هذا التسلط في خلافة الفاروق رضي الله عنه بأن تسلطوا على سائر ديار الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس أيضا، ثم زاد هذا التسلط في خلافة ذي النورين رضي الله عنه بأن تسلطوا في جانب الغرب الى أقصى الأندلس

(١) سورة الفتح (٢٧).

(٢) سورة النور (٥٥).

والقيروان وفي جانب الشرق الى حد الصين، ففي مدة ثلاثين سنة تسلط أهل الإسلام على هذه الممالك تسلطا تاماً وغلب دين الله المرضي على سائر الأديان في هذه الممالك، فكانوا يعبدون الله آمنين غير خائفين. وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن طالب كرم الله وجهه، وإن لم يتسلط أهل الإسلام على الممالك الجديدة، لكنه لا شبهة في ترقي الملة الإسلامية في عهده الشريف أيضا. /٣/ وكقوله تعالى : ﴿ ... **سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ...** ﴾(١) ووقع كما أخبر، لأن المراد بـ« قوم أولي بأس» على أظهر الوجوه وأشهرها بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب والداعي الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ». /٤/ وكقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه** ﴾(٢) وحال هذا القول كحال القول الثاني. وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب على ما هو المرجو إن شاء الله، وهو على كل شيء قدير. /٥/ وكقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ ﴿ **وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ ﴿ **وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** ﴾ ﴿ **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً** ﴾(٣) والمراد بـ« الفتح القريب » فتح خيبر، وبـ« المغانم الكثيرة » في الموضع الأول مغانم خيبر أو هجر. وبـ « المغانم الكثيرة » في الموضع الثاني المغانم التي تحصل للمسلمين من يوم الوعد الى يوم القيامة، وبـ« أخرى » مغانم هوازن أو فارس أو الروم. وقد وقع كما أخبر. /٦/ وكقوله تعالى : ﴿ **وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ...** ﴾(٤) فقوله « أخرى » أي يعطيكم خصلة أخرى.

---

(١) سورة الفتح (١٦).

(٢) سورة التوبة (٣٣).

(٣) سورة الفتح (١٨ — ٢١).

(٤) سورة الصف (١٣).

وقوله « نصرٌ من الله » مفسِّرٌ للأخرى. وقوله « فتح قريب » أي عاجل، وهو فتح مكة، وقال الحسن هو فتح فارس والروم. وقد وقع كما أخبر. /٧/ وكقوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً** ﴾(١)، والمراد بـ« الفتح » فتح مكة، لأن الأصح أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة، لأن « إذا » يقتضي الاستقبال، ولا يُقال فيما وقع إذا جاء وإذا وقع. فحصل فتح مكة ودخل الناس في الإسلام فوجاً بعد فوج من أهل مكة والطائف وغيرها في حياته ﷺ. /٨/ وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ...** ﴾(٢)، وقد وقع كما أخبر فصاروا مغلوبين. /٩/ وكقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ** ــ أي اذكروا إذ يعدكم ــ **اللهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ** ــ القافلة الراجعة من الشام والقافلة الآتية من بيت الله الحرام ــ **أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ** ــ أي القافلة الراجعة ــ **تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ** ﴾(٣)، فوقع كما أخبر. /١٠/ وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾(٤). لما نزلت هذه الآية بشَّر النبي ﷺ أصحابه بأن الله كفاه شرّهم وأذاهم، وكان المستهزئون نفراً بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضرب البلاء وفنون العناء، فتمَّ نوره وكَمُلَ ظهوره. /١١/ وكقوله تعالى: ﴿ ... **واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ...** ﴾(٥)، وقد وقع كما أخبر مع كثرة مَنْ قَصَدَ ضرره، فعصمه الله حتى انتقل من الدار الدنيا الى منازل الحسنى في العقبى. /١٢/ وكقوله تعالى: ﴿ **آلم غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِي أَدْنَى ٱلْأَرْضِ** ــ أي أرض العرب ــ **وَهُمْ** ــ أي الروم ــ **مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ــ أي الفرس ــ **فِي بِضْعِ سِنِينَ** ــ أي ما بين الثلاثة والعشر ــ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**

(١) سورة النصر (١ ــ ٢).

(٢) سورة آل عمران (١٢).

(٣) سورة الأنفال (٧).

(٤) سورة الحجر (٩٥).

(٥) سورة المائدة (٦٧).

يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هم غَافِلُون ﴾[1].

الفرس كانوا مجوسا والروم والنصارى، فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة، ففرح المشركون وقالوا : أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواتنا على اخوانكم ولنظهرن عليكم. فنزلت هذه الآيات. فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا يقرّن الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس في بضع سنين. فقال أبيّ بن خلف : كذبت أجعل بيننا وبينك اجلا. فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين. فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ، فقال : البضع ما بين الثلاث الى التسع، فزايده في الإبل وماده في الأجل، فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين. ومات أبيّ بعدما رجع من أحد وظهرت الروم على فارس في السنة السابعة من مغلوبيتهم، فاخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبيّ. فقال النبي ﷺ تصدق بها.

قال صاحب ميزان الحق في الفصل الرابع من الباب الثالث : « لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس، فنقول ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه. وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان ». انتهى. فقوله (لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين) يشير الى أن هذا الأمر ليس بمسلم عنده. وهذا عجيب، لأن قوله تعالى : (سيغلبون في بضع سنين) نص في أن هذا الأمر يحصل في الزمان المستقبل القريب، في زمان أقل من عشرة سنين، كما هو مقتضى لفظ السنين والبضع، وكذا قوله (ويومئذٍ يفرح المؤمنون) وقوله (وعد الله لا يخلف الله وعده) لأنهما يدلان على حصول فرح في الزمان الآتي، وحصول هذا الأمر فيه، ولا معنى للوعد وعدم الخلف في الأمر بعد وقوعه. وقوله ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره مردود بوجهين : **الأول**، ان محمدا ﷺ كان من العقلاء عند المسيحيين أيضا. ويعترف بهذا القسيس النبيل ههنا، وفي المواضع الأُخر من تصانيفه. وليس من شأن العاقل

---

(١) سورة الروم (١ ــ ٧).

المدَّعي للنبوّة أن يدَّعي ادعاء قطعياً أن الأمر الفلاني يكون في المدة القليلة هكذا البتة، ويأمر معتقديه بالرهان على هذا، سيما في مقابلة المنكرين الطالبين لمذلته المتفحصين لمزلة أقدامه في أمر لا يكون وقوعه مفيداً فائدة يعتد بها : ويكون عدم وقوعه سببا لمذلته وكذبه عندهم، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه. **والثاني**، ان العقلاء وإن كانوا يقولون في بعض الأمور بعقولهم ويكون ظنهم صحيحا تارة وخطأ أخرى، لكن جرت العادة الإلهية بأن القائل، لو كان مدَّعي النبوّة كذباً ويخبر عن الحادثة الآتية ويفتري على الله بنسبة هذا الخبر الى الله، لا يكون هذا الخبر صحيحا، بل يخرج خطأ وغلطا البتة، كما ستعرف في آخر هذا المبحث إن شاء الله.

/١٣/ وكقوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ** ﴾(١) وعن عمر، رضي الله تعالى عنه، أنه قال : لما نزلت لم أعلم ما هو حتى كان يوم بدر، سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : سيهزم الجمع، فعلمته. /١٤/ وكقوله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** ﴾(٢)، وقد وقعت هذه الأقوال كما أخبر. /١٥/ وكقوله تعالى : ﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً** ــ إما بالطعن في محمد وعيسى عليهما السلام، وإما بتخويف الضَعَفَة من المسلمين ــ **وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾(٣). فأخبر فيه عن ثلاث مغيبات : **الأول**، ان المؤمنين يكونوا آمنين من ضرر اليهود. **والثاني**، لو قاتلوا المؤمنين ينهزمون. **والثالث**، انه لا يحصل لهم قوة وشوكة بعد الانهزام. وكلها وقع. /١٦/ وكقوله تعالى : ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ...** ﴾(٤)، وقد وقع كما اخبر. وليس لليهود

---

(١) سورة القمر (٤٤ ــ ٤٥).

(٢) سورة التوبة (١٤).

(٣) سورة آل عمران (١١١).

(٤) سورة آل عمران (١١٢).

وحكومة في موضوع من المواضع، وفي كل اقليم يوجدون رعايا مضروباً عليهم الذلة. /١٧/ وكقوله تعالى: ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ...** ﴾[١]، وقد وقع يوم أحد بوجهين كما أخبر: **الأول**، أن المشتركين لما استولوا يوم أحد على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب في قلوبهم، فتركوهم وفروا منهم من غير سبب. **والثاني**، أنهم لما ذهبوا الى مكة، فلما كانوا في بعض الطريق ندموا، فقالوا: بئسما صنعتم أنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشديد تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة. فقذف الله في قلوبهم الرعب، فذهبوا الى مكة. /١٨/ وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[٢] أي من التحريف والزيادة والنقصان مما تواتر عند علماء الأعيان من قراء الزمان. وقد وقع كما أخبر. فما قدر أحد من الملاحدة والمعطلة والقرامطة أن يحرِّف شيئاً منه، لا حرفاً من حروف مباينة ولا من حروف معانيه، ولا اعراباً من اعراباته الى هذه المدة التي نحن فيها، أعني ألفا ومائتين وثمانين من الهجرة، بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما، كما عرفتَ في الباب الأول والثاني. والحمد لله على إتمام هذه النعمة. /١٩/ وكقوله تعالى: ﴿ **لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ** ـــ أي التحريف بالزيادة والنقصان ـــ **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[٣]. وحال هذا القول كالقول السابق. /٢٠/ وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ** ـــ أي أحكامه وفرائضه ـــ **لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ** ﴾[٤] رُوِيَ أنه، عليه السلام، لما خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن، رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق الى مكة، واشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه. فنزل جبريل عليه السلام وقال: تشتاق الى بلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: نعم. فقال

---

(١) سورة آل عمران (١٥١).

(٢) سورة الحجر (٩).

(٣) سورة فصلت (٤٢).

(٤) سورة القصص (٨٥).

جبريل عليه السلام : فإن الله تعالى يقول : إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد، يعني الى مكة، ظاهراً عليهم. /٢١/ وكقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ** ــ أي أيها اليهود ــ **ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً** ــ أي ما عاشوا ــ **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ** ﴾(1) والمراد بالتمني بالقول ولا شك أنه، عليه الصلاة والسلام، ومع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة، كما هو المسلم عند المخالف والموافق، والوصول الى المنزل الذي وصل اليه في الدارين، والوصول الى الرياسة العظيمة، لا يجوز له، وهو غير واثق من جهة الرب بالوحي، أن يتحدى أعدى الاعداء بامر لا يأمن عاقبة الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة، لأن العاقل الذي لم يجرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك، فكيف الحال في أعقل العقلاء ؟ فثبت أنه ما أقدم على هذا التحدي إلا بعد الوحي واعتماده التام. وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد أعدائه، وكانوا أحرص الناس في تكذيبه، وكانوا متفكرين في الأمور التي بها ينمحي الإسلام أو يحصل الذلة لأهله، وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعباً. فلو لم يكن النبي ﷺ صادقاً في دعواه عندهم لبادروا الى القول به لتكذيبه، بل أعلنوا هذا التمني بالقول مراراً وشهروا أنه كاذب يفتري على الله أنه قال كذا، ويدَّعي من جانب نفسه ادعاء، ويقول تارة : والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلَّا غصَّ بريقه، يعني مات مكانه، ويقول تارة : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ونحن تمنينا مراراً وما متنا مكاننا. فظهر، بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه أحرص الناس، معجزته وبانت حجته. وفي هذه الآية اخباران عن الغيب : **الأول،** أن قوله (لن يتمنوه) يدل دلالة بينة على أن ذلك لا يقع في المستقبل من أحد منهم، فيفيد عموم الأشخاص. **والثاني،** إن قوله (أبداً) يدل على أنه لا يوجد في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل، فيفيد عموم الأوقات. فبالنظر الى

---

(1) سورة البقرة (٩٤ ــ ٩٥).

العمومين هما غيبان. /٢٢/ وكقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[1]. فأخبر بأنهم لا يفعلون البتة، ووقع كما أخبر. وهذه الآية دالة على الاعجاز من وجوه أربعة : **أولها**، أنّا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله ﷺ، وفي غاية الحرص على إبطال أمره، لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الأدلة على ذلك، فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع، وهو قوله ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾ صار حرصهم أشد. فلو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأَتَوْا به، فحيث ما أتوا به ظهر الاعجاز. **وثانيها**، أن النبي ﷺ، وإن كان متهما عندهم في أمر النبوة، لكنه كان معلوم الحال في وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب. فلو كان كاذبا لما تحداهم بالغاً في التحدي الى النهاية، بل كان عليه أن يخاف مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره. فلو لم يعلم بالوحي عجزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التقريع. **وثالثها**، انه لو لم يكن قاطعاً في أمره لما قطع في أنهم لا يأتون بمثله، لأن المزوّر لا يجزم بالكلام، فجزمه يدل على كونه جاز ما في أمره. **ورابعها**، أنه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه لأنه من عهده عليه السلام الى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والاسلام، وتشددوا عليه في الوقيعة فيه، ثم أنه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط. فهذه الوجوه الأربعة في الدلالة على الاعجاز مما تشتمل عليه هذه الآية. فهذه الأخبار وأمثالها تدل على كون القرآن كلام الله لأن عادة الله جارية على أنَّ مدَّعي النبوّة لو أخبر عن شيء ونسب الى الله كذبا لا يخرج خبره صحيحا. في الباب الثامن عشر من كتاب الاستثناء هكذا : « فان أحببت وقلت في قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلمه الرب، فهذه تكون لك آية إن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم

---

(١) سورة البقرة (٢٣ ــ ٢٤).

يحدث، فهذا الرب لم يكن تكلم به، بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه ».

الأمر الرابع :[1] ما أخبر من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة. وقد عُلم أنه كان اميا ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسة مع العلماء ولا مجالسة مع الفضلاء، بل تربَّى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضا، ولم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم. والمواضع التي خالف القرآن فيها — في بيان القصص والحالات المذكورة — كتب أهل الكتاب، كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها، فهذه المخالفة قصدية، اما لعدم كون بعض هذه الكتب أصلية كالتوراة والانجيل المشهورين، واما لعدم كونها الهامية. ويدل على ما ذكرت قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون.

الأمر الخامس : ما فيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطؤن في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد. وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالا فحالا ويخبره عنها على سبيل التفصيل. فما كانوا يجدون في كل ذلك إلا الصدق. وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضمائرهم.

الأمر السادس : جمعه لمعارف جزئية وعلوم كلية لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ، خاصة من علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسير والمواعظ والحكم وأخبار الدار والآخرة ومحاسن الآداب والشيم وتحقيق الكلام.

في هذا الباب ان العلوم إما دينية أو غيرها. ولا شك أن الأولى أعظمها شأناً وأرفعها مكاناً. فهي إما علم العقائد والأديان، وإما علم الأعمال. أما علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أما معرفة الله تعالى فهي عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة

---

(١) يتابع المؤلّف تفصيل الأمور المشتمل عليها الفصل الأول من الباب الخامس، والتي يتأيّد بها أن القرآن كلام الله. وقد سبق تفصيل ثلاثة أمور...

صفات إكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه. والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يسويه شيء من الكتب، بل لا يقرب منه. وأما علم الأعمال فهو إما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر، وهو علم الفقه، ومعلوم أن جميع الفقهاء إنما استنبطوا مباحثهم من القرآن، وإما أن يكون علم التصوّف المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب. وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يوجد في غيره. كقوله : ﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ** ﴾(١)، وقوله : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ...** ﴾(٢)، وقوله : ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾(٣). فقوله « ادفع بالتي هي أحسن » يعني ادفعْ سفاهتهم وجهالتهم بالخصلة التي هي أحسن، وهي الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة. وقوله « فاذا الذي... الخ » يعني اذا قابلت إساءتهم بالإحسان، وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة، تركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة، ومن البغضة الى المودة. ونحو هذه الأقوال كثيرة فيه. فثبتَ أنه جامعٌ لجميع العلوم النقلية أصولها وفروعها. ويوجد فيه التنبيه على أنواع الدلالات العقلية، والرد على أرباب الضلال ببراهين قاهرة وأدلّة باهرة، سهلة المباني، مختصرة المعاني، كقوله تعالى : ﴿ **أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ...** ﴾(٤)، وكقوله تعالى : ﴿ ... **يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...** ﴾(٥)، وكقوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا...** ﴾(٦). وَلِنَعْمَ ما قيل : جميع العلم في القرآن، لكنْ تقاصر عنه افهام الرجال.

---

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) سورة النحل (٩٠).

(٣) سورة فصلت (٣٤).

(٤) سورة يس (٨١).

(٥) سورة يس (٧٩).

(٦) سورة الأنبياء (٢٢).

الأمر السابع : كونه بريئاً عن الاختلاف والتفاوت، مع أنه كتاب كبير مشتمل على أنوع كثيرة من العلوم. فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفكُّ عن ذلك. ولما لم يوجد فيه ذلك، علمنا أنه ليس من عند غير الله كما قال الله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾(١). والى هذه الأمور السبعة المذكورة أشار الله تعالى بقوله : ﴿ ... **أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ**... ﴾(٢)، لأن مثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب والأخبار عن الغيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة عن الاختلاف والتفاوت، مع كون الكتاب كبيرا مشتملا على أنواع العلوم لا يأتي إلا من العالم الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما في السموات والأرض.

الأمر الثامن : كونه معجزة باقية متلوة في كل مكان مع تكفل الله بحفظه، بخلاف معجزات الأنبياء، فانها انقضت بانقضاء أوقاتها، وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول الى زماننا هذا. وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين وحجتها قاهرة، ومعارضته ممتنعة. وفي الأزمان كلها القرى والأمصار مملوأة بأهل اللسان وأئمة البلاغة، والملحد فيهم كثير، والمخالف العنيد حاضر ومهيأ، وتبقى إن شاء الله هكذا ما بقيت الدنيا وأهلها في خير وعافية. ولما كان المعجز منه بمقدار أقصر سورة، فكل جزء منه بهذا المقدار معجزة. فعلى هذا، يكون القرآن مشتملا على أكثر من ألفي معجزة.

الأمر التاسع : إن قارئه لا يسأمه، وسامعه لا يمجه، بل تكراره يوجب زيادة محبة، كما قيل :

وخيرُ جليسٍ لا يمل حديثه   وترداده يزداد فيه تجمُّلا

---

(١) سورة النساء (٨٢).

(٢) سورة الفرقان (٦).

وغيره من الكلام. ولو كان بليغاً في الغاية يُمل مع الترديد في السمع ويُكره في الطبع. ولكن هذا الأمر بالنسبة الى مَنْ له قلب سليم، لا إلى مَنْ له طبع سقيم.

الأمر العاشر : كونه جامعاً بين الدليل ومدلوله، فالتالي له اذا كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معاً في كلام واحد باعتبار منطوقه ومفهومه، لأنه ببلاغة الكلام يُستدل على الاعجاز، وبالمعاني يقف على أمر الله ونهيه ووعده ووعيده.

الأمر الحادي عشر : حفظه لمتعلميه بالسهولة، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**... ﴾[1]، فحفظُهُ مُيَسَّرٌ على الأولاد الصغار في أقرب مدة. ويوجد في هذه الأمة في هذا الزمان أيضا، مع ضعف الإسلام في أكثر الأقطار، أزيد من مائة ألف من حفاظ القرآن بحيث يمكن أن يكتب القرآن من حفظ كل منهم من الأول الى الآخر بحيث لا يقع الغلط في الإعراب، فضلا عن الألفاظ. ولا يخرج في جميع ديار اوربا عدد حفاظ الانجيل بحيث يساوي الحفاظ في قرية من قرى مصر مع فراغ بال المسيحيين وتوجههم الى العلوم والصنائع منذ ثلثمائة سنة. وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ ولكتابهم.

الأمر الثاني عشر : الخشية التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع القرآن، والهيبة التي تعتري تاليه. وهذه الخشية قد تعتري مَنْ لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره. فمنهم مَنْ أسلم لها لأول وهلة، ومنهم مَن استمر على كفره، ومنهم من كفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه. رُوِيَ أن نصرانياً مرَّ بقارىء فوقف يبكي، فسئل عن سبب البكاء، فقال : الخشية التي حصلت له من أثر كلام الرب. وأن جعفراً الطيار، رضي الله عنه، لمَّا قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه ما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر، رضي الله عنه، من القراءة.

---

(١) سورة القمر (١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠).

وان النجاشي أرسل سبعين عالما من العلماء المسيحية الى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا، فنزل في حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾[1]. وقد عرفتَ حال جبير بن مطعم، رضي الله عنه، وعتبة وابن المقنع ويحيى بن حكم الغزالي. وقال نور الله الشوستري في تفسيره ان العلامة علي القوشجي لما راح من وراء النهر الى الروم، جاء اليه حبر من أحبار اليهود لتحقيق الإسلام، وناظره الى شهر وما سلم دليلاً من أدلة العلامة الى هذا الحين. فجاء يوماً وقت الصبح، كان العلامة مشتغلاً بتلاوة القرآن على سطح الدار وكان كريه الصوت في الغاية، فلما دخل الباب وسمع القرآن أثر القرآن في قلبه تأثيراً بليغاً. فلما وصل الى العلامة قال إني أدخل في الإسلام، فأدخله العلامة في الإسلام، ثم سأل عن السبب، فقال : ما سمعت مدة عمري كريه الصوت مثلك، فلما وصلتُ الى الباب سمعتُ منك القرآن وقد حصل تأثيره البليغ في فعلمت أنه وحي. فثبت من الأمور المذكورة أن القرآن معجز وكلام الله. كيف لا، وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء : أن تكون ألفاظه فصيحة، وأن يكون نظمه مرغوبا، وأن يكون مضمونة حسنا. وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن بلا ريب.

ونختم هذا الفصل ببيان ثلاث فوائد :

الفائدة الأولى: سبب كون معجزة نبينا من جنس البلاغة أيضا، ان بعض المعجزات تظهر في كل زمان من جنس ما يغلب على أهله أيضا، لأنهم يبلغون فيه الدرجة العليا، فيقفون فيه على الحدّ الذي يمكن للبشر الوصول اليه. فاذا شاهدوا ما هو خارج عن الحدّ المذكور، علموا أنه من عند الله. وذلك كالسحر في زمن موسى عليه السلام، فإنه كان غالباً على أهله وكاملين فيه. ولما علم السحرة الكملة أن حد السحر تخييل لما لا ثبوت له حقيقة، ثم

(١) سورة المائدة (٨٣).

رأوا عصاه انقلبت ثعباناً يتلقف سحرهم الذي كانوا يقلبونه من الحق الثابت الى المتخيل الباطل من غير أن يزداد حجمها، علموا أنه خارج عن السحر ومعجزة من عند الله، فآمنوا به. وأما فرعون فلما كان قاصراً في هذه الصناعة ظن أنه سحر أيضا، وإن كان أعظم من سحر سحرته. وكذا الطب لما كان غالباً على أهل زمن عيسى عليه السلام وكانوا كاملين فيه، فلما رأوا إحياء الميت وإبراء الأكمه علموا بعلمهم الكامل أنهما ليسا من حدّ الصناعة الطبية، بل هو من عند الله. والبلاغة قد بلغت في عهد الرسول عليه السلام الى الدرجة العليا، وكان بها فخارهم، حتى علقوا القصائد السبع بباب الكعبة تحدياً بمعارضتها، كما تشهد به كتب السير. فلما أتى النبي ﷺ بما عجز عن مثله جميع البلغاء، عُلم أن ذلك من عند الله قطعا.

الفائدة الثانية : نزول القرآن منجماً ومفرقاً ولم ينزل دفعة واحدة بوجوه : **أحدها**، ان النبي ﷺ لم يكن من أهل القراءة، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه السهو. **وثانيها**، لو أنزل الله عليه الكتاب دفعة فربما اعتمد على الكتّاب وتساهل في الحفظ. فلما أنزله الله منجماً حفظه وبقي سُنَّة الحفظ في أمته. **وثالثها**، في صورة نزول الكتاب دفعة. لو كان نزول جميع الأحكام دفعة واحدة على الخلق لكان يثقل عليهم ذلك ولما نزل مفرقا لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل كما رُوِيَ عن بعض الصحابة، أنه قال : لقد أحسن الله إلينا كل الإحسان. كنا مشركين، فلو جاء رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا، فما كنا ندخل في الإسلام، ولكنه دعانا الى كلمة واحدة. فلما قبلناها وذقنا حلاوة الإيمان، قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة، الى أن تمَّ الدين وكملت الشريعة. **ورابعها**، أنه إذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته. فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوّة، وعلى احتمال أذية القوم. **وخامسها**، أنه لما تمّ شرط الإعجاز فيه، مع كونه منجما، ثبت كونه معجزاً. فإنهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجماً مفرقاً. **وسادسها**، كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم، فكانوا يزدادون بصيرة. لأن الاخبار عن الغيوب كان ينضم بسبب ذلك الى

الفصاحة. **وسابعها**، أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً وتحداهم النبي ﷺ من أول الأمر، فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم من معارضة الكل أولى. فثبت بهذا الطريق أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة. **وثامنها**، أن السفارة بين الله وبين أنبيائه وتبليغ كلامه اليهم منصب عظيم، فلو نزل القرآن دفعة واحدة كان زوال هذا المنصب عن جبريل عليه السلام محتملا، فلما نزل مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العظيم عليه.

الفائدة الثالثة : سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص الأنبياء في مواضع، ان العرب كانوا مشركين وثنيين ينكرون هذه الأشياء. وغير العرب، بعضهم مثل أهل الهند والصين والمجوس، كانوا مثل العرب في الإنكار، وبعضهم كأهل التثليث كانوا في الإفراط والتفريط في اعتقاد هذه الأشياء. فلأجل التقرير والتأكيد كرر بيان هذه الأشياء. ولتكرار القصص أسباب أخر أيضا، منها أن اعجاز القرآن، لما كان باعتبار البلاغة أيضا وكان التحدي بهذا الاعتبار، فكررت القصص بعبارات مختلفة ايجازاً واطناباً مع حفظ الدرجة العليا للبلاغة في كل مرتبة لِيُعْلَمَ أنَّ القرآن ليس كلام البشر. لأن هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية، ومنها أنه كان لهم أن يقولوا ان الألفاظ الفصحية التي كانت مناسبة لهذه القصة استعملتها، وما بقيت الألفاظ الأخرى مناسبة لها، وأن يقولوا ان طريق كل بليغ يخالف طريق الآخر، فبعضهم يقدر على الطريق المطنب، وبعضهم على الموجز، فلا يلزم من عدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقا، أو أن يقولوا ان دائرة البلاغة ضيقة في بيان القصص، وما صدر عنك بيانها مرة فمحمول على البخت والاتفاق، فلما كررت القصص ايجازا واطنابا لم يبق عذر من هذه الأعذار الثلاثة، ومنها أنه، ﷺ، كان يضيق صدره بإيذاء القوم وشرهم، كما أخبر الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** ﴾[1]، فيقصّ الله قصة

---

(١) سورة الحجر (٩٧).

من قصص الأنبياء مناسبة لحاله في ذلك الوقت لتثبيت قلبه، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)، ومنها أن المسلمين كانوا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الكفار، أو أن قوما كانوا يسلمون، أو أن الكفار كان المقصود تنبيههم، فكان الله ينزل في كل موضع من هذه القصص ما يناسبه، لأن حال السلف تكون عبرة للخلف، ومنها أن القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة فتذكر تارة ويقصد بها بعض الأمور قصدا وبعضها تبعا وتعكس مرة أخرى.

---

(١) سورة هود (١٢٠).

الفصل الثاني

في رفع شبهات القسيسين على القرآن

الشبهة الأولى : لا نسلم أن عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة. ولو سلمنا ذلك فهو يكون دليلا ناقصاً على الإعجاز لأنه لا يظهر إلا لمن كان له معرفة تامة بلسان العرب، ويلزم أن يكون جميع الكتب التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاطيني وغيرهما في الدرجة العالية من البلاغة كلام الله. على أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى.

والجواب : عدم تسليم كون عبارة القرآن في الدرجة العليا مكابرة محضة، لما عرفتَ في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول. وقولهم (لأنه لا يظهر إلا لمن كان له معرفة تامة بلسان العرب) حق، لكن التقريب غير تام. لأن هذه المعجزة، لما كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوا واعترفوا بها، وعرفها أهل اللسان بسليقتهم، وغيرهم من العلماء بمهارتهم في فن البيان وإحاطتهم بأساليب الكلام، وعرفها العوام من الفرق بشهادة ألوف ألوف من أهل اللسان والعلماء. فظهر أنها معجزة يقيناً، ودليل كامل لا ناقص، كما زعموا، وصارت سبباً من الأسباب الكثيرة التي يُعلم بها أن القرآن كلام الله. ولا يدّعي أهل الإسلام أن سبب كون القرآن كلام الله منحصر في كونه بليغا فقط، وكذا لا يدّعون أن معجزة النبي ﷺ منحصرة

في بلاغة القرآن فقط، بل يدّعون أن هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله وأن القرآن بهذا الاعتبار أيضا معجزة من المعجزات الكثيرة للنبي ﷺ، كما عرفت في الفصل الأول وستعرف في الباب السادس إن شاء الله تعالى. وهذه المعجزة ظاهرة في هذا الزمان أيضا لألوف ألوف من أهل اللسان وماهري علم البيان، وعَجْزُ المخالفين ثابت من ظهورها الى هذا الحين، وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين من الهجرة. وقد عرفتَ في الأمر الثاني من الفصل الأول أن قول النظام مردود، وما قال أبو موسى ــ الملقب بمزدار راهب المعتزلة ــ ان الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة فهو مردود أيضا كقول النظام. على أن مزدار هذا كان رجلا مجنوناً استولت على دماغه اليبوسة بسبب كثرة الرياضة، فهذي بأمثال هذه الهذيانات كثيراً. مثلا كان يقول ان الله قادر على أن يكذب ويظلم ولو فعل لكان الهاً كاذباً ظالماً، وان مَنْ لابَسَ السلطانَ كافر لا يرث ولا يورث منه، وقوله يلزم أن يكون جميع الكتب الخ غير مسلم، لأن هذه الكتب لم تثبت بلاغتها في الدرجة القصوى باعتبار الوجوه التي مرَّ ذكرها في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول، ولم يثبت ادِّعاء مصنفيها بالإعجاز ولا عجز فصحاء هذه الألسن عن معارضتها. فإن ادَّعى أحد هذه الأمور بالنسبة الى هذه الكتب فعليه الإثبات، وإلّا فلا بدّ أن يمتنع عن مثل هذا الادعاء الباطل.

على أن شهادة بعض المسيحيين في حق الكتب المذكورة بأنها في هذه الألسن مثل القرآن في اللسان العربي في الدرجة العليا من البلاغة، غير مقبولة، لأنهم إذا لم يكونوا من أهل اللسان فلا يميزون غالباً في لسان الغير بين المذكر والمؤنث، ولا بين المفرد والتثنية والجمع، ولا بين المرفوع والمنصوب والمجرور، فضلا عن أن يميزوا الأبلغ عن البليغ. وعدم تميزهم هذا لا يختص بالعربي، بل فيه وفي العبراني واليوناني واللاطيني على طريقة واحدة. ومنشأ عدم التمييز سذاجة كلامهم، سيما اذا كان هذا البعض من أهل انكلتره. فإنهم يشاركون في هذه السذاجة غيرهم من المسيحيين ويمتازون عنهم بعادة أخرى أيضا وهي أنهم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من لسان الغير يظنون أنهم تبحَّرُوا في المعرفة، وإذا تعلموا مسائل معدودة من علم يعدّون

أنفسهم من علماء هذا العلم. والفرنساويون واليونانيون طاعنون عليهم في هذه العادة. ويشهد على الدعوى الأولى أن الأب سركيس الهاروني مطران الشام جمع باذن البابا اربانوس الثامن كثيراً من القسيسين والرهبان والعلماء ومعلمي اللسان العبراني والعربي واليوناني وغيرها ليصلحوا الترجمة العربية التي كانت مملوأة بالاغلاط الكثيرة والنقصانات الغزيرة، فاجتهدوا في هذا الباب اجتهاداً تاماً في سنة ألف وستمائة وخمس وعشرين من الميلاد، فأصلحوا. لكنه لما بقي بعد الاصلاح التام في تراجمهم النقصانات التي هي لازمة لسجية المسيحيين اعتذروا عنه في المقدمة التي كتبوها في أول تلك الترجمة. فانقل عذرهم عن المقدمة المذكورة بعبارتهم وألفاظهم وهي هذه : « ثم انك في هذا النقل تجد شيئاً من الكلام غير موافق قوانين اللغة بل مضاداً لها، كالجنس المذكر بدل المؤنث، والعدد المفرد بدل الجمع، والجمع بدل المثنى، والرفع مكان الجر، والنصب في الاسم، والجزم في الفعل، وزيادة الحروف عوض الحركات، وما يشابه ذلك فكان سبباً لهذا كله سذاجة كلام المسيحيين، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصاً، ولكن ليس في اللسان العربي فقط، بل في اللاطيني واليوناني والعبراني تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام لأنه لم يرد روح القدس أن نقيد اتساع الكلمة الإلهية بالحدود المضيقة التي حدتها الفرائض النحوية، فقدم لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة ». انتهى كلامهم.

ويشهد على الدعوى الثانية أن أبا طالب خان السياح ألف كتابا باللسان الفارسي سماه بالمسير الطالبي، وهو مشتمل على أحوال سياحته، وكتب فيه من حالات كل اقليم ساح فيه ما رأى فيه من المحاسن والذمائم. فكتب محاسن أهل انكلتره وذمائمهم، فاترجم الذميمة الثامنة من كتابه لتعلّق الحاجة بها في هذا المقام فقال : « الثامنة خطؤهم في معرفة حد العلوم ولسان الغير، لأنهم يحسبون أنفسهم عارفي كل لسان ومن أهل كل علم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من ذلك اللسان أو مسائل معدودة من ذلك العلم ويؤلفون الكتب فيهما وينشرون هذه المزخرفات بعد الطبع. ووقفت على هذا المعنى بشهادة الفرانساويين واليونانيين، لأن تحصيل ألسنتهم رائج في أهل انكلتره، وحصل

لي اليقين بمشاهدة تصرفاتهم في اللسان الفارسي ». انتهى. ثم قال : « اجتمع في لندن الكتب الكثيرة من هذا النوع، بحيث كاد أن تبقى الكتب الحقة بعد برهة من الزمان غير مميزة ». انتهى كلامه. وقولهم (على أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة الخ) لا ورود له في حق القرآن لأنه مملوء من أوله الى آخره بذكر هذه الأمور السبعة والعشرين، ولا تجد آية طويلة فيه تكون خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور : /١/ الصفات الكاملة الإلهية مثل كونه واحداً وقديماً وأزلياً وأبدياً وقادراً وعالماً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً وحكيماً وخبيراً وخالق السموات والأرض ورحيماً ورحماناً وصبوراً وعادلاً وقدوساً ومحيياً ومميتاً وغيرها. /٢/ تنزيه الله عن المعايب والنقائص مثل الحدوث والعجز والجهل والظلم وغيرها. /٣/ الدعوة الى التوحيد الخالص والمنع عن الشرك مطلقاً وعن التثليث الذي هو شعبة الشرك يقيناً، كما علمتَ في الباب الرابع. /٤/ ذكر الأنبياء عليهم السلام. /٥/ تنزيههم عن عبادة الأوثان والكفر وغيرها. /٦/ مدح المؤمنين بالأنبياء. /٧/ ذم منكريهم. /٨/ تأكيد الإيمان بالأنبياء عموما وبالمسيح خصوصاً. /٩/ الوعد بأن المؤمنين يغلبون المنكرين عاقبة الأمر. /١٠/ حقيقة القيامة وجزاء الأعمال في يومها. /١١/ ذكر الجنة والنار. /١٢/ ذم الدنيا وبيان عدم ثباتها. /١٣/ مدح العقبى وبيان ثباتها. /١٤/ بيان حلّ الأشياء وحرمتها. /١٥/ بيان أحكام تدبير المنزل. /١٦/ بيان أحكام سياسات المدن. /١٧/ التحريض على محبة الله وأهل الله. /١٨/ بيان الأشياء التي هي ذريعة الوصول الى الله. /١٩/ الزجر عن مصاحبة الفجار والفساق. /٢٠/ تأكيد خلوص النية في العبادات البدنية والمالية. /٢١/ التهديد على الرياء والسمعة. /٢٢/ التأكيد على تهذيب الأخلاق بالإجمال والتفصيل. /٢٣/ التهديد على الأخلاق الذميمة بالإجمال. /٢٤/ مدح الأخلاق الحسنة مثل الحلم والتواضع والكرم والشجاعة والعفة وغيرها. /٢٥/ ذم الأخلاق القبيحة مثل الغضب والتكبر والبخل والجبن والظلم وغيرها. /٢٦/ وعظ التقوى. /٢٧/ الترغيب الى ذكر الله وعبادته. ولا شك أن هذه الأمور محمودة عقلا ونقلا، وجاء ذكر هذه الأمور في القرآن مرارا للتأكيد والتقرير. ولو كانت هذه المضامين قبيحة فأي مضمون يكون حسنا.

نعم، لا يوجد في القرآن /١/ أن النبي الفلاني زنى بابنته /٢/ أو زنى بزوجة الغير وقتله بالحيلة /٣/ أو عبد العجل /٤/ أو ارتدَّ في آخر عمره، وعبد الأصنام، وبنى المعابد لها /٥/ أو افترى على الله الكذب، وكذب في التبليغ وخدع بكذبه نبياً آخر مسكيناً وألقاه في غضب الرب /٦/ أو أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد ولد الزنا وهو فارض بن يهودا /٧/ أو أن الرسول الأعظم ابن الله البكر أبا الأنبياء زنى ابنه الأكبر بزوجة أبيه /٨/ وإبنه الثاني بزوجة ابنه، وسمع هذا النبي العظيم الشأن ما صدر عن إبنيه المحبوبين وما أجرى عليهما الحدّ، غير أنه دعا على الأكبر وقت موته لأجل هذه الحركة الشنيعة ولم ينقل في حق الآخر الغضب أيضا، بل دعا له بالبركة التامة عند الموت /٩/ أو أن الرسول العظيم الآخر البكر الثاني أيضاً الزاني بزوجة الغير زنى إبنه الحبيب ببنته الحبيبة، وسمع وما أجرى عليهما الحدّ. لعله امتنع عن الحدّ لأنه كان مبتلى بالزنا أيضا في زعمهم، فكيف يجري على الغير سيما على أولاده ؟ وهذا القدر مسلم بين اليهود والنصارى ومصرح به في كتب العهد العتيق المسلمة عند الفريقين /١٠/ أو أن يحيى عليه السلام الرسول الذي هو أعظم الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام، وإن كان الأصغر في ملكوت السموات، أعظم منه بشهادة عيسى عليه السلام أيضا لم يعرف إلهه الثاني ومرسله الذي هو عيسى ــ باعتبار العلاقة المجهولة ــ معرفة جيدة الى ثلاثين سنة ما لم يصر هذا الإله مريدا لعبده هذا، وما لم يحصل الاصطباغ منه، وما لم ينزل على هذا الإله الثاني الإله الثالث في شكل الحمامة. وبعد ما رأى نزول الثالث على الثاني في الشكل المذكور تذكر أمر الإله الأول الأب أن الإله الثاني هو ربه ومالكه وخالق الأرض والسموات /١١/ أو أن الرسول الآخر السارق الذي كان عنده الكيس للسرقة ــ أعني يهودا الاسخريوطي الذي هو صاحب الكرامات والمعجزات وأحد الحواريين الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الإسرائيلية على زعمهم ــ باع دينه بدنياه بثلاثين درهما، ورضي بتسليم إلهه بأيدي اليهود على هذه المنفعة القليلة حتى أخذوا إلهه وصلبوه. لعل هذه المنفعة كانت عظيمة عنده لأنه كان صياداً مفلوكاً لصاً، وإن كان رسولا صاحب معجزات

أيضاً على زعمهم، فثلاثون درهماً عنده كانت أحب وأعظم رتبة من هذا الإله المصلوب /١٢/ أو أن قيافا رئيس الكهنة الذي ثبتت نبوّته بشهادة يوحنا الانجيلي، أفتى بقتل إلهه وكذّبه وكفّره وأهانه، ووقع في حق هذا الإله المصلوب ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء، عدد التثليث، ان أعظم أنبيائه الإسرائيلية لم يعرفه معرفة جيدة الى ثلاثين سنة، ما لم يصر هذا الإله مريدا له، ولم ينزل عليه الإله الثالث في شكل الحمامة، وأن نبيه الثاني رضي بتسليمه ورجح منفعة ثلاثين درهما على منزلة ألوهيته ووعده، وأن رسوله الثالث أفتى بقتله وكذبه وكفره. أعاذنا الله من أمثال هذه الاعتقادات السوء في حق الأنبياء عليهم السلام. ولا يؤاخذني على ما نقلت هذه المزخرفات على سبيل الإلزام. والله ثم بالله لا أعتقد في حق الأنبياء هذه الكذبات وهم بريؤن منها. وأقول : القدر الذي نقلت من حال يحيى عليه السلام الى حال قيافا مصرح به في العهد الجديد.

وكذا لا يوجد في القرآن هذه المسائل الفخيمة التي عجزت في أكثرها عقولنا بل عقول العالم، ويعتقدها الفرقة القديمة العظيمة الشأن، أعني فرقة كاتلك التي عددها بحسب إدعاء بعض آبائها في هذا الزمان أيضا بقدر مائتي مليون /١/ ان مريم عليها السلام قد حبلت بها أمها بلا قرب الزوج، كما انكشفت هذه الحقيقة على البابويين من مدة قريبة. /٢/ ان مريم والدة الله حقيقة. /٣/ ان كل خبز من الخبزات، وإن كانت بمقدار مليونات غير متعددة، يستحيل في العشاء الرباني في آن واحد في أمكنة مختلفة الى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذي تولد من العذراء، إذا فرض أن مليونات من الكهنة في أطراف العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً قدسوا في آن واحد. /٤/ ان خبزا واحداً إذا كسره الكاهن، ولو إلى مائة ألف كسرة، يصير كل كسرة منه أيضاً مسيحاً كاملاً، وإن كان وجود الحبوب ثم الطحن ثم العجن ثم وجود الخبز ثم الكسرة كلها من الحوادث بمشاهدة، فتعطل حكم الحس عندهم في هذه الأمور كلها. /٥/ أنه لا بدّ أن يصطنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن. /٦/ انه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا، وإن كان غير صالح في نفس الأمر /٧/ ان أسقف رومية هو البابا دون غيره، وهو رأس الكنيسة

ومعصوم من الغلط. /٨/ ان كنيسة رومية هي أم الكنائس كلها ومعلمتها. /٩/ إن للبابا ولمتعلقيه خزانة من قدر جزيل من استحقاقات القديسين أن يمنحوا الغفرانات، سيما إذا استوفوا ثمناً وافياً لاجلها، كما هو المروَّج عندهم. /١٠/ إن البابا له منصب تحليل الحرام وتحريم الحلال. قال المعلم ميخائيل مشاقة من علماء پروتستنت في الصفحة ٦٦من كتابه المسمى بأجوبة الانجيليين على أباطيل التقليديين المطبوع سنة ١٨٥٢ في بيروت هذا : « والآن تراهم يزوّجون العم بابنة أخيه، والخال بابنة أخته، والرجل بامرأة أخيه ذات الأولاد، خلافا لتعليم الكتب المقدسة ولمجامعهم المعصومة. وقد أضحت هذه المحرمات حلالا عند أخذهم الدراهم عليها. وكم من التحديدات وضعوها على الاكليريكيين بتحريم الزيجة الناموسية المأمور بها من رب الشريعة » انتهى كلامه بلفظه. ثم قال : « وكم حرموا أصناف الأطعمة ثم أباحوا ما حرموه، وفي عصرنا أباحوا أكل اللحوم في صومهم الكبير الذي طالما شددوا بتحريمها فيه ». انتهى كلامه بلفظه. وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة في الصفحة ٨٨ : « فرنسيس ذا بادلا الكردينال يقول ان البابا مأذون أن يعمل ما يريد حتى ما لا يحلّ أيضاً، وهو أكبر من الله سبحان الله عما يصفون ». انتهى كلامه بلفظه.

/١١/ ان أنفس الصديقين تتوجه الى العذاب في المطهر وتتقلب في نيرانه حتى يمنحها الباب الغفران، أو يخلصها القسوس بقداساتهم بعد استيلائهم على أثمانها، وهو غير جهنم. وأهل هذه الفرقة يحصلون السندات من نواب البابا وخلفائه لتحصيل النجاة من عذابه. لكن العجب من هؤلاء العقلاء أنهم إذا إشتروا سندات من هذا خليفة الله النافذ أمره في الأرض والسماء، فَلِمَ لا يطلبون منه وصولات ممضية بختم الذين أعتقهم عن العذاب ؟ ولما كانت قدرة البابوات تزيد يوما فيوما بفيض روح القدس، اخترع البابا لاون العاشر للمغفرة تذاكر تُعطى منه أو من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياه الماضية والمستقبلة أيضا، وكان مكتوباً فيها هكذا : « ربنا يسوع المسيح يرحمك ويعفو عنك باستحقاقات آلامه المقدسة. وبعد فقد وهب لي بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس والباب الجليل في هذه النواحي أن أغفر لك أولا عيوبك

الاكليروسية مهما كانت، ثم خطاياك ونقائصك ولو مهما كانت تفوت الاحصاء، بل أيضا الخطايا المحفوظ حلها للبابا وبقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية أغفر لك كل العذابات التي سوف تستحقها في المطهر، وأردك الى أسرار الكنيسة المقدسة والى اتحادها والى ما كنت حاصلا عليه عند عمادك من العفة والطهارة، حتى أنك متى مت تغلق في وجهك أبواب العذابات وتفتح لك أبواب الفردوس، وإن لم تمت الآن فهي باقية لك بفاعليّة تامّة الى آخر ساعة موتك باسم الاب والابن والروح القدس آمين ». كتب بيد الأخ يوحنا تنزل الوكيل الثاني. /١٢/ ان مسافة جهنم فراغ مكعب في قلب الأرض كل من أضلاعه مائتا ميل. /١٣/ ان الباب يرسم الصليب على نعليه، وغيره على وجهه لعل نعلي البابا ليسا أدون من الصليب ومن وجوه الأساقفة الآخرين. /١٤/ أن بعض القديسين وجهه كوجه الكلب وجسده كجسد الإنسان وهو يشفع لهم عند الله. قال المعلم المذكور في الصفحة ١١٤ من كتابه المذكور، طاعنا على تلك الفرقة : « وربما صوروا بعض قديسين على صورة لم يخلق الله مثلها كتصويرهم رأس كلب على جسم انسان يسمونه القديس خريسطفورس، ويقدمون له أنواع العبادة، إذ يقبلونه ويسجدون أمامه ويشعلون له الشموع ويطلقون البخور ويلتمسون شفاعته. فهل يليق بالمسيحيين الاعتقاد بوجود العقل النطقي والقداسة في أدمغة الكلاب ؟ أين هي من عصمة كنائسهم من الغلط ؟» انتهى كلامه بلفظه. وهذا القول (هل يليق بالمسيحيين الخ) صادق يقيناً. وهذا القديس مشابه لبعض قديسي مشركي الهند. ولعل محبة المسيحيين من أهل أوربا للكلاب لأجل كونها على صورة هذا القديس المكرم.

/١٥/ ان خشبة الصليب وتصاوير الأب الأزلي والابن والروح القدس يسجد لها بالسجود الحقيقي العبادي، وان صور القديسين يسجد لها بالسجود الإكرامي. وإني متحير، ما معنى استحقاق الأشياء الأولية للسجود العبادي، لأن تعظيمهم لخشبة الصليب لا يخلو إما أن يكون ان مثلها قد مسّ جسد المسيح وهو ارتفع عليه بحسب زعمهم، واما لأجل أنها واسطة فدائه، واما لأجل أن دمه سال عليه. فإن كان الأول يلزم أن يكون نوع الحمير

معبوداً لهم أعلى من الصليب عندهم، لأن المسيح عليه السلام ركب على الاتان والجحش ومساجد المسيح وكان موضوعي راحته ودخوله ممجداً الى أورشليم، والحمار يشارك الإنسان في الجنس القريب والحيوانية، فهو جسم نام حساس متحرك بالإرادة بخلاف الخشب الذي ليس له قدرة الحس والحركة. وإن كان الثاني فيهودا الاسخريوطي الدافع أحق بالتعظيم، لأنه الواسطة الأولى والذريعة الكبرى للفداء. فإنه لولا تسليمه لما أمكن لليهود مسك المسيح وصلبه، ولأنه مساوٍ للمسيح عليه السلام في الإنسانية وعلى صورة الإنسان الذي هو صورة الله، وكان ممتلئاً بروح القدس صاحب الكرامات والمعجزات. فالعجب أن هذه الواسطة الأولى عندهم ملعونة، والصغرى مباركة معظمة. وأما الثالث فلأن الشوك المضفور اكليلاً على رأس المسيح عليه السلام قد فاز أيضا بالمنصب الأعلى، وهو سيلان الدم عليه، فما باله لا يُعظم ولا يُعبد، ويُشعل بالنار ؟ وهذا الخشب يُعبد الا أن يقولوا أن هذا سر مثل سر التثليث، والاستحالة له خارج عن ادراك العقول البشرية.
وأفحش منه تعظيم صورة أقنوم الأب، لأنك قد عرفت في الأمر الثالث والرابع من مقدمة الباب الرابع أن الله بريء عن الشبه وما رآه أحد، ولا يقدر أن يراه أحد في الدنيا. فإذا كان كذلك فأي أب من آبائهم رآه فصوره ؟ ومن أين علموا أن هذه الصورة مطابقة لصورته تعالى، وليست مطابقة لصورة شيطان من الشياطين، أو لصورة كافر من الكفار ؟ ولم لا تعبدون كل انسان سواء كان مسلماً أو كافراً لأن الإنسان على صورة الله بحسب نص التوراة ؟ العجب أن الباب يسجد لهذه الصورة الوهمية الجمادية التي لا حس ولا حركة لها، ويحقر صورة الله التي هي الإنسان، ويمد رجله لذلك الإنسان لكي يقبل حذاءه. وما ظهر لي فرق بين هؤلاء أهل الكتاب ومشركي الهند. وجدت عوامهم كعوامهم، وخواصهم كخواصهم في هذه العبادة، وعلماء مشركي الهند يقولون مثل قول علمائهم في الاعتذار. /١٦/ أن البابا هو القاضي الأعلى في الحكم على تفسير معاني الكتب. واخترعت هذه العقيدة في الأجيال المتأخرة، وإلا لما قدر اكستاين وفم الذهب وغيرهما من القدماء، الذين لم يكونوا باباوات ولم يستأذنوهم، أن يفسروا جميع الكتب المقدسة

من تلقاء أنفسهم، وتفاسيرهم قبلت عند جميع كنائس عصرهم. لعل الباباوات حصل لهم هذا القضاء الأعلى بمطالعة تفاسيرهم بعد ما صنفوها. /١٧/ ان الأساقفة والشمامسة ممنوعون من الزواج، ولذلك يفعلون ما لا يفعله المتزوجون، وقاوم في كثير من الأحيان بعض معلميهم اجتهاد الباباوات. فأنقل بعض أقوالهم عن كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثالثة في الصفحة ١٤٤ و١٤٥ : « القديس برنردوس يقول ــ وعظ عدد ٦٦ في نشيد الانشاد ــ نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم والمضجع الذي هو بلا دنس، فملؤها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس. والفاروس بيلاجيوس أسقف سلفا في بلاد البورتكال سنة ١٣٠٠ يقول : يا ليت أن الاكليروسيين لم يكونوا نذروا العفة، ولا سيما اكليروس سبانيا، لأن أبناء الرعية هناك أكثر عددا بيسير من أبناء الكهنوت. ويوحنا أسقف سالتزبرج في الجيل الخامس عشر كتب أنه وجد قسوسا قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وإن أديرة الراهبات متدنسة مثل البيوت المخصوصة للزنا ». انتهى كلامه بلفظه ملخصا. وكيف يعتقد أن العصمة في حقهم إذا كانوا شابين شاربي الخمر ؟ وما نجا روبيل بن يعقوب عليه السلام فزنى ببلهاء سرية أبيه، ولا يهوذا بن يعقوب عليه السلام فزنى بزوجة أبنه، ولا داود عليه السلام فزنى بزوجة أوريا مع كونه ذا زوجات كثيرة، ولا لوط عليه السلام فزنى في حالة خمار الخمر بابنتيه وهكذا. فإذا كان حال الأنبياء وأبنائهم على عقائدهم هكذا، فكيف يُرجى منهم العصمة ؟ بل الحق أن الفاروس بيلاجيوس ويوحنا صادقان في أن أبناء الرعية هناك أكثر عددا بيسير من أبناء الكهنوت، وأن أديرة الراهبات متدنسة مثل البيوت المخصوصة للزنا.

وأمثال هذه المسائل كثيرة أطوي الكشح عن بيانها خوفاً من التطويل فأقول :

لعل هذه المضامين العالية التي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القرآن لاعترفوا بأنه كلام الله وقبلوه، لكنهم لما وجدوه خاليا عنها وعن أمثالها

فكيف يعترفون ويقبلون ؟ لأن المضامين الحسنة المألوفة عندهم هي هذه المضامين وأمثالها، لا المضامين التي ذكرت في القرآن. وأما بعض المضامين التي توجد في القرآن في ذكر الجنة والنار وغيرهما ويزعمون أنها قبيحة فأذكرها إن شاء الله تعالى في الشبهة الثالثة بأجوبتها فانتظر.

الشبهة الثانية : إن القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع فلا يكون كلام الله. **والجواب الأول،** أن هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدها المتصلة الى مصنفيها، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها الهامي، وقد ثبت أنها مختلفة اختلافا معنويا في مواضع كثيرة ومملوأة بالأغلاط الكثيرة يقينا، كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول، وقد ثبت التحريف فيها أيضاً، كما عرفت في الباب الثاني، فلا تضر مخالفتها القرآن في المواضع المذكورة، بل تكون دليلاً على كون المواضع المذكورة غلطا أو محرفة في الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات التي عرفتَها في البابين الأولين. وقد عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من هذا الباب ان هذه المخالفة قصدية لأجل التنبيه على أن مخالف القرآن غلط أو محرف لا أنها سهوية. **والجواب الثاني،** ان المخالفة التي بين القرآن وبين كتب العهدين في ذم القسيسين على ثلاثة أنواع : **الأول** باعتبار الأحكام المنسوخة **والثاني** باعتبار بعض الحالات التي جاء ذكرها في القرآن ولا يوجد ذكرها في العهدين ؟ **والثالث** باعتبار أن بيان بعض الحالات في القرآن يخالف بيان هذه الكتب، ولا مجال لهم أن يطعنوا على القرآن باعتبار هذه الأنواع.

أما الأول، فلأنك قد عرفت في الباب السادس بما لا مزيد عليه أن النسخ لا يختص بالقرآن، بل وجد في الشرائع السابقة بالكثرة، وانه لا استحالة فيه، وان الشريعة العيسوية نسخت جميع أحكام التوراة إلا تسعة أحكام من الأحكام العشرة المشهورة. وقد وقع فيها التكميل أيضاً على زعمهم، والتكميل أيضاً نوع من أنواع النسخ، فصارت هذه الأحكام أيضاً منسوخة بهذا الوجه. فبعد ذلك ليس من شأن المسيحي العاقل أن يطعن على القرآن باعتبار هذا النوع.

وأما الثاني، فهو كالأول أيضاً، وشواهده كثيرة أكتفي منها على ثلاثة عشر شاهدا : **الشاهد الأول** الآية التاسعة من رسالة يهودا هكذا : « وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب ». فمخاصمة ميخائيل ابليس عن جسد موسى لم تذكر في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثاني** ثم في تلك الرسالة هكذا : « ١٤ وتنبأ عن هؤلاء أيضا اخنوع السابع من آدم قائلا هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسية ١٥ ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلّم بها عليه خطاط فجار ». ولا أثر لهذا الخبر أيضاً في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثالث** الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وكان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد ». وهذا الحال مذكور في الباب التاسع عشر من سفر الخروج لكن لا يوجد فيه ولا في كتاب من كتب العهد العتيق هذه الفقرة « حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد ». **الشاهد الرابع** الآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية الى تيموثاوس هكذا : « وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى » الخ. وهذا الحال مذكور في الباب السابع من سفر الخروج، ولا أثر لهذين الاسمين في هذا الباب ولا في باب آخر ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق. **الشاهد الخامس** الآية السادسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس هكذا : « وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا ». ولا يوجد لهذا أثر في انجيل من الأناجيل الأربعة ولا في كتاب أعمال الحوريين، مع أن لوقا أحرص الناس على تحرير أمثال هذه الأحوال. **الشاهد السادس** في الآية الخامسة والثلاثين من الباب العشرين من كتاب الأعمال هكذا : « متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ ». وهذا القول لا يوجد له أثر في انجيل من الأناجيل الأربعة. **الشاهد السابع** لا سيما التي ذكرت في الباب الأول من انجيل متى بعد زربابل لا توجد في كتاب من كتب العهد العتيق. **الشاهد الثامن** في الباب

السابع من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٣ ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بني اسرائيل ٢٤ واذا رأى واحداً مظلوما حامى عنه وأنصف المغلوب إذ قتل المصري ٢٥ فظن أن إخوته يفهمون ان الله على يده يعطيهم نجاة وأما هم فلم يفهموا ٢٦ وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون فساقهم الى السلام قائلا أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضاً ٢٧ فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلا من أقامك رئيساً وقاضياً علينا ٢٨ أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري ؟» وهذا الحال مذكور في الباب الثاني من كتاب الخروج، لكن بعض الأشياء ذكرت في كتاب الأعمال وما جاء ذكرها في كتاب الخروج. وعبارة الخروج هكذا : « ١١ وفي تلك الأيام لما شبَّ موسى خرج الى إخوته وأبصر تعبدهم ورأى رجلا من أهل مصر يضرب رجلا من إخوته العبرانيين ١٢ فالتفت الى الجانبين فلم ير أحد فقتل المصري ودفنه في الرمل ١٣ وإنه خرج من اليوم الثاني ونظر الى رجلين عبرانيين يختصمان فقال للظالم منهما لم تضرب صاحبك ؟ ١٤ فقال له ذلك الرجل من جعلك سلطانا علينا أو قاضيا لعلك تريد قتلي كما بالأمس قتلت المصري ؟» **الشاهد التاسع** الآية السادسة من رسالة يهودا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام ». **الشاهد العاشر** في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطؤا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ». وهذا الحال الذي نقله بطرس ويهودا الحواريان لا يوجد في كتاب من كتب العهد العتيق، بل الظاهر أنه كاذب. لأن الظاهر أن المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين، الشياطين. والشياطين ليسوا بمحبوسين بقيود أبدية، كما يشهد عليه الباب الأول من كتاب أيوب، والآية الثانية عشر من الباب الأول من انجيل مرقس، والآية الثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى لبطرس، وغيرها من الآيات. **الشاهد الحادي عشر** الآية الثامنة عشر من الزبور المائة والرابع على وفق الترجمة العربية، ومن الزبور المائة والخامس على وفق التراجم الاخر هكذا : « وذلّت بالقيود رجلاه، وبالحديد عبرت نفسه » وحال

كون يوسف مسجوناً مذكور في الباب التاسع والثلاثين من سفر التكوين، وليس (ذلت رجليه بالقيود) و(عبرت نفسه بالحديد) مذكورين فيه. ولا يلزم هذان الأمران للمسجون وإن كانا غالبين. **الشاهد الثاني عشر** : في الآية الرابعة من الباب الثاني عشر من كتاب هوشع هكذا : « وغلب الملاك وتقوى وبكى وسأله » الخ. وحال مصارعة الملك يعقوب مذكور في الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين ولا يوجد فيه بكاء يعقوب. **الشاهد الثالث عشر** يوجد في الانجيل ذكر الجنة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها، وإن كان بالإجمال. ولا أثر لهذا في الكتب الخمسة لموسى، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين، والتهديدات الدنيوية للعاصين.

وهكذا يوجد مواضع كثيرة. فظهر مما ذكرنا انه اذا ذكر بعض الأحوال في كتاب ولا يوجد ذكره في الكتاب المتقدم، لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر، وإلا يلزم أن يكون الانجيل كاذباً لاشتماله على الحالات التي لم تذكر في التوراة ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق. فالحق أن الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملا على الحالات كلها. ألا ترى أن أسماء جميع أولاد آدم وشيث وأنوس وغيرهم، وكذا أحوالهم ليست مذكورة في التوراة ؟ وفي تفسير دوالي رجردمينت ذيل شرح الآية الخامسة والعشرين من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الثاني هكذا : « لا يوجد ذكر هذا الرسول يونس إلا في هذه الآية وفي البلاغ المشهور الذي كان الى أهل نينوى، ولا يوجد في كتاب من الكتب اخباراته عن الحوادث الآتية التي جرأ بها يوربعام السلطان على محاربة سلاطين السريا، وسببه ليس منحصراً في أن الكتب الكثيرة للأنبياء لا توجد عندنا، بل سببه هذا أيضا أن الأنبياء لم يكتبوا كثيرا من أخبارهم عن الحوادث الآتية ». انتهى. فهذا القول يدل صراحة على ما قلت. والآية الثلاثون من الباب العشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » والآية الخامسة والعشرين من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ». وهذا الكلام، وإن لم يخل عن المبالغة

الشاعرية لكنه لا شك أنه يفيد أن جميع حالات عيسى عليه السلام ما كتبت. فالطاعن باعتبار النوع الثاني على القرآن حاله كحال الطاعن باعتبار النوع الأول بلا تفاوت.

وأما النوع الثالث[1]، فلأن مثل هذه الاختلافات يوجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض، وبين الأناجيل بعضها مع بعض، وبين الانجيل والعهد العتيق، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ويوجد في النسخ الثلاث للتوراة أعني العبرانية واليونانية والسامرية. وقد حصل لك الاطلاع على بعض الاختلافات أيضا في الباب الثاني، لكن القسيسين من عادتهم انهم يغلّطون عوام المسلمين في كثير من الأوقات بهذه الشبهة. فالأنسب أن أذكر بعض هذه الاختلافات، ولا أخاف من التطويل اليسير لأنه لا يخلو عن الفائدة المهمة.

الاختلاف الأول : إن الزمان من خلق آدم الى زمن الطوفان، باعتبار العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة (١٦٥٦)، وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢)، وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين (١٣٠٧). **الاختلاف الثاني** : إن الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام، باعتبار العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢) وباعتبار اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة (١٠٧٢) وباعتبار السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة (٩٤٢). **الاختلاف الثالث** : يوجد في النسخة اليونانية بين ارفخشد وشالح بطن واحد وهو قينان، ولا يوجد في العبرانية والسامرية ولا في السفر الأول من أخبار الأيام وفي تاريخ يوسيفس. لكن لوقا الانجيلي اعتمد على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح. فيجب على المسيحيين أن يعتقدوا صحة اليونانية وكون غيرها غلطاً لئلا يلزم كذب انجيلهم. **الاختلاف الرابع** : إن موضع بناء الهيكل، أعني المسجد،

---

(١) ذكر المؤلّف في جوابه الثاني علي الشبهة الثانية ثلاثة اعتبارات تحول دون طعن الطاعنين في القرآن. وقد فصّل الكلام في اعتبارين، وهذا هو الاعتبار الثالث.

باعتبار العبرانية جبل عيبال، وباعتبار السامرية جبل جرزيم، وقد عرفتَ حال هذه الاختلافات في الباب الثاني فلا أطوّل الكلام في توضيحها. **الاختلاف الخامس** : إن الزمان من خلق آدم الى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية (٤٠٠٤) وباعتبار اليونانية (٥٨٧٢)، وباعتبار السامرية (٤٧٠٠)، وفي المجلد الأول من تفسير هنري واسكات : « إن اهيلز أخذ التاريخ بعد تصحيح أغلاط يوسيفس واليونانية، وعلى تحقيقه من خلق العالم الى ميلاد المسيح (٥٤١١) ومن الطوفان الى الميلاد (٣١٥٥) ». انتهى. وچارلس روجر في كتابه الذي قابل فيه التراجم الانجيليزية نقل خمسة وعشرين قولا من أقوال المؤرخين في بيان المدة التي من خلق العالم الى ميلاد المسيح والى سنة ألف وثمانمائة وسبع وأربعين. ثم اعترف أنه لا يطابق قولان منها، وان تميز الصحيح عن الغلط محال. وأنا أنقل ترجمة كلامه وأكتفي على بيانها الى ميلاد المسيح، لأن المدة التي بعدها لا اختلاف فيها للمؤرخين فلا حاجة الى نقل الغاية الأخرى :

أسماء المؤرخين	المدة التي من خلق آدم الى ميلاد المسيح	أسماء المؤرخين	المدة التي من خلق آدم الى ميلاد المسيح
(١) ماريانوس سكوتوس	٤١٩٢	(٢) لارنت يوس كودومانوس	٤١٤١
(٣) توماليديت	٤١٠٣	(٤) ميكائيل مستلي نوس	٤٠٧٩
(٥) جي بابِتست رك كيولس	٤٠٦٢	(٦) جيكب سليانوس	٤٠٥٣
(٧) هنري كوس پوندانوس	٤٠٥١	(٨) وليم لينك	٤٠٤١
(٩) ارازمس روبن هولت	٤٠٢١	(١٠) جيكوبوس كپيالوس	٤٠٠٥
(١١) ارج پشب اشر	٤٠٠٣	(١٢) ديوني سيوس پتاويوس	٣٩٨٣
(١٣) پشب بك	٣٩٧٤	(١٤) كرن زيم	٣٩٧١
(١٥) ايلي اس ريوس نيروس	٣٩٧٠	(١٦) جوهانيس كلاوريوس	٣٩٦٨
(١٧) كرستيانوس لونكر مونتانوس	٣٩٦٦	(١٨) فلب ملاتختون	٣٩٦٤
(١٩) جيكب هين لي نوس	٣٩٦٣	(٢٠) الفون سوس سال مرون	٣٩٥٨
(٢١) اسكي ليكر	٣٩٤٩	(٢٢) ميتهيوس برول ديوس	٣٩٢٧
(٢٣) اندرياس هل وي كيوس	٢٨٣٦	(٢٤) الرواج العام لليهود	٣٧٦٠
(٢٥) الرواج العام للمسيحيين	٤٠٠٤		

« ولا يطابق قولان من هذه الأقوال. ومن لم يتأمل في هذا الأمر في حين من

الأحيان يفهم أن هذا الأمر العجيب في غاية الاشكال، لكن الظاهر أن المؤرخين المقدسين لم يريدوا في حين من الأحيان أن يكتبوا التاريخ بالنظم، ولا يمكن الآن لأحد أن يعلم العدد الصحيح ». انتهى كلام چارلس روجر. فظهر من كلامه أن معرفة الصحيح الآن محال جدا، وأن المؤرخين من أهل العهد العتيق أيضا كتبوا ما كتبوا رجما بالغيب، وأن الرائج العام في اليهود يخالف الرائج العام في المسيحيين. فأنصف أيها اللبيب أنه لو فهمت مخالفة القرآن المجيد لتاريخ من تواريخهم المقدسة التي حالها كما عرفتَ لا نشك لأجل هذه المخالفة في القرآن. لا والله. بل نقول ان مقدسيهم غلطوا وكتبوا ما كتبوا، سيما إذا لاحظنا تواريخ العالم جزمنا أن تحرير مقدسيهم في أمثال هذه الأمور ليس له إلا رتبة الظن والتخمين. ولذلك لا نعتمد على هذه الأقوال الضعيفة.

قال العلّامة تقي الدين أحمد بن المقريزي في المجلد الأول من تاريخه ناقلا عن الفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : « وأما نحن ــ يعني أهل الإسلام ــ فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا. ومن ادَّعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح. بل صح عنه عليه الإسلام خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى. قال الله تعالى : ﴿ **مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ** ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض ». وهذه نسبة من تدبَّرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر علماً أن للدنيا أمداً لا يعلمه ألا الله تعالى ». انتهى كلامه بلفظه، وهو مختار الفقير أيضا. والعلم التام عند الله وهو أعلم.

---

(١) سورة الكهف (٥١).

الاختلاف السادس : إن الحكم الحادي عشر الزائد على الأحكام العشرة المشهورة يوجد في السامرية ولا يوجد في العبرانية. **الاختلاف السابع** : الآية الأربعون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فكأن جميع ما سكن بنو اسرائيل في أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة ». والصحيح ما فيهما، وما في العبرانية غلط يقيناً. **الاختلاف الثامن** : في الآية الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال قائين لهابيل أخيه، ولما صار في الحقل ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « وقال قائين لهابيل أخيه تعالى نخرج الى الحقل. ولما صارا في الحقل ». والصحيح ما فيهما عند محققيهم. **الاختلاف التاسع** : في الآية السابعة عشر من الباب السابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض ». وفي اليونانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوما وليلة على الأرض ». والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف العاشر** : في الآية الثامنة من الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « حتى تجتمع الماشية ». وفي السامرية واليونانية وكني كات والترجمة العربية لهيوبي كينت هكذا : « حتى تجتمع الرعاة ». والصحيح ما في هذه الكتب لا ما في العبرانية. **الاختلاف الحادي عشر** : في الآية الثانية والعشرين من الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وضاجع بلها سَرِيَّة أبيه فسمع اسرائيل ». وفي اليونانية هكذا : « وضاجع بلها سَرِيَّة أبيه فسمع اسرائيل وكان قبيحاً في نظره ». والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف الثاني عشر** : في أول الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين توجد في اليونانية هذه الجملة (لما سرقتم صواعي) ولا توجد في العبرانية والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف الثالث عشر** : في الآية الخامسة والعشرين من الباب الخمسين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « فاذهبوا بعظامي من ههنا ». وفي اليونانية والسامرية هكذا : « فاذهبوا بعظامي من ههنا معكم ». **الاختلاف الرابع عشر** : في آخر الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني من

سفر الخروج في اليونانية هذه العبارة : « وولدت أيضا غلاماً ثانياً ودعا اسمه لعازار فقال من أجل أن اله أبي أعانني وخلصني من سيف فرعون ». ولا توجد في العبرانية. والصحيح ما في اليونانية، وأدخلها مترجمو العربية في تراجمهم. **الاختلاف الخامس عشر** : في الآية العشرين من الباب السادس من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فولدت له هرون وموسى ». وفي السامرية واليونانية هكذا : « فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما ». والصحيح ما فيهما. **الاختلاف السادس عشر** : توجد في آخر الآية السادس من الباب العاشر من سفر العدد في الترجمة اليونانية هذه العبارة : « وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيام الغربية للارتحال، وإذا نفخوا مرة رابعة ترفع الخيام الشمالية للارتحال ». ولا توجد في العبرانية. والصحيح ما في اليونانية. **الاختلاف السابع عشر** : توجد في النسخة السامرية في الباب العاشر من سفر العدد ما بين الآية العاشرة والحادية عشر هذه العبارة : « قال الرب مخاطبا لموسى انكم جلستم في هذا الجبل كثيراً، فارجعوا وهلموا الى جبل الامورانيين وما يليه الى العرباء والى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن، والى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان، والى النهر الأكبر نهر الفرات. هوذا أعطيتكم الأرض فادخلوا ورثوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ولخلفكم من بعدكم ». انتهت. ولا توجد هذه العبارة في العبرانية. قال المفسر هارسلي في الصفحة ١٦١ من المجلد الأول من تفسيره : « توجد في النسخة السامرية ما بين الآية العاشرة والحادية عشر من الباب العاشر من سفر العدد العبارة التي توجد في الآية السادسة والسابعة والثامنة من الباب الأول من سفر الاستثناء وظهر هذا الأمر في عهد پروكوبيس ».

الاختلاف الثامن عشر : في الباب العاشر من كتاب الاستثناء في العبرانية هكذا : « ٦ ثم ارتحل بنو اسرائيل من بيروت بني يعقن الى موشرا، ومات هناك هرون، وقبر هناك ثم قبر بعده العازار ابنه ٧ ومن ثم أتوا الى غدغاد، وارتحلوا من هناك، وحلوا في يطبشا أرض المياه والسواقي ٨ في ذلك الزمان اعتزل سبط لاوي ليحمل التابوت الذي فيه ميثاق الرب، ويقوم قدامه في

الخدمة، ويبارك باسمه حتى الى هذا اليوم ». وهذه العبارة تخالف عبارة الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد في تفصيل المراحل. وتوجد في السامرية في كتاب الاستثناء أيضا العبارة التي في سفر العدد. وعبارة سفر العدد هكذا : « ٣٠ وارتحلوا من حشمونا واتوا مشروت ٣١ ومن مشروت نزلوا في بني عقان ٣٢ وارتحلوا من بني عقان، وأتوا جبل جدجاد ٣٣ وارتحلوا من ثم ونزلوا في يطبث ٣٤ ومن يطبث أتوا عفرونا ٣٥ وارتحلوا من عفرونا ونزلوا في عصينجير ٣٦ وارتحلوا من ثم وأتوا برية سين، فهذه هي قادس ٣٧ وارتحلوا من قادس في هور الطور الذي في أقصى أرض أدوم ٣٨ ثم صعد هرون الحبر الى هور الجبل عن أمر الرب، فمات هناك في سنة أربعين من خروج بني اسرائيل من مصر في الشهر الخامس في اليوم الأول من الشهر ٣٩ وهرون يومئذ ابن مائة وثلاث وعشرين سنة ٤٠ وسمع الكنعاني ملك غارد الذي كان يسكن التيمن في أرض كنعان أن جاء بنو اسرائيل ٤١ ثم ارتحلوا من هورالطور ونزلوا في صلمونا ٤٢ وارتحلوا من ثم وأتوا فينون ». الخ. ونقل آدم كلارك في الصفحة ٧٧٩ و٧٨٠ من المجلد الأول من تفسيره في شرح الباب العاشر من كتاب الاستثناء تقرير كني كات في غاية الاطناب وخلاصته : « أن عبارة المتن السامري صحيحة، وعبارة العبري غلط، وأربع آيات ما بين الآية الخامسة والعاشرة أعني الآية السادسة الى التاسعة ههنا أجنبية محضة، لو أسقطت ارتبط جميع العبارة ارتباطا حسنا. فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب ههنا. وكانت من الباب الثاني من كتاب الاستثناء ». انتهى. وبعد نقل هذا التقرير أظهر رضاه عليه وقال : « لا يعجل في انكار هذا التقرير ». أقول : يدل على الحاقية الآيات الأربع الجملة الأخيرة التي توجد في آخر الآية الثامنة.

الاختلاف التاسع عشر : الآية الخامسة من الباب الثاني والثلاثين من كتاب الاستثناء في العبرانية هكذا : « هم أخربوا نفوسهم، عيبهم ليس عيباً يكون على أبنائه، هم الجيل الأعوج المتعسف ». وفي اليونانية والسامرية هكذا: « أخربوهم ليسوا له هم أبناء الغلط والعيب ». وفي تفسير هنري واسكات : « هذه العبارة أقرب الى الأصل ». انتهى. وقال المفسر هارسلي

في الصفحة ٢١٥ من المجلد الأول هكذا : « فلتقرأ هذه الآية على وفق السامرية واليونانية. وهينولي كينت وكني كات والمتن العبري محرف ههنا ». انتهى. وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٤٨ هكذا : « أخطوا اليه وهو بريء من أبناء القبائح أيها الجيل الأعوج الملتوي ».

الاختلاف العشرون : الآية الثانية من الباب العشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته انها أختي ووجه أبي ملك ملك جرارا وأخذها ». وفي تفسير هنري واسكات ان هذه الآية في اليونانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته انها اختي، لأنه كان خائفاً من أن يقول انها امرأته ظانا أن أهل البلدة يقتلونه بسببها، فوجه أبي ملك سلطان فلسطين أناساً وأخذها ». انتهى. فهذه العبارة (لأنه كان خائفا من أن يقول انها امرأته ظاناً أن أهل البلدة يقتلونه بسببها) لا توجد في العبرانية.

الاختلاف الحادي والعشرون : توجد في الباب الثلاثين من سفر التكوين بعد الآية السادسة والثلاثين هذه العبارة في السامرية : « وقال ملك الرب ليعقوب : يا يعقوب. فقال : لبيك. قال الملك : ارفع طرفك وانظر الى التيوس والفحول التي تضرب النعاج والمعز، فإنهم بلقاء ومشمرة ومنقطة. فقد رأيت ما فعل بك لابـان أنا إله بيت ايل حيث مسحت قائمة الحجر ونذرت لي نذراً. والآن قم فاخرج من هذه الأرض الى أرض ميلادك ». ولا توجد في العبرانية.

الاختلاف الثاني والعشرون : توجد بعد الجملة الأولى من الآية الثالثة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هذه العبارة في النسخة السامرية « وقال موسى لفرعون الرب : يقول اسرائيل ابني بل بكري، فقلت لك اطلق ابني ليعبدني، وأنت أبيت أن تطلقه ها أناذا سأقتل إبنك بكرك ». ولا توجد في العبرانية.

الاختلاف الثالث والعشرون : الآية السابعة من الباب الرابع والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « يجري الماء من دلوه وذريته بماء كثير،

فيتعالى من أجاج ملكه وترفع مملكته ». وفي اليونانية : « ويظهر منه انسان وهو يحكم على الأقوام الكثيرة وتكون مملكته أعظم من مملكة أجاج وترتفع مملكته ».

الاختلاف الرابع والعشرون : توجد في الآية الحادية والعشرين من الباب التاسع من سفر الأحبار في العبرانية هذه الجملة : « كما أمر موسى ». وتوجد بدلها في اليونانية والسامرية هذه الجملة : « كما أمر الرب موسى ».

الاختلاف الخامس والعشرون : الآية العاشرة من الباب السادس والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « ففتحت الأرض فاها وابتلعت قورح في موت الجماعة مع المائتين والخمسين الذين أحرقتهم النار وكانت آية عظيمة ». وفي السامرية هكذا : « وابتلعتهم الأرض ولما ماتت الجماعة وأحرقت النار قورح مع المائتين والخمسين فصار عبرة ». وفي تفسير هنري واسكات : « أن هذه العبارة مناسبة للسياق وللآية السابعة عشر من الزبور المائة والسادس ». انتهى.

الاختلاف السادس والعشرون : استخرج محققهم المشهور ليكلرك اختلافات بين السامرية والعبرانية وقسمها الى ستة أقسام : **القسم الأول**، الاختلافات التي فيها السامرية أصح من العبرانية وهي أحد عشر اختلافا. **والقسم الثاني**، الاختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحة ما في السامرية، وهي سبعة اختلافات. **والقسم الثالث**، الاختلافات التي توجد فيها زيادة في السامرية، وهي ثلاثة عشر اختلافا. **والقسم الرابع**، الاختلافات التي فيها حرفت السامرية والمحرف محقق فطن، وهي سبعة عشر اختلافاً. **والقسم الخامس**، الاختلافات التي فيها السامرية ألطف مضمونا، وهي عشرة اختلافات. **والقسم السادس**، الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة، وهما اختلافان. وتفصيل الاختلافات المذكورة هكذا :

القسم الأول، أحد عشر اختلافاً

في سفر التكوين ٩
درس ٤ باب ٢
و٣ باب ٧ و١٩
باب ١٩ و٢ باب
٢٠ و١٦ باب
٢٣ و١٤ باب
٣٤ و١٠ و١١
باب ٤٩ و٢٦
باب ٥٠

في سفر الخروج ٢
٢ باب ١ و٢ باب ٤

القسم الثاني، سبعة اختلافات

سفر التكوين ٦
٤٩ باب ٣١ و٢٦
باب ٣٥ و١٧ باب
٣٧ و٣٤ و٤٣
باب ٤١ و٣ باب ٤٧

سفر الاستثناء ١
٥ باب ٣٢

القسم الثالث، ثلاثة عشر اختلافاً

في سفر التكوين ٣
١٥ باب ٢٩ و٣٦
باب ٣٠ و١٦ باب
٤١

في سفر الأحبار ٢
١٠ باب ١ و٤ باب
١٧

في سفر الخروج ٧
١٨ باب ٧ و٢٣
باب ٨ و٥ باب
٩ و٢٠ باب ٢١ و٥
باب ٢٢ و١٠ باب
٢٣ و٩ باب ٣٢

في سفر الاستثناء ١
٢١ باب ٥

القسم الرابع، سبعة عشر اختلافاً

في سفر التكوين ١٣
٢ باب ٢ و١٠ باب
٤ و٥ باب ٩ و١٩
باب ١٠ و٢١ باب
١١ و٣ باب ١٨
و١٢ باب ١٩ و١٦
باب ٢٠ و٣٨
و٥٥ باب ٢٤ و٧
باب ٣٥ و٦ باب
٣٦ و٥٠ باب ٤١

في سفر الخروج ٣
٥ باب و٦ باب ١٣
و٥ باب ١٥

في سفر العدد ١
٣٢ باب ٢٢

القسم الخامس، عشرة اختلافات

في سفر التكوين ٦
٨ باب ٥ و٣١ باب
١١ و٩ باس ١٩
و٣٤ باب ٢٧ و٤
باب ٣٩ و٢٥ باب
٤٣

في سفر العدد ١
١٤ باب ٤

في سفر الخروج ٢
٤٠ باب ١٢ و١٧
باب ٤٠

في سفر الاستثناء ١
١٦ باب ٢٠

القسم السادس، اختلافان

في سفر التكوين ٢
١٦ باب ٢٠ و١٤
باب ٢٥

قال محققهم المشهور هورن في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٨٢ : « إن المحقق المشهور ليكلرك قابل العبرانية بالسامرية بالجد

والتدقيق واستخرج هذه المواضع، وفي هذه المواضع للسامرية بالنسبة الى العبرانية نوع صحة ». انتهى. ولا يظن أحد انحصار مواضع المخالفة بين العبرانية والسامرية في الستين، على ما حقق ليكلرك. لأن الاختلاف الرابع والثامن والعاشر والخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر والثاني والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين ليست بداخلة في هذه الستين، بل مقصود ليكلرك ضبط المواضع التي فيها مخالفة كثيرة بين النسختين عنده. ولم يدخل في هذه الستين مما ذكرت إلا أربعة اختلافات. فاذا أخذنا جميع الاختلافات المذكورة في الشواهد الستة والعشرين بعد اسقاط المشترك صار اثنين وثمانين شاهدا من الاختلافات التي بين النسخ الثلاث للتوراة. فاكتفي عليها، ولا أذكر الاختلافات التي بين العبرانية واليونانية بالنسبة الى الكتب الأخرى من العهد العتيق خوفا من التطويل. وهذا القدر يكفي اللبيب. وظهر أن قول الطاعن باعتبار النوع الثالث أيضا ساقط عن الاعتبار بمثل سقوطه باعتبار النوعين الأولين[1].

الشبهة الثالثة : يوجد في القرآن أن الهداية والضلال من جانب الله تعالى، وأن الجنة مشتملة على الأنهار و الحور والقصور، وأن الجهاد على الكفار مأمور به. وهذه المضامين قبيحة تدلّ على أن القرآن ليس كلام الله. وهذه الشبهة أيضاً من أقوى شبههم قلّما تخلو رسالة من رسائلهم تكون في ردّ أهل الإسلام ولا توجد فيها هذه الشبهة، ولهم في بيانها، على قدر اختلاف أذهانهم، تقريرات عجيبة يتحير الناظر من تعصباتهم بعد ملاحظة هذه التقريرات.

أقول في الجواب عن الأمر الأول، أنه قد وقع في مواضع من كتبهم المقدسة أمثال هذا المضمون، فيلزم عليهم أن يقولوا ان كتبهم المقدسة ليست من جانب الله يقيناً. وأنا أنقل بعض الآيات عنها ليظهر الحال للناظر.

---

(١) انتهى المؤلّف هنا من تعداد الاختلافات الواردة في كتب العهد القديم والتي يتضمَّنها الاعتبار الثالث، وذلك في متن جوابه الثاني على الشبهة الثانية. وها هو، في الفقرة التالية، يستأنف ذكر الشبهات والردِّ عليها.

الآية الحادية والعشرون من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « وقال له الرب وهو راجع إلى مصر : انظر جميع العجائب التي وضعتها بيدك، أعملها قدام فرعون، فأنا أُقسِّي قلبه فلا يطلق الشعب ». ثم قول الله في الآية الثالثة من الباب السابع من سفر الخروج هكذا : « اني أقسي قلب فرعون واكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر ». وفي الباب العاشر من سفر الخروج هكذا : « ١ وقال الرب لموسى أدخل عند فرعون لأني قسَّيت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع به آياتي هذه ٢٠ وقسَّى الرب قلب فرعون ولم يطلق بني اسرائيل ٢٧ فقسَّى الرب قلب فرعون ولم يشأ أن يرسلهم ». وفي الآية العاشرة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هكذا : « وقسَّى الرب قلب فرعون فلم يرسل بني اسرائيل من أرضه ». فظهر من هذه الآيات أن الله كان قد قسى قلوب فرعون وعبيده لتكثير معجزات موسى عليه السلام في أرض مصر. والآية الرابعة من الباب التاسع والعشرين من كتاب الاستثناء هكذا : « ولم يعطكم الرب قلبا فهيما ولا عيونا تنظرون بها ولا آذاناً تسمعون بها حتى اليوم ». والآية العاشرة من الباب السادس من كتاب اشعيا هكذا : « أعمِ قلبَ هذا الشعب وثَقِّلْ آذانه وغَمِّضْ عيونه، لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفهم بقلبه ويتوب، فأشفيه ». والآية الثامنة من الباب الحادي عشر من الرسالة الرومية هكذا : « كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيونا لا يبصرون بها وآذانا لا يسمعون بها حتى اليوم ». وفي الباب الثاني عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لم يقدروا أن يؤمنوا، لأن اشعيا قال أيضا قد عمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم ». فعُلم من التوراة وكتاب أشعيا والانجيل أن الله أعمى عيون بني اسرائيل وأغلظ قلوبهم وأثقل آذانهم لئلا يتوبوا فيشفيهم. فلذلك لا يبصرون الحق ولا يتفكرون فيه ولا يسمعونه، ولا يزيد معنى ختم الله على القلوب والسمع على هذا. والآية السابعة عشر من الباب الثالث والستين من كتاب اشعيا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك، أقسيت قلوبنا أن لا نخشاك، فالتفتْ بسبب عبيدك سبط ميراثك ». والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال في التراجم

المسطورة هكذا : « والنبي إذا ضلّ وتكلم بكلام، فأنا الرب أضللت ذلك النبي وأمد يدي عليه وأهلكه من بين شعبي اسرائيل ». فوقع في كلام اشعيا صراحة (أضللتنا يا رب وأقسيت قلوبنا)، وفي كلام حزقيال (انا الرب أضللت ذلك النبي). وفي الباب الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول هكذا : « ثم قال ميخا أيضا من أجل هذا فاسمع قول الرب رأيت الرب جالسا على كرسيه وجميع أجناد السماء قياما حوله عن يمينه وعن شماله ٢٠ فقال الرب من يخدع أخاب ملك اسرائيل فيصعد ليسقط براموث جلعاد، وقال بعضهم قولا، وقال بعضهم قولا آخر ٢١ فخرج روح وقام قدام الرب، وقال أنا أخدعه، فقال له الرب بماذا ؟ ٢٢ فقال أنا أخرج فأكون روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائه. فقال له الرب تخدع وتقدر على ذلك، اخرج وافعل كذلك ٢٣ والآن قد جعل الرب روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائك — وكانوا نحو أربعمائة — هؤلاء، والرب قال عليك بالشر ». وهذه الرواية صريحة في أن الله تعالى يجلس على كرسيه وينعقد عنده محفل المشاورة للاغواء والخدع (كما ينعقد محفل يارلمنت في لندن لأجل بعض أمور السلطنة) فيحضر جميع أجناد السماء. فبعد المشاورة يرسل روح الضلالة فيقع هذا الروح في الأفواه ويضل الناس. فانظر أيها اللبيب إذا كان الله وأجناد السماء يريدون إغواء الانسان، فكيف ينجو الانسان الضعيف ؟ وههنا عجب آخر، وهو أن الله شاور وأرسل روح الضلالة بعد المشاورة ليخدع أخاب، فكيف أظهر ميخا الرسول سر محفل الشورى ونبه أخاب عليه ؟

وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي هكذا : « ١١ ولأجل هذا — أي لعدم قبولهم محبة الحق — سيرسل اليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ١٢ لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم ». فمقدسهم ينادي أن الله يرسل الى الهالكين عمل الضلال أوّلا، فيصدقون الكذب فيدينهم، وإذا فرغ المسيح عليه السلام من توبيخ المدن التي لم يتب أهلها فقال : « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك ». كما هو مُصرَّح في الباب الحادي عشر من انجيل

متى. فالمسيح عليه السلام يصرح أن الله أخفى الحق عن الحكماء، فأظهره للأطفال، ويُحمد على هذا الأمر، ويقول وكان رضا الله هكذا. والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعيا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « المصوّر النور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشر أنا الرب الصانع هذه جميعها ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ هكذا : (سازنده نور وآفريننده تاريكي منم صلح دهنده وظاهر كننده شرمنكه خداوندم اين همه أشيارابو جودمى آرم). وفي الآية الثامنة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي ارمياء هكذا : « أمن فم الرب لا يخرج الشر والخير ؟» وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ : (اياخير وشراز دهان خدا صادرنمي شود؟). والاستفهام انكاري، والمراد ان الخير والشر كلاهما يصدران عن الله تعالى. وفي الآية الثانية عشر من الباب الأول من كتاب ميخا في التراجم المذكورة هكذا : « فإن الشر نزل من قبل الرب الى باب أورشليم ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ : (أماهربدي بردر وازه أورشليم أزخد أوند نازل شد). فظهر أن خالق الشر هو الله تعالى، كما هو خالق الخير. وفي الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا : « ٢٩ لأن الذين عرفهم بسبق علم قصدهم أن يكونوا شركاء لشبه ابنه ليكون هو بكر الاخوة كثيرين ٣٠ والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً » الخ. وفي الباب التاسع من الرسالة المذكورة : « ١١ وهما لم يولدا بعد، ولا فعلا خيرا وشرا لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار، ليس من الأعمال بل من الذي يدعو ١٢ قيل لها ان الكبير يستعبد للصغير ١٣ كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو ١٤ فماذا نقول ؟ ألعل عند الله ظلماً ؟ حاشا ١٥ لأنه يقول لموسى ارحمْ مَنْ أرحم وترأفْ على مَنْ أترأف ١٦ فاذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى، بل الله الذي يرحم ١٧ لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي يُنادى باسمي في كل الأرض ١٨ فاذن هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء ١٩ فستقول لي لماذا يلوم بعد لأن من يقاوم مشيئته ٢٠ بل من أنت أيها الانسان الذي تجاوب الله لعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ؟ ٢١ أم ليس

للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اناء للكرامة وآخر للهوان ؟». فهذه العبارة من مقدسهم كافية لاثبات القدر، وكون الهداية والضلال من جانبه. وَلَنِعْمَ ما قال أشعيا عليه السلام في الآية التاسعة من الباب الخامس والأربعين من كتابه : « الويل لمن يخالف جابله خزف من خزاف الأرض. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ هل يقول عملك ليس اليدان لك ؟» وبالنظر الى هذه الآيات لعل مقتدي فرقة پروتستنت لوطر مال الى الجبر كما يدل عليه ظاهر كلامه. ذكر في الصفحة ٢٧٧ من المجلد التاسع من كاتلك هرلد أقوال المقتدى الممدوح. فانقل عنها قولين ١ « طبع الانسان كالفرس ان ركبه الله يمشي كما يريد الله، وإن ركبه الشيطان يمشي كان يمشي الشيطان. وهو لا يختار راكباً من نفسه، بل يجتهد الركبان أن أيا منهم يحصله ويتسلط عليه ». ٢ « إذا وجد أمر في الكتب المقدسة بأن افعلوا هذا الأمر، فافهموا أن هذه الكتب تأمر عدم فعل هذا الأمر الحسن لأنك لا تقدر على فعله ». انتهى. فالظاهر من كلامه أنه يعتقد الجبر. وقال القسيس طامس انكلس كاتلك في الصفحة ٣٣ من كتابه المسمى بمرآة الصدق المطبوع سنة ١٨٥١ طاعنا على فرقة پروتستنت هكذا : « وعاظهم القدماء علموهم هذه الأقوال المكروهة: /١/ إن الله موجد العصيان /٢/ وان الانسان ليس مختارا على أن يجتنب عن الاثم /٣/ وان العمل على الأحكام العشرة غير ممكن /٤/ وان الكبائر وإن كانت عظيمة لا توصل الانسان الى النقص في نظر الله /٥/ وإن الايمان فقط ينجي الانسان لأننا ندان بالإيمان فقط، وهذا التعليم أنفع، وتعليم مملوء بالطمأنينة /٦/ وإن أب اصلاح الدين ـــ يعني لوطر ـــ قال آمنوا فقط واعلموا يقيناً أنه يحصل لكم النجاة بلا مشقة الصوم، وبلا مؤنة التقوى، وبلا مشقة الاعتراف، وبلا مشقة الأمور الحسنة، ولكم نجاة نفيسة بلا شبهة كما للمسيح نفسه. أذنبوا بالجرأة التامة، أذنبوا وآمنوا فقط، وينجيكم الايمان. وإن ابتليتم في يوم واحد ألف مرة بالزنا أو القتل آمنوا فقط. أنا أقول ان إيمانكم ينجيكم ». انتهى. فظهر أن ما قال علماء پروتستنت في الأمر الأول في حق القرآن مردود بلا شبهة مخالف لكتبهم المقدسة، ولقول مقتداهم. ولا يلزم من خلق الشر أن يكون الله شريراً، كما لا يلزم من

خلق السواد والبياض وغيرهما من الأعراض أن يكون أسود أو أبيض. والحكمة في خلق الشر كما هي في خلق الشيطان الذي هو أصل الشرور ورأس المفاسد، مع علم الله الأزلي بأن الشيطان يصدر عنه كذا وكذا، وكما هي في خلق الشهوة والحرص في طبع الانسان مع علمه الأزلي بما يترتب عليهما في كل فرد من افراد الانسان، وكما كان الله قادراً على أن لا يخلق الشيطان أو يخلقه ولا يعطيه القدرة على الإغواء ويمنعه عن الشر، ومع ذلك خلق ولم يمنعه عن الشر لحكمة ما، فكذلك قادر على أن لا يخلق الشر، لكنه في خلقه له حكمة ما.

وأما الجواب عن الأمر الثاني، فهو أنه لا قبح في كون الجنة مشتملة على الحور والقصور وسائر النعيم عند العقل. ولا يقول أهل الإسلام أن لذَّات الجنة مقصورة على اللذات الجسمانية فقط، كما يقول علماء پروتستنت غلطاً أو تغليطاً للعوام، بل يعتقدون بنص القرآن أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية، والأولى أفضل من الثانية، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين. قال الله في سورة التوبة : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[1]. فقوله ورضوان من الله الآية، معناه أن رضوانا من الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره من الجنات والأنهار والمساكن الطيبة. وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطي الله في الجنة هي اللذات الروحانية، وإن كان يعطي اللذات الجسمانية أيضا. ولذلك قال ذلك هو الفوز العظيم، لأن الإنسان مخلوق من جوهرين لطيف علوي وكثيف سفلي جسماني، وانضم اليهما حصول سعادة وشقاوة. فاذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية، كان الروح فائزا بالسعادات اللائقة به، والجسد واصلا الى السعادات اللائقة به، ولا شك أن ذلك هو الفوز العظيم. وإن قال علماء پروتستنت أن اجتماعهما أيضا في الجنة

(١) سورة التوبة (٧٢).

قبيح في عقولنا، أقول لهم : لا تضطربوا فإنه لا يحصل لكم إن شاء الله. وقد عرفت في الباب الأول أن الانجيل عندنا عبارة عما أنزل على عيسى عليه السلام فقط، فلو وُجد في قول من الأقوال المسيحية ما يخالف ظاهره حكم القرآن، فمع قطع النظر عن أنه مروي برواية الآحاد، وعن أن مخالفة كتبهم المقدسة لا تضرّ القرآن، كما عرفتَ في جواب الشبهة الثانية، أقول ان ذلك القول يكون مؤوّلا البتة. وكون أهل الجنة كالملائكة في زعمهم لا ينافي الأكل والشرب على حكم كتبهم. ألا يرون أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لابراهيم وأحضر لهم ابراهيم عليه السلام عجلا حينذا وسمنا ولبنا أكلوا هذه الأشياء كما صُرح به في الباب الثامن عشر من سفر التكوين ؟ وان الملكين اللذين جاءا الى لوط عليه السلام وصنع لهما وليمة وخبزا فطيراً أكلا، كما صُرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين ؟ والعجب أنهم لما اعترفوا بالحشر الجسماني، فأي استبعاد في اللذات الجسمانية ؟ نعم لو كانوا منكرين للحشر مطلقا كمشركي العرب، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني، ومعترفين بالحشر الروحاني، كاتباع ارسطو، لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر. وعندهم تجسد الله وما انفك عنه الأكل والشرب وسائر اللوازم الجسدانية، باعتبار أنه إنسان. ولما لم يكن عيسى عليه السلام مرتاضاً مثل يحيى في الاجتناب عن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر كان المنكرون يطعنون عليه بأنه أكول وشريب، كما هو مُصرَّح به في الباب الحادي عشر من انجيل متى. وعندنا هذا الطعن مردود لكنا نقول انه لا شك أن عيسى عليه السلام، باعتبار الجسمية، كان انساناً فقط. فكما أن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر ما كانا مانعين في حقه عليه السلام عن اللذات الروحانية مع كونه في هذه الدار الدنيا، بل كان على حضرته غلبة الأحكام الروحانية، فكذلك اللذات الجسمانية لا تكون مانعة عن اللذات الروحانية لأهل الجنة مع كونهم في النشأة الأخرى.

وأما الجواب عن الأمر الثالث : فيجيء في الباب السادس إن شاء الله، لأن الجهاد في مطاعن النبي ﷺ عندهم من أعظم المطاعن فاذكره في المطاعن هناك.

الشبهة الرابعة : إن القرآن لا يوجد فيه ما يقتضيه الروح ويتمناه.

والجواب : إن ما يقتضيه الروح ويتمناه أمر أن الاعتقادات الكاملة والأعمال الصالحة والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه، كما عرفت في جواب الشبهة الأولى. ولا يلزم من عدم بعض الأمور التي هي مقتضيات الروح على زعم علماء پروتستنت نقصان القرآن، كما لا يلزم نقصان التوراة والانجيل والقرآن من عدم الأمر الذي هو مقتضى الروح، على زعم علماء مشركي الهند من البراهمة، كما سمعت منهم أنهم يقولون إنّ ذَبْحَ الحيوان لأجل الأكل والتلذذ خلاف مقتضى الروح وغير مستحسن عند العقل جداً، ولا يتصور أن يحصل له الإجازة فيه من جانب الله، فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله.

الشبهة الخامسة : يوجد في القرآن الاختلافات المعنوية. مثلاً قوله : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ...** ﴾[1]، وقوله في سورة الغاشية : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ** ﴾[2]، وقوله في سورة النور : ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ** ﴾[3]. وهذه الآيات تخالف الآيات التي فيها أمر الجهاد. ووقع في أكثر الآيات أن المسيح انسان ورسول فقط، ووقع في موضع بضدها أنه ليس من جنس البشر، بل منزلته أعلى منه. الأول قوله في سورة النساء : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللهِ وَكَلِمَتُهُ ٱلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...** ﴾[4]، والثاني قوله في سورة التحريم : ﴿ **وَمَرْيَمَ بْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...** ﴾[5] وهذان الاختلافان من أعظم الاختلافات في زعم القسيسين.

---

(١) سورة البقرة (٢٥٦).

(٢) سورة الغاشية (٢١ ــ ٢٣).

(٣) سورة النور (٥٤).

(٤) سورة النساء (١٧١).

(٥) سورة التحريم (١٢).

ولذا اكتفى عليهما صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الثالث منه.

وأقول : في الجواب عن الاختلاف الأول، أن هذا ليس باختلاف بل هذا الحكم كان قبل الجهاد، فلما نزل حكم الجهاد نسخ هذا الحكم. والنسخ ليس باختلاف معنوي، وإلا يلزم أن يكون بين الانجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلاف معنوي، وكذا في نفس أحكام التوراة، وكذا في نفس أحكام الانجيل، كما عرفتَ في الباب الثالث بما لا مزيد عليه. على أن قوله تعالى (لا إكراه في الدين) ليس بمنسوخ. وقد عرفتَ الجواب عن الاختلاف الثاني في الأمر السابع من مقدمة الكتاب. وظهر لك هناك أن القولين المذكورين لا يدلان على أن عيسى بن مريم ليس من جنس البشر، وفَهْمُ هذا المعنى وَهْمٌ صرف وظنٌّ فاسد. والعجب من هؤلاء العقلاء أنهم لا يرون الاختلافات والاغلاط التي وقعت في كتبهم، كما علمتَ بعضا منها في الفصل الثالث من الباب الأول.

الفصل الثالث

في إثبات صحة الأحاديث النبوية المروية
في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة

وهذا الفصل مشتمل على ثلاث فوائد.

الفائدة الأولى : جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفا وخلفا الروايات اللسانية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتبار أزيد من المكتوب، وفرقة كاتلك تعتبرها مساوية له، وتعتقدُ أنَّ كليهما واجبا التسليم، واصلان للإيمان. وجمهور پروتستنت من المسيحيين أنكروها، كما أنكرها الصادوقيون من فرقة اليهود. وهؤلاء المنكرون من پروتستنت كانوا مضطرين في إنكارها، لأنهم لو لم ينكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة. لكنهم مع ذلك يحتاجون اليها في مواضع كثيرة، ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة، كما سيظهر لك جميع هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

قال آدم كلارك في شرح ديباجة كتاب عزرا في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٧٥١ : « قانون اليهود كان منقسماً على نوعين : مكتوب، ويقولون له التوراة، وغير مكتوب، ويقولون له الروايات اللسانية التي وصلت اليهم بواسطة المشايخ ويدَّعون أن الله كان أعطى موسى كلا النوعين على

جبل الطور، فوصل الينا أحدهما بواسطة الكتابة، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلا بعد جيل ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويان في المرتبة ومن جانب الله واجبا التسليم، بل يرجحون الثاني، ويقولون ان القانون المكتوب ناقص مغلق في كثير من المواضع، ولا يمكن أن يكون أصل الإيمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية. وهذه الرواية واضحة وأكمل وتشرح القانون المكتوب وتكمله. ولهذا يردون معاني القانون المكتوب إذا كانت مخالفة للروايات اللسانية. واشتهر فيما بينهم ان العهد المأخوذ من بني اسرائيل ما كان لأجل القانون المكتوب، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية. فكأنهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب وجعلوا الروايات اللسانية مبنى دينهم وإيمانهم. كما أن الرومانيين الكاثوليكيين في ملتهم اختاروا هذه الطريقة، ويفسرون كلام الله على حسب هذه الروايات. وإن كان هذا المعنى الروايتي مخالفاً لمواضع كثيرة ووصلت حالتهم في زمان ربنا الى مرتبة الزمهم الرب في هذا الأمر بأنهم يبطلون كلام الله لأجل سنتهم ومن عهد الرب، أفرطوا فيه جدا حتى عظموا هذه الروايات أزيد من المكتوب. وفي كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب من ألفاظ التوراة، وألفاظ التوراة بعضها جيدة، وبعضها غير جيدة، وألفاظ المشايخ كلها جيدة، وألفاظهم أجود جدا من ألفاظ الأنبياء. ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية التي وصلت إليهم بواسطة المشايخ. وأيضا في كتبهم أن القانون المكتوب كالماء، ومسنا وطالموت الذين رواياتهم مضبوطة فيهما مثل الخمر ذات الابازير. وأيضاً في كتبهم أن القانون المكتوب كالملح، ومسنا وطالموت مثل الفلفل والابازير العذبة. ومثلها أقوال أخر يُعلم منها أنهم يعظمون الروايات اللسانية أزيد من القانون المكتوب، ويفهمون كلام الله على ما يفهم شرحه من هذه الروايات. فكان القانون المكتوب عندهم بمنزلة الجسد الميت، والروايات اللسانية بمنزلة الروح الذي به الحياة. ويقولون في كون هذه الروايات أصلا أن الله أعطى موسى التوراة فأعطاه معاني التوراة أيضا، وأمر أن يكتب الأول ويحفظ الثاني ويبلغه بالرواية اللسانية فقط. وهكذا تنقل جيلاً بعد جيل. ولذلك يطلقون على الأول لفظ القانون المكتوب، وعلى الثاني لفظ القانون اللساني.

والفتاوى التي تكون مطابقة لهذه الروايات يسمونها قوانين موسى التي حصلت على جبل سيناء. ويدّعون كما أن موسى حصل له التوراة في الأربعين يوماً التي كانت المكالمة بينه وبين الله على جبل سيناء، فكذلك حصلت له هذه الروايات اللسانية أيضاً، وجاء بهما موسى من الجبل وبلغهما الى بني اسرائيل، بأن طلب هرون في الخيمة بعد ما رجع عن الجبل، فعلمه القانون المكتوب أولا، ثم الروايات اللسانية التي هي معاني القانون المكتوب، كما وجدهما من الله. وقام هرون بعدما تعلم وجلس على يمين موسى، ودخل العازار وايتامار ابنا هرون وتعلما، كما تعلم أبوهما وقال، فجلس أحدهما على يسار موسى والآخر على يمين هرون. فدخل المشايخ السبعون وتعلموا القانونين وجلسوا في الخيمة، ثم تعلم الناس الذين كانوا مشتاقين للتعليم. ثم قام موسى وقرأ هرون ما تعلم وقام، ثم قرأ العازار وايتامار وقام، ثم قرأ المشايخ السبعون ما تعلموا على الناس، فسمع كل من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات وحفظوا حفظاً جيدا. ثم أخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بني اسرائيل فبلغوا القانون المكتوب بواسطة الكتابة وبلغوا معانيها بالرواية الى الجيل الثاني.
وكانت الأحكام في المتن المكتوب ستمائة وثلاثة عشر، فقسموا القانون بحسبها. ويقولون ان موسى جمع بني اسرائيل كلهم في أول الشهر الحادي عشر من السنة الأربعين من خروج مصر وأخبرهم بموته وأمر بأن احدا ان نسي قولا من القانون الإلهي الذي وصل بواسطتي اليه يجيء اليّ ويسألني، وكذلك إن كان لأحد اعتراض على قول من أقوال القانون يجيء إليَّ لأرفع ذلك الاعتراض. وكان مشتغلا بالتعليم الى حياته الباقي، يعني من أول الشهر الحادي عشر الى السادس من الشهر الثاني عشر، وعلم القانون المكتوب وغير المكتوب وأعطى بنى اسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة نسخة مكتوبة بيده، بأن أعطى كل فرقة فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما بينهم جيلا بعد جيل، وأعطى بني لاوي نسخة أخرى أيضاً لتبقى محفوظة أيضاً في الهيكل، وقرأ القانون الغير المكتوب أعني الروايات اللسانية على يوشع وصعد على جبل نبو في اليوم السابع من الشهر ومات هناك وفوَّض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات الى المشايخ، وهم فوّضوا الى الأنبياء. فكان نبي يوصلها

الى نبي آخر الى أن أوصل ارمياء الى باروخ، وباروخ الى عزرا، وعزرا الى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادق آخرهم، وهو أوصل الى اينيتي كونوس، وهو الى يوثي بن يختان، وهو الى يوسي بن يوسير، وهو الى نتهان الاريلي ويوشع ابن برخيا، وهما الى يهودا بن يحيى وشمعون بن شطاه، وهما الى شمايا وابي طليون، وهما الى هلل وهو الى ابنه شمعون، والمظنون أن شمعون هذا هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجي على اليدين إذ جاءت مريم به الى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها، وهو أوصل الى كملئيل ابنه، وكملئيل هذا هو الذي تعلم منه بولس، وهو أوصل الى شمعون ابنه، وهو الى كملئيل ابنه، وهو الى شمعون ابنه وهو الى رب يهودا حق دوش ابنه. وجمع يهودا هذا هذه الروايات في كتاب سماه مسنا ». انتهى. ثم قال : « ان اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيماً بليغا ويعتقدون أن ما فيه هو كله من جانب الله أوحي الى موسى على جبل سيناء، مثل القانون المكتوب. ولهذا هو واجب التسليم مثله. ومنذ صنف هذا الكتاب صار رائجاً بينهم رواجاً تاماً بالدرس والتدريس، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحين أحدهما في القرن الثالث في أورشليم، والثاني في ابتداء القرن السادس في بابل واسم كل من هذين الشرحين كمرالان — معنى كمرا في اللغة الكمال — وقد حصل التوضيح التام للمتن في هذين الشرحين في ظنهم، وإذا جمع الشرح والمتن يقال هذا المجموع طالموت، ويقال للتمييز طالموت أورشليم وطالموت بابل. وكان مذهبهم الرائج الآن كله مندرجاً في هذين الطالموتين اللذين كتب الأنبياء خارجة عنهما. ولما كان طالموت أورشليم مغلقاً، فلذلك الآن اعتبار طالموت بابل عندهم زائد ». انتهى.

وقال هورن في الباب السابع من الحصة الأولى من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ : « مسنا كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفة وشروح متون الكتب المقدسة وظنهم في حقه أن الله لما أعطى موسى التوراة على جبل طورسيناء أعطاه هذه الروايات أيضا في ذلك الحين ووصلت من موسى الى هرون والعازار ويوشع، ومنهم الى الأنبياء الآخرين، ومن هؤلاء الأنبياء الى المشايخ الآخرين. وهكذا وصلت من جيل الى جيل،

الى أن وصلت الى شمعون. وهذا شمعون هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجي على يديه، ووصلت منه الى كملئيل، ومنه الى يهودا حق دوش أي المقدس، وهو جمعها في آخر القرن الثاني بمشقة في أربعين سنة في كتاب، وهذا الكتاب من هذا الوقت بطنا بعد بطن مستعمل في اليهود. وكثيرا ما يكون عزة هذا الكتاب زائداً على الثانون المكتوب ». انتهى. ثم قال : « على مسنا شرحان يسمى منهما كمرا. أحدهما كمرا أورشليم الذي كتب في أورشليم على رأي بعض المحققين في القرن الثالث وعلى رأي فادرمون في القرن الخامس، والثاني كمرا بابل الذي كتب في القرن السادس في بابل. وكمرا هذا مملوء بالحكايات الواهية. لكنه عند اليهود معتبر عظيم. ودرسه وتدريسه رائجان فيهم، ويرجعون اليه في كل مشكل مذعنين بأنه مرشد لهم. ويقال كمرا لأن معنى كمرا الكمال. وظنهم أن هذا الشرح كمال التوراة، ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه، ولا حاجة الى شرح آخر. وإذا انضم بالمتن كمرا أورشليم يقال للمجموع طالموت أورشليم، وإذا انضم به كمرا بابل يقال للمجموع طالموت بابل ». انتهى.

فظهر من تحرير هذين المفسرين أربعة أشياء : **الأول** : ان اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة، بل كثيرا ما يعظمونها تعظيماً زائداً عليه، ويفهمون أنها بمنزلة الروح والتوراة بمنزلة الجسد. وإذا كان حال التوراة هكذا فكيف حال الكتب الأخر ؟ **والثاني** : إن هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش في آخر القرن الثاني، وكانت محفوظة بالحفظ اللساني الى ألف وسبعمائة سنة. ووقع على اليهود في أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهي جسيمة مثل حادثة بختنصر وانيتوكس وطيطوس وغيرها، بحيث انقطع التواتر في هذه الحوادث وضاعت الكتب، كما عرفتَ في الباب الثاني، ومع ذلك عندهم اعتبارها أزيد من التوراة. **والثالث** : إن هذه الروايات في أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد مثل كملئيل الأول والثاني، وشمعون الثاني والثالث، وهؤلاء ما كانوا من الأنبياء عند اليهود، وكانوا عند المسيحيين من أشدّ الكفار المنكرين للمسيح، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود مبنى الإيمان وأصل العقائد، وعندنا الحديث الصحيح المروي برواية الآحاد لا يكون مبنى العقائد.

والرابع : إن كمرا بابل لما كتب في القرن السادس فحكاياته الواهية، على قول هورن، كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط الى مدة هي أزيد من ألفين.

فاذا عرفتَ حال اليهود باعتراف محققي فرقة پروتستنت، فاعلم الآن حال جمهور القدماء المسيحية. قال يوسي بيس الذي تاريخه معتبر عند علماء كاتلك وپروتستنت في الباب التاسع من الكتاب الثاني من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٨ في الصفحة ٨٧ في بيان حال يعقوب الحواري : « إن كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ في كتابه السابع في بيان حال يعقوب هذا. والظاهر أن كليمنس نقل هذه الحكاية عن الروايات اللسانية التي وصلت اليه من الآباء والأجداد ». ثم نقل في الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أرينيوس في الصفحة ١٢٣ : « كنيسة أفسس التي بناها بولس، وأقام فيها يوحنا الحواري الى عهد سلطنة ترجان شاهد ذو إيمان لأحاديث الحواريين ». ثم نقل في تلك الصفحة قول كليمنس : « إسمعوا في حق يوحنا الحواري حكاية ليست بكاذبة، بل هي صادقة محققة بقيت في الصدور محفوظة ». ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٢٦ : « تلاميذ المسيح مثل الحواريين الاثني عشر والسبعين رسولا وكثير من أناس آخرين لم يكونوا غير واقفين على الحالات المذكورة ــ أي الحالات التي كتبها الانجيليون ــ لكن كتبها منهم متى ويوحنا فقط. وعلم من الرواية اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة ». ثم قال في الباب الثامن والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٢ : « كتب أرينيوس في كتابه الثالث حالاً هو حري بأن يكتب ووصل اليه هذا الحال من پوليكارب بالرواية اللسانية ». ثم قال في الباب الخامس من الكتاب الرابع في الصفحة ١٤٧ : «لم أرَ حالَ أساقفة أورشليم بالترتيب في كتاب، لكنه ثبت بالرواية اللسانية أنهم بقوا مدة قليلة ». ثم قال في الباب السادس والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٨ : « وصل الينا بالرواية اللسانية أنهم لما أذهبوا اكناثيوت الى الروم ليقتلوه بالقائه بين أيدي السباع لأجل كونه مسيحيا، ومرَّ يايشيا في حفاظة العسكريين فقوى الكنائس المختلفة في اثناء الطريق بنصائحه وأقواله، وأخبرهم عن البدعات التي كانت منتشرة في تلك الأيام أو كانت حدثت،

ووصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصوقا قوياً، واستحسن أيضاً لأجل زيادة الحفظ أن كتب هذه الروايات وأثبت شهادته عليها ». ثم قال في الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٤٢ : « قال بي پس في ديباجة كتابه : أكتب لانتفاعكم جميع الأشياء التي وصلت من المشايخ التي وحفظتها بعد التحقيق التام ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها، لأني ما رضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيرا ويعلمون نصائح أخرى أيضا، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلمون ألا النصائح الحقة التي هي مروية من ربنا الصادق، ومَنْ لقيته من متبعي المشايخ سألته عن هذا أن اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو ثوما أو يعقوب أو متى أو شخص آخر من تلاميذ ربنا أو أرستيون أو القسيس يوحنا مريد ربنا ماذا قال، لأن الفائدة التي حصلتها من ألسنة الأحباء ما حصلتها من الكتب ». ثم قال في الباب الثامن من الكتاب الرابع في الصفحة ١٥١ : « هجيسي بوس من مؤرخي الكنيسة مشهور، ونقلت عن تأليفاته أشياء كثيرة نقلها عن الحواريين بالروايات اللسانية، وكتب هذا المصنف مسائل الحواريين التي وصلت اليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة في خمس كتب ». ثم نقل في الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول ارينيوس في بيان حال پوليكارب في الصفحة ١٥٨ : « علَّم پوليكارب دائما ما تعلمه من الحواريين وبلغته الكنيسة بالرواية وكانت مسئلة صادقة ». ثم نقل في الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول أرينيوس فهرست أساقفة الروم، وقال في الصفحة ٢٠١ : « الآن الى تهيروس اسقفها الثاني عشر من السلسلة التي وصل الينا بواسطتها الصدق والروايات اللسانية من الحواريين ». ثم نقل في الباب الحادي عشر من الكتاب الخامس قول كليمنس في الصفحة ٢٠٦ : « ما كتبت هذه الكتب لطلب الرفعة بل لظن كبرسني، ولأن تكون ترياقات لنسياني جمعتها على طريق التفسير كأنها شروح للمسائل الإلهامية التي صرت بها معظما بعد ما تعلمتها من الصادقين المباركين، ومنهم بوني كوس الذي كان في يونان والثاني الذي كان يقيم في ميكنيا كريشيا، كان أحدهما سريانيا والآخر مصريا، وكان الباقون من سكان المشرق. كان واحد منهم أسوريا،

وواحد منهم عبرانيا من أهل فلسطين، والشيخ الذي وصلت آخرا الى خدمته كان مختفياً في مصر وكان أفضل من المشايخ كلهم، وما طلبت شيخا آخر بعده لأن أحدا ما كان أفضل منه. وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التي هي منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلا بعد جيل ». ثم نقل في الباب العشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس في الصفحة ٢١٩ : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التام وكتبتها في صدري لا في القرطاس وعادتي من قديم الأيام أني أكررها بالديانة ». ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخامس من الصفحة ٢٢٢ : « كتب پولي كراتيس الأسقف رواية وصلت اليه بالرواية اللسانية في كتابه الذي أرسله الى وكتر وكنيسة الروم ». ثم قال في الباب الخامس والعشرين من الكتاب الخامس في الصفحة ٢٢٦ : « ناركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين، وأسقف كنيسة اسورو اسقف تولمائي كلاروس، والأشخاص الآخرون الذين جاؤا مع هؤلاء الأساقفة، قدموا أمورا كثيرة في حق الرواية التي وصلت اليهم في باب عيد الفصح من الحواريين منقولة بالرواية اللسانية جيلا بعد جيل، وكتبوا في آخر الكتاب أن أرسلوا نقوله الى الكنائس لئلا يبقى للذين يضلون عن الصراط المستقيم سريعا موضع الفرار ». ثم قال في الباب الثالث عشر من الكتاب السادس في بيان حال كليمنس اسكندريانوس الذي كان من أتباع تابعي الحواريين في الصفحة ٢٤٦ : « انه قال في كتابه الذي ألف في بيان عيد الفصح، ان الأحباء طلبوا مني أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التي سمعتها من الأساقفة ». ثم قال في الباب الحادي والثلاثين من الكتاب السادس في الصفحة ٢٦٣ : « ايفريكاتوس في رسالته التي هي موجودة الى هذا الحين وكان أرسلها الى ارستيديس، يبين التطبيق بين بياني متى ولوقا في نسب المسيح باعتبار الرواية التي وصلت اليه من الآباء والأجداد ». انتهى كلامه. وعُلم من أقواله السبعة عشر أن القدماء المسيحية كانوا يعتبرون الرواية اللسانية اعتبارا عظيماً.

قال جان ملتر كاتلك في كتابه الذي طبع في بلد دربي سنة ١٨٤٣ في رسالته العاشرة التي أرسلها الى جيمس برون : « إني كتبت فيما قبل أيضا أن

مبنى إيمان كاتلك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط، بل أعم مكتوبا كان أو غيره مكتوب، يعني الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة كاتلك به ». ثم قال في تلك الرسالة : « إن أرينيوس قال في الباب الخاسم من المجلد الثالث من كتابه انه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا في كل كنيسة عن الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله ». ثم قال في تلك الرسالة : « أن ارينيوس قال في الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه ان ألسنة الأقوام وإن كانت مختلفة لكن حقيقة الرواية اللسانية في كل موضع متحدة. كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس واسبانيا والمشرق ومصر وليبيا ». ثم قال في تلك الرسالة : « ان ارينيوس قال في الباب الثاني من المجلد الثالث، ولما كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضي الى التطويل، فلذلك نرجع الى رواية وعقيدة كنيسة الروم التي هي قديمة وعظيمة ومشهورة جدا وبناها بطرس وبولس، والكنائس كلها موافقة لها، لأن الروايات اللسانية المنقولة عن الحواريين جيلا بعد جيل كلها محفوظة فيها ». ثم قال في تلك الرسالة : « إن ارينيوس قال في الباب الرابع والستين من الكتاب الرابع : ولو فرضنا أن الحواريين لم يتركوا الكتب لنا، فنقول انه اما كان لازما علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالرواية اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وكانوا سلموها للناس الذين سلموها للكنيسة، وهذه الروايات هي التي يعمل بحسبها الوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد ». ثم قال في تلك الرسالة : « ان ترتولين قال في كتابه الذي ألفه في رد أهل البدعة وطبع في بلد رهنان في الصفحة ٣٦ و٣٧ إن عادة أهل البدعة أنهم يتمسكون بالكتب المقدسة ويستدلون ويقولون انه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئاً قابلا لأن يجعل مبنى الإيمان ويقال بحسبه، ويعجزون بهذه الحيلة الأقوياء ويلقون الضعفاء في شبكاتهم ويوقعون المتوسطين في الشك. ولذا نقول لا تجيزوا هؤلاء أبداً أن يناظروا مستدلين بالكتب المقدسة، لأنه لا تترتب على المباحثة التي تكون بالكتب المقدسة فائدة ما غير أن يصير الدماغ والبطن خاليين. فلذلك طريقة الرجوع الى الكتب المقدسة غلط، لأنه

لا يحصل انفصال أمر من هذه الكتب، وإن حصل شيء يكون على الوجه الناقص. ولو لم يكن هذا الأمر أيضا كانت طريقة المباحثة في تلك الصورة أيضا أن يحقق أولا أن الكتب المقدسة علاقتها من أي الناس وبلغ أي شخص الى أي شخص في أي وقت الرواية التي صرنا بسببها مسيحيين، لأن الموضع الذي يوجد فيه أحكام الدين المسيحي وعقائده يوجد فيه صدق الانجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحي التي هي لسانية ». ثم قال في تلك الرسالة : « إن أرجن قال انه لا يليق بنا أن نعتبر الناس الذين ينقلون عن الكتب المقدسة، ثم يقولون ان الكلام في بيتكم فانظروا فيه، لأنه لا يليق بنا أن نترك الرواية الأولى التي في الكنيسة، أو نعتقد غير ما بلغ الينا كنائس الله برواية مسلسلة ». ثم قال في تلك الرسالة : « كتب باسليوس أن المسائل الكثيرة محفوظة في الكنيسة يوعظ بها، أخذت بعضها من الكتب المقدسة، وبعضها من الروايات اللسانية، وقوتهما في الدين مساوية. ومَنْ كان له وقوف مّا على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا ». ثم قال في تلك الرسالة : « قال أبي فانيس في كتابه الذي ألفه في مقابلة المبتدعين : ولنستعمل الرواية اللسانية لأن جميع الأشياء لا توجد في الكتب المقدسة ». ثم قال في تلك الرسالة : « ان كريزاستم صرح في شرح الآية الرابعة عشر من الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي : ظهر من هذا صراحة أن الحواريين لم يبلغوا الأشياء كلها الينا بواسطة التحرير، بل بلغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضا وكلتاهما متساويتان في الاعتبار. ولذلك فلنلاحظ أن رواية الكنيسة منشأ الإيمان. وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب زائدا عليه ». ثم قال في تلك الرسالة : « ان اكستائن كتب في حق الشخص الذي حصل له الاصطباغ من المبتدعين انه وإن لم يوجد السند التحريري في هذا الباب ـــ لكنه فليلاحظ أن هذا الرسم أخذ من الرواية اللسانية، لأن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحواريين قرروها وهي ليست بمكتوبة ». ثم قال في تلك الرسالة : « إن الأسقف ون سنت قال : فليفسر المبتدعون الكتب المقدسة على وفق رواية الكنيسة العامة ». انتهى كلامه. وعُلم من أقواله الاثني عشر أن الروايات اللسانية مبنى إيمان فرقة كاتلك، وكانت معتبرة عند القدماء. وفي

الصفحة ٦٣ من المجلد الثالث من كاتلك هرلد : « أورد رب موسى قدسي شواهد كثيرة على أن متن الكلام المقدس لا يفهم بدون معونة الحديث والرواية اللسانية. واقتدى مشايخ كاتلك بهذه القاعدة في كل وقت. وقال ترتولين : فليرجع لادراك الشيء الذي علم المسيح والحواريين الى الكنائس التي بناها الحواريون وعلموها بتحريراتهم ورواياتهم اللسانية ». انتهى.

فعُلم من هذه العبارات المذكورة أن اليهود عندهم تعظيم الروايات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة، وأن جمهور القدماء المسيحية مثل كليمنس وأرينيوس وهجيسي بوس وپوليكارب وپولي كراتيس وتاركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس وكلاروس وكليمنس اسكندريانوس وايفريكانوس وترتولين وارجن وباسلنوس وابي فانيس وكريزاستم واكستاين وون سنت الأسقف وغيرهم كانوا يعظمون الروايات اللسانية ويعتبرونها. واكناثيوس كان من وصاياه في آخر عمره التشبث بالروايات اللسانية تشبثا قويا. وكليمنس قال في وصف مشايخه : انهم حفظوا الروايات الصادقة المروية عن بطرس ويعقوب ويوحنا ويولس جيلا بعد جيل. وأبي فانيس قال : الفائدة التي حصلتها من ألسنة الاحياء ما حصلتها من الكتب. وارينيوس قال سمعت الأحاديث بفضل الله بالامعان التام وكتبتها في صدري لا في القرطاس وعادتي من قديم الأيام أني أكررها دائما بالديانة. وقال أيضاً : إنه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا في كل كنيسة عن الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله. وقال أيضا : لو فرضنا أن الحواريين لم يتركوا الكتب لنا فنقول انه أما كان لازما علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين. وارجن وترتولين يلومان على منكري الأحاديث وباسليوس قال المسائل المأخوذة من الكتب المقدسة والمأخوذة من الأحاديث كلتاهما متساويتان في القوة. وكريزاستم قال كلتاهما متساويتان في الاعتبار، ورواية الكنيسة منشأ الإيمان، وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب زائدا عليه. واكستائن صرح أن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحواريين قرروها، وأنها ليست بمكتوبة.

فالانصاف أن رد الجميع لا يخلو عن تعصب وجهل ويكذب هذا الأمر

انجيلهم أيضا : في الآية الرابعة والثلاثين من الباب الرابع من انجيل مرقس هكذا : « وبدون مَثَل لم يكن يكلمهم، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء ». ويبعد أن لا يكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مروية، وأن يكون الحواريون محتاجين الى التفسير، ومعاصرونا لا يكونون كذلك. والآية الخامسة والعشرون من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ». وكلام الانجيل، وإن لم يخل عن المبالغة والغلو، لكنه لا شك أن قوله وأشياء أخر كثيرة يشمل جميع أفعال المسيح، معجزات كانت أو غيرها، ويبعد أن لا يكون شيء منها مروياً بالرواية اللسانية. والآية الخامسة عشر من الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي هكذا : « فاثبتوا اذا أيها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا ». وقوله (سواء كان بالكلام أم برسالتنا) يدل صراحة على أن بعض الأشياء وصلت اليهم بواسطة التحرير، وبعضها بالكلام مشافهة. فلا بدّ أن يكون كلاهما معتبرين عند المسيحيين، كما صرح كريزاستم في شرح هذا الموضع على ما عرفت. وفي الآية الرابعة والثلاثة من الباب الحادي عشر من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « فأما سائر الأشياء فسأوصيكم بها إذا قدمت اليكم ». ومن البيِّن أن هذه الأشياء الباقية أوصاهم بها شفاها عندما جاء اليهم، وهذه لم تكتب ويبعد أن لا يكون شيء منها مروياً. والآية الثالثة عشر من الباب الأول من الرسالة الثانية الى تيموثاوس هكذا : « تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع ». فقوله (الذي سمعته مني) يدل على أنه سمع بعض الأشياء شفاهاً. والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة المذكورة هكذا : « وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون كفؤا أن يعلموا آخرين أيضا ». فهنا مقدسهم يأمر تيموثاوس أن يعلم الأناس الأمناء الأحاديث التي سمعها منه، وأن يعلم الأمناء أناساً آخرين فلا بد أن تكون هذه الروايات مروية. وفي آخر الرسالة الثانية ليوحنا هكذا : « إذ كان لي كثير لأكتب اليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر،

لأني أرجو أن آتي اليكم وأتكلم بالفم لكي يكون فرحنا كاملاً ». وفي آخر الرسالة الثالثة هكذا : « وكان لي كثير لأكتبه لكنني لست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم ولكنني أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم بالفم ». فهاتان الآيتان تدلان على أن يوحنا قال في المشافهة أشياء كثيرة على ما وعد، ويبعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية.

فظهر مما ذكرنا أن مَنْ أنكر من فرقة پروتستنت اعتبار الأحاديث مطلقا في الملة المسيحية فهو إما جاهل أو متعسف عنيد، وقوله مخالف لكتبه المقدسة ولجمهور علمائه من القدماء، وهو داخل في زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء. ومع ذلك لا بدّ له من اعتبارها في كثير من هوسات فرقته مثل أن الابن مساوٍ للاب في الجوهر، وأن الروح القدس منشق من الأب والابن، وان المسيح ذو طبيعتين واقنوم واحد، وانه ذو ارادتين الهية وانسانية، وانه بعدما مات نزل الجحيم وغيرها من هوساتهم. مع أن هذه الكلمات لا توجد بعينها في العهد الجديد، وما اعتقدوا هذه الأمور إلا من الأحاديث والتقليدات. وأيضا يلزم عليه أن ينكر كثيرا من أجزاء كتبه المقدسة، مثل أن ينكر انجيل مرقس ولوقا، وتسعة عشر بابا من كتاب أعمال الحواريين لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي، كما عرفت في الباب الأول، ومثل أن ينكر خمسة أبواب من الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين من سفر الامثال، لأنها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم، وما بين زمان الجمع وموت سليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة. الآية الأولى من الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور هكذا : « هذه أيضا أمثال سليمان التي استكتبتها أصدقاء حزقيا ملك يهوذا ». قال آدم كلارك المفسر في تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ ذيل شرح هذه الآية : « يُعْلم أن في آخر هذا السفر أمثالا جُمعت بأمر حزقيا السلطان من الروايات اللسانية التي كانت جارية من عهد سليمان، فجمعوا هذه الأمثال منها، وجعلوها ضميمة هذا السفر. ويمكن أن يكون المراد باحباء حزقيا اشعيا وشنيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا في ذلك العهد. فتكون تلك الضميمة مثل السفر الباقي سندا، وإلا كيف ضموها بالكتاب المقدس ». انتهى. فقوله

(جُمعت بأمر حزقيا السلطان من الروايات اللسانية) صريح فيما قلت. وقوله (ويمكن أن يكون المراد الخ) مردود لأنه مجرد احتمال لا يتمّ على المخالف بدون السند الكامل وليس عنده سند، بل يقول احتمالا ورجما بالغيب. وقوله (كيف ضموها بالكتاب المقدس) مردود، لأن اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار التوراة. فاذا صارت التوراة سندا عندهم معتبراً مع أنها جُمعت من روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريباً، وكذا صارت قصص كمرا بابل معتبرة، مع أنها جُمعت بعد ألفي سنة، فأي مانع من اعتبار الأبواب الخمسة التي جُمعت بعد مائتين وسبعين سنة ؟ ولقد أنصف بعض المحققين من علماء پروتستنت واعترف أن الروايات اللسانية أيضا معتبرة مثل المكتوبة. في الصفحة ٦٣ من المجلد الثاني من كاتلك هرلد هكذا : « إن داكتر بريت الذي هو من فضلاء پروتستنت قال في الصفحة ٧٣ من كتابه إن هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة أنَّ الدين العيسوي صار مفوّضاً الى الأساقفة الأولين وتابعي الحواريين بالرواية اللسانية، وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه، ويفوّضوه الى الجيل المتأخر. ولا يثبت من كتاب مقدس، سواء كان كتاب بولس أو غيره من الحواريين، انهم كتبوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دَخْلٌ في النجاة، وجعلوا قانونا يُفهم منه أنه لا يوجد فيه شيء ضروري له دخل في النجاة غير المكتوب ». وقال في الصفحة ٣٢ و٣٣ من الكتاب المذكور : « ترى بولس وغيره من الحواريين انهم كما بلغوا الينا الأحاديث بواسطة التحرير، كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضا. والويل للذين لا يحافظونهما. والأحاديث العيسوية في أمر الإيمان سند كالمكتوب». انتهى كلام داكتر بريت. وقال أسقف مون نيك : « ان أحاديث الحواريين سند كمكتوباتهم، ولا ينكر أحد من پروتستنت أن تقرير الحواريين اللساني أزيد من تحريرهم». وقال جلنك ورتهم : « ان هذا النزاع ـــ أن أي انجيل قانوني وأي انجيل ليس قانوني ـــ يزول بالرواية اللسانية التي هي قاعدة الانصاف لكل نزاع ». انتهى كلام كاتلك هرلد وقال القسيس طامس انكلس كاتلك في الصفحة ١٨٠ و١٨١ من كتابه المسمى بمرآة الصدق المطبوع سنة ١٨٥١ : « يشهد أسقف ماني سيك من علماء پروتستنت أن ستمائة أمر

قررها الله في الدين، وتؤمر الكنيسة بها، ويُقبل في حقها أن الكتاب المقدس ما بيَّنها في موضوع وما علّمها ». انتهى. فعلى اعتراف هذا الفاضل ستمائة أمر ثبتت بالرواية اللسانية وواجبة التسليم عند فرقة پروتستنت.

الفائدة الثانية :[1] هذا الأمر ظاهر بالتجربة الصحيحة أن الأمر العجيب أو المهتم بشأنه يكون محفوظاً لأكثر الناس، وخلافه لا يبقى محفوظا غالبا لعدم الاهتمام. ولذلك إذا سألت الناس، الذين لا يكونون متعوّدين على أكل طعام واحد مخصوص أو أطعمة مخصوصة، ماذا أكلتم أمس أو قبل أمس، لا يكون هذا محفوظاً لأكثرهم غالبا لعدم الاهتمام بهذا الأمر وعدم كونه عجيباً أو عظيماً. وهكذا الحال في أكثر الأفعال العامة والأقوال العامة. وإذا سألت عن حال الكوكب الذي كان من ذوات الأذناب وظهر في شهر صفر سنة ١٢٥٩ من الهجرة وشهر مارس سنة ١٨٤٣ من الميلاد وكان ظاهرا في الجوّ الى شهر وكان في غاية الطول، يكون محفوظا للكثيرين من ناظريه، وإن لم يكن شهر ظهوره وعامه محفوظين لهم، وقد مضت عليه مدة أزيد من إحدى وعشرين سنة. وكذلك حال الزلازل العظيمة والمحاربات الشديدة والأمور النادرة. ولما كان اهتمام المسلمين بحفظ القرآن في كل قرن، يوجد فيهم من حفاظ القرآن في هذا العصر أيضا أزيد من مائة ألف في الديار الإسلامية كلها، وإن زالت سلطنة أهل الإسلام من أكثر أقطار الممالك، ووقع الفتور في الأمور الدينية في أكثر أقطارهم ومَنْ كان شاكاً في هذا الأمر من المسيحيين فليجرِّبْ وليدْخُلْ في الجامع الأزهر فقط، فيجد في كل وقت أكثر من ألف حافظ من حُفَّاظ القرآن الذي حفظوه بالتجويد التام. ولو تتبع قرى مصر لا يجد قرية من قرى أهل الإسلام تكون خالية عن حُفَّاظ القرآن ووجد كثيراً من البغَّالين والحمَّارين من أهل مصر أيضا حافظين للقرآن. فإنْ أنصفَ اعترف البتة أن هؤلاء الحمارين والبغالين فائقون في هذا الباب على البابا والأساقفة

---

(١) جعل المؤلّف هذا الفصل ثلاث فوائد. وما سبق كان تفصيلاً للفائدة الأولى، وهي ذي الفائدة الثانية. فلنتابعه.

والقسوس الذين يوجدون شرقا وغربا في هذا الزمان الذي هو زمان شيوع العلم في المسيحيين، فضلا عن القرون السالفة المسيحية من الجيل السابع الى الجيل الخامس عشر التي كان الجهل فيها بمنزلة شعار العلماء في تلك القرون، على اعتراف علماء پروتستنت. وظني أنه لا يوجد في جميع ديار أوروبا كلها عشرة من حفاظ الانجيل أو التوراة أو كليهما، بحيث يساوي حفظهم لأحدهما أو لكليهما حفظ هؤلاء البغالين والحمارين للقرآن. وقد عرفتَ في الفائدة الأولى قول ارينيوس أنه قال : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التام وكتبتها في صدري لا في قرطاس، وعادتي من قديم الأيام أني أكررها بالديانة ». وقال أيضا : « ألسنة الأقوام وإن كانت مختلفة، لكن حقيقة الرواية اللسانية متحدة في كل موضع. فإن كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس واسبانيا والمشرق ومصر وليبيا ». وقال وليم ميور في الباب الثالث من تاريخ كليسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ : « القدماء المسيحية ما كان عندهم عقيدة مكتوبة من عقائد الإيمان التي اعتقادها ضروري للنجاة. وكانت تُعَلَّمُ للأطفال وللذين كانوا يدخلون في الملة المسيحية تعليماً لسانياً. وهذه العقائد كانت متحدة قرباً وبعداً، ثم لما ضبطوها بالكتابة وقابلوها ووجدوها مطابقة، وما وجدوا فيها غير الاختلاف القليل اللفظي، وما كان فرق في أصل المطلب ». انتهى كلامه. فَعُلم أن الأمر الذي يكون مهتما بشأنه يكون محفوظاً ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة طويلة. وهذا الأمر ظاهر في القرآن. وقد مضت مدة ألفين ومائتين وثمانين سنة، وهو كما أنه محفوظ بواسطة الكتابة في كل قرن، فكذلك محفوظ في كل قرن أيضا بواسطة صدور ألوف من الرجال. وأكثر فرق المسيحيين في هذا الزمان أيضا، بحيث لو لاحظنا حال كبار علمائهم وخواصهم فضلا عن عوامهم، وجدناهم أنه لا يحصل لهم تلاوة كتبهم المقدسة. قال المعلم ميخائيل مشاقة من علماء پروتستنت في خاتمة كتابه المسمى بالدليل الى طاعة الانجيل المطبوع سنة ١٨٤٩ في الصفحة ٣١٦ : « إنني ذات يوم سألت كاهنا ــ من كهنة كاتلك ــ أن يجيبني بالصدق عن مطالعة الكتاب المقدس، وكم مرة قرأه في مدة حياته، فقال انه كان يقرأ أحياناً، وربما جملة

أسفار لم يقرأها. ولكن منذ اثنتي عشرة سنة لأجل انهماكه في خدمة الرعية لم يبق له فرصة المطالعة فيه. ولا يخلو أن كثيرين من الشعب يعرفون جهالة هؤلاء الاكليرس، ولكنهم مع ذلك ينقادون الى ارشادهم في المنع عن مطالعة الكتب المفيدة التي ترشدهم اليها ». انتهى كلامه بلفظه.

الفائدة الثالثة : الحديث الصحيح أيضا معتبر عند أهل الإسلام على الوجه الذي سنفصله. ولما كان قول رسول الله ﷺ « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » متواتراً رواه اثنان وستون صحابيا منهم العشرة المبشرة، كان أهل الإسلام مهتمين بالأحاديث النبوية من القرن الأول، وكان اهتمامهم في حفظ الأحاديث أزيد من اهتمام المسيحيين، كما أن اهتمامهم في حفظ القرآن في كل قرن أشدّ من إهتمام المسيحيين في حفظ كتبهم المقدسة. لكن الصحابة لم يدوّنوها في الكتب في عهدهم لبعض الأعذار، منها الاحتياط التام لأجل أن لا يختلط كلام الرسول بكلام الله. وتابعو الصحابة، كالزهري والربيع بن صبيح وسعيد وغيرهم رحمهم الله، شرعوا في تدوينها، لكنهم ما كتبوها مرتبة على ترتيب أبواب الفقه. ولما كان هذا الترتيب حسنا، ضبط تبع التابعين على هذا الترتيب. فالإمام مالك رحمه الله، الذي ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة، صنف الموطأ في المدينة وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج في مكة، وعبد الرحمن بن الأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة، ثم صنف البخاري ومسلم صحيحهما واقتصرا فيهما على ذكر الأحاديث الصحيحة وترك غيرها من الضعاف. واجتهد الأئمة المحدثون في أمر الأحاديث اجتهاداً عظيماً، وقد صنف فن عظيم الشأن في أسماء الرجال يُعلم به حال كل راوٍ من رواة الحديث بأنه كيف كان حاله في الديانة والحفظ. وروى كلٌّ من أصحاب الصحاح الأحاديث بالاسناد منهم الى رسول الله ﷺ. وبعض أحاديث البخاري ثلاثيات تصل بثلاث وسائط الى رسول الله ﷺ وينقسم الحديث الصحيح الى ثلاثة أقسام : متواتر، ومشهور، وخبر الواحد. فالمتواتر ما نقله جماعة عن جماعة لا يجوّز العقل توافقهم على الكذب مثاله، كنقل أعداد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة

ونحوهما. والمشهور، ما كان في عصر الصحابة كأخبار الآحاد، ثم اشتهر في عصر التابعين أو عصر تبع التابعين، وتلقته الأمة بالقبول في أحد العصرين الأخيرين، فصار كالمتواتر، كالرجم في باب الزنا. وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد، أو واحد عن جماعة، أو جماعة عن واحد. والمتواتر منها يوجب العلم القطعي، ويكون إنكاره كفراً. والمشهور يوجب علم الطمأنينة، ويكون إنكاره بدعة وفسقاً. وخبر الواحد لا يوجب أحد العلمين المذكورين، ويُعتبر في العمل لا في إثبات العقائد وأصول الدين، وإذا خالف الدليل القطعي، عقليا كان أو نقليا، يؤول إن أمكن التأويل، وإلا يُترك ولا يُعمل به ويُعمل بالدليل القطعي. والفرق بين الحديث الصحيح والقرآن بثلاثة أوجه : الأول، ان القرآن كله منقول بالتواتر، كما نزل على رسول الله ﷺ، وما بدّل ناقلوه لفظاً بلفظ آخر مرادف له، بخلاف الحديث الصحيح لأن نقله بالمعنى أيضا كان جائزاً للناقل الثقة الماهر بلغة العرب وأسلوب كلامهم. والثاني، أن القرآن لما كان كله متواتراً يلزم الكفر بانكار جملة منه أيضا، بخلاف الحديث الصحيح فإنه لا يلزم الكفر إلا بإنكار قسم منه، وهو المتواتر دون المشهور وخبر الواحد. والثالث أن الأحكام تتعلق بألفاظ القرآن ونظمه أيضا، كصحة الصلاة وكون عبارته معجزة، بخلاف الحديد، فإنه لا تتعلق الأحكام بألفاظه. وإذا عرفت ما ذكرتُ في الفوائد الثلاثة تحقق لك أنه لا يلزم من اعتبارنا الحديث الصحيح بالطريق المذكور شيء من القبائح والاستبعادات.

الفصل الرابع

في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث

وهي خمس شبهات.

الشبهة الأولى : إن رواة الحديث أزواج محمد ﷺ وأقرباؤه وأصحابه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه.

والجواب : إن هذه الشبهة ترد عليهم بأدنى تغيُّر، بأن يقال أن رواة الحالات المسيحية وأقواله المندرجة في هذه الأناجيل أم عيسى عليهما السلام وأبوه الجعلي يوسف النجاري وتلاميذه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه. وإن قالوا أنه يحتمل أن إيمان أقارب محمد ﷺ وأصحابه كان لأجل الرياسة الدنيوية، قلتُ إن هذا الاحتمال ساقط لأنه، ﷺ، الى ثلاث عشرة سنة، كان في غاية الألم من إيذاء الكفار، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا أيضا مبتلين بغاية ايذائهم الى المدة المذكورة حتى تركوا الأوطان وهاجروا الى الحبشة والمدينة. ولا يتصوّر أن يتخيَّل أحد منهم الى هذه المدة طمع الدنيا. على أن هذا الاحتمال قائم في الحواريين أيضاً، لأنهم كانوا مساكين صيادين، وكانوا سمعوا من اليهود أن المسيح يكون سلطاناً عظيم الشأن، فلما ادَّعى عيسى بن مريم عليهما السلام أنه هو المسيح الموعود آمنوا به وفهموا انه يحصل لهم باتباعه المناصب الجليلة وينجون عن مشقة الشبكة والاصطياد. ولما وعدهم

عيسى عليه السلام « بأني إذا جلست على السرير تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر سريرا تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر »، كما هو مُصَرَّح في الباب التاسع عشر من انجيل متى، وكذا وعدهم « إن مَنْ ترك لأجلي ولأجل الانجيل شيئاً يجد مائة ضعف الآن في هذا الزمان ويجد الحياة الأبدية في الدهر الآتي »، كما هو مُصرَّح به في الباب العاشر من انجيل مرقس، وكذا وعد بأشياء أخر، فتيقنوا أنهم يصيرون سلاطين يحكم كل منهم على سبط من أسباط اسرائيل، وإن فات منهم شيء لأجل إتباعه يحصل لهم في هذه الدنيا بدله مائة ضعف هذا الشيء، ورسخ في أذهانهم هذا الأمر حتى طلب يعقوب ويوحنا إبنا زبدي أو طلبت أمهما، على اختلاف رواية الانجيليين، منصب الوزارة العظمى بأن يجلس أحدهما على يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره في ملكوته، كما هو مصرَّح به في الباب العشرين من انجيل متى والباب العاشر من انجيل مرقس، لكنهم لما رأوا أنه لم يحصل لهم السلطنة الخيالية ولا مائة ضعف في هذه الدنيا، بل لم يحصل له أيضا شيء من الدولة الدنياوية، وهو مسكين كما كان يخاف من اليهود ويفر من موضع الى موضع، ورأوا أن اليهود في صدد أن يأخذوه ويقتلوه، تنبهوا أن فَهْمَهُم كان خطأ والمواعيد المذكورة كسراب يحسبه الظمآن ماء، فرضي واحد منهم، بدل هذه السلطنة الخيالية وهذه الأضعاف الموهومة، بثلاثين درهماً أخذها من اليهود على شرط تسليمه لهم، وتركه سائرهم حين ما أخذه اليهود، وفروا. وأنكره ثلاث مرات ولعنه أرشد الحواريين وأعظمهم الذي كان مبنى كنيسة وراعي خرافه وخليفته أعني حضرة بطرس، وحلف أني لا أعرفه. وصاروا آيسين مطلقا عن متخيلاتهم بعدما صلب على زعمهم. ثم لما رأوه مرة أخرى بعد القيام، رجع رجاؤهم مرة أخرى، وظنوا أنهم يصيرون سلاطين في هذه المرة، فسألوه مجتمعين في وقت صعوده قائلين هل في هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل، كما هو مصرَّح في الباب الأول من كتاب الأعمال ؟ وبعد الصعود وقعوا في خيال آخر، هو أعظم من السلطنة الدنياوية التي لم تحصل لهم الى زمان الصعود، وهو أن المسيح ينزل في عهدهم من السماء، وأن القيامة قريبة، كما عرفتَ مفصلا في الفصل الثالث والرابع من

الباب الأول، وأنه بعد نزوله يقتل الدجال ويحبس الشيطان الى ألف سنة، وأنهم يجلسون على الأسرة بعد نزوله ويعيشون عيشة مرضية الى المدة المذكورة في هذه الدنيا، كما يُفهم من الباب التاسع عشر والعشرين من كتاب المشاهدات، والآية الثانية من الباب السادس من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس، ثم يحصل لهم السرور الدائمي في الجنة الى الأبد عند القيامة الثانية. فلأجل هذه الأمور بالغوا في مدحه وتقرير حالاته كما قال الانجيلي الرابع في آخر انجيله : « إن أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب ». ولا شك أنه كذبٌ محض ومبالغة شاعرية قبيحة. فكانوا يبالغون بأمثال هذه الأقوال ليوقعوا السفهاء في شبكاتهم حتى ماتوا غير واصلين الى مرادهم. فلا اعتبار لشهادتهم في حقه. وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الاعتقاد، كما صرحتُ به مرارا. فكما أن هذا الاحتمال في حق عيسى وحواريه الحقة عليهم السلام ساقط، فكذلك احتمالهم في حق أصحاب محمد ﷺ ساقط.

وقد يشير القسيسون لأجل تغليط العوام الى ما يتفوّه به الفرقة الإمامية الاثني عشرية في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. **والجواب عنه الزاما وتحقيقا** هكذا : **أما الزاما** فلأن موشيم المؤرخ قال في المجلد الأوّل من تاريخ : « إن الفرقة الأبيونية التي كانت في القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من مريم ويوسف النجار مثل الناس الآخرين. وطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة في حق اليهود فقط، بل تجب على غيرهم أيضاً، والعمل على أحكامه ضروري للنجاة. ولما كان بولس ينكر وجوب هذا العالم ويخاصمهم في هذا الباب مخاصمة شديدة، كانوا يذمونه ذماً شديد أو يحقرون تحريراته تحقيراً بليغاً ». انتهى. وقال لاردنر في الصفحة ٣٧٦ من المجلد الثاني من تفسيره : « إن القدماء أخبرونا أن هذه الفرقة كانت ترد بولس ورسائله ». انتهى. وقال بل في تاريخه في بيان هذه الفرقة : « هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق التوراة فقط، وكانت تتنفر عن اسم داود وسليمان وارمياء وحزقيال عليهم السلام. وكان من العهد الجديد عندها انجيل متى فقط، لكنها كانت حرفته في كثير من المواضع

وأخرجت البابين الأولين منه ». انتهى. وقال بل في تاريخه في بيان الفرقة المارسيونية : « إن هذه الفرقة كانت تعتقد أن الإله الهان أحدهما خالق الخير وثانيهما خالق الشر. وكانت تقول ان التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الإله الثاني، وكلها مخالف للعهد الجديد. ثم قال ان هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى نزل الجحيم بعد موته وأنجى أرواح قابيل وأهل سدوم من عذابها، لأنهم حضروا عنده وما أطاعوا الإله خالق الشرّ، وأبقى أرواح هابيل ونوح وابراهيم والصالحين الآخرين في الجحيم لأنهم كانوا خالفوا الفريق الأول. وكانت تعتقد ان خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى، ولذلك ما كانت تسلم أن كتب العهد العتيق الهامية، وكانت تسلم من العهد الجديد انجيل لوقا فقط، لكنها ما كانت تسلم البابين الأولين منه. وكانت تسلم من رسائل بولس عشرة رسائل، لكنها كانت ترد ما كان مخالفا لخيالها ». انتهى. ونقل لاردنر في المجلد الثالث من تفسير قول اكستائن في بيان فرقة ماني كيز هكذا : « هذه الفرقة تقول إن الإله الذي أعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الإسرائيلية ليس بإلهٍ بل شيطان من الشياطين، وتسلم كتب العهد الجديد، لكنها تقر بوقوعِ الإلحاق فيها، وتأخذ ما رضيت به، وتترك الباقي وترجح بعض الكتب الكاذبة عليها، وتقول انها صادقة البتة ». ثم قال لاردنر في المجلد المذكور : « اتفق المؤرخون أن هذه الفرقة كلها ما كانت تسلم الكتب المقدسة للعهد العتيق في كل وقت ». وكتب في أعمال اركلاس عقيدة هذه الفرقة هكذا : « خدع الشيطان أنبياء اليهود، والشيطان كلم موسى وأنبياء اليهود، وكانت تتمسك بالآية الثامنة من الباب العاشر من انجيل يوحنا بأن المسيح قال لهم سراق ولصوص، وكانت أخرجت العهد الجديد ». انتهى. وهكذا حال الفرق الأخرى. لكني اكتفيت على نقل مذاهب الفرق الثلاثة المذكورة على عدد التثليث، وأقول هل يتمّ أقوال هذه الفرقة على علماء بروتستنت، أم لا ؟ فإن تمَّت، فيلزم عليهم الاعتقاد بهذه الأمور العشرة : /١/ ان عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من يوسف النجار. /٢/ وإن العمل على أحكام التوراة ضروري للنجاة. /٣/ وإن بولس شرير ورسائله واجبة الرد. /٤/ وإن الإله إلهان خالق الخير وخالق الشر. /٥/

وإن أرواح قابيل وأهل سدوم حصل لها النجاة من عذاب جهنم بموت عيسى عليه السلام، وأرواح هابيل ونوح وابراهيم والصلحاء القدماء معذبة في جهنم بعد موته أيضا. /٦/ وإن هؤلاء كانوا مطيعين للشيطان. /٧/ وإن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الشيطان. /٨/ وإن الذي كلم موسى والأنبياء الإسرائيلية ليس بإله بل شيطان. /٩/ وإن كتب العهد الجديد وقع فيها التحريف بالزيادة. /١٠/ وإن بعض الكتب الكاذبة صادقة البتة. وإن لم تتمّ أقوال هذه الفرق عليهم، فلا يتمّ قول بعض الفرق الإسلامية على جمهور أهل الإسلام، سيما إذا كان هذا القول مخالفا للقرآن ولأقوال الأئمة الطاهرين رضي الله عنهم أيضا، كما ستعرف.

وأما الجواب عنه تحقيقا، فلأن القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الأمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغير والتبديل. ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبوله عندهم. /١/ قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الأمامية الاثني عشرية في رسالته الاعتقادية : « اعتقادنا في القرآن أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربعة عشر سورة وعندنا والضحى وألم تُشرح سورة واحدة، ولا يلاف وألم تر كيف سورة واحدة، ومَنْ نسب الينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب ». انتهى. /٢/ وفي تفسير مجمع البيان الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة : « ذكر السيد الأجلّ المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يُدرس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم، وإن كان يُعرض على النبي ﷺ ويُتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات. وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا مبثوث. وذكر أن من خالف من الأمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب

الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ». انتهى. /٣/ وقال السيد المرتضى أيضا « ان العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة واشعار العرب المسطورة، فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت الى حدّ لم تبلغ اليه فيما ذكرناه. لأن القرآن معجزة النبوّة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته. فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد ». انتهى. /٤/ وقال القاضي نور الله الشوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب « ما نسب اليه الشيعة الأمامية بوقوع التغير في القرآن ليس مما قال به جمهور الأمامية، انما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم ». انتهى. /٥/ وقال الملا صادق في شرح الكليني : « يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر ويشهر به ». انتهى. /٦/ وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الإمامية في رسالة كتبها في ردّ بعض معاصريه (هركسيكه تتبع أخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداندكه قرآن درغايه وأعلى درجة تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميكردندآن روادر عهد رسول خذا ﷺ مجموع ومؤلف بود ». انتهى. فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيّه هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك وأنه كان مجموعا مؤلفا في عهد رسول الله ﷺ، وحفظه ونقله ألوف من الصحابة وجماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات. ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضي الله عنه، والشرذمة القليلة التي قالت بوقوع التغير فقولهم مردود ولا اعتداد بهم فيما بينهم. وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته، وهو حق. لأن خبر الواحد إذا اقتضى علما ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدلّ عليه، وجب رده، على ما

صرح ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادىء الوصول الى علم الأصول. وقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[1]. في تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة : « أي انا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ». انتهى.

وإذ عرفت هذا، فأقول ان القرآن ناطق بأن الصحابة الكبار رضي الله عنهم لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان :

(١) قال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدَاً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[2]. فقال الله في حق السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار أربعة أمور : **الأول** رضوانه عنهم. **والثاني** رضوانهم عنه. **والثالث** تبشيرهم بالجنة. **والرابع** وعد خلودهم فيها. ولا شك أن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين، كما أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه منهم، فثبت لهم هذه الأمور والأربعة، وثبت صحة خلافتهم. فقول الطاعن في الثلاثة رضي الله عنهم مردود، كما أن قول الطاعن في حق الرابع رضي الله عنه مردود.

(٢) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضا : ﴿ **ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ ٱللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيْهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[3]. فقال الله في حق المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أربعة أمور : **الأول** كون درجتهم أعظم عند الله. **والثاني** كونهم فائزين بمرادهم. **والثالث** كونهم

---

(١) سورة الحجر (٩).

(٢) سورة التوبة (١٠٠).

(٣) سورة التوبة (٢٠ ـــ ٢٢).

مبشرين بالرحمة والرضوان والجنات. **والرابع** وخلودهم في الجنات أبدا. وأكد الأمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات، أعني قوله (مقيم) وقوله (خالدين فيها) وقوله (أبدا). ولا شك أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، كما أن علياً رضي الله عنه منهم فثبت لهم الأمور الأربعة.

(٣) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً : ﴿ **لَكِنَّ ٱلرَّسُولَ وَٱلَّذِينَ آمنوا مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ ٱللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[١]. فقال الله في حق المؤمنين المجاهدين أربعة أمور : **الأول** كون الخيرات لهم. **والثاني** كونهم مفلحين. **والثالث** وعد الجنات. **والرابع** خلودهم فيها. ولا شك أن الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المجاهدين، فثبت هذه الأمور الأربعة لهم.

(٤) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً : ﴿ **إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ٱلآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٢]. فوعد الله الجنة للمؤمنين وعداً موثقاً وذكر تسعة أوصافٍ لهم، فثبت أنهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنة.

(٥) وقال الله في سورة الحج : ﴿ **ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ**

---

(١) سورة التوبة (٨٨ ــ ٨٩).

(٢) سورة التوبة (١١١ ــ ١١٢).

ٱلْأُمُورِ ﴾[1] فقوله « الذين إن مكناهم » صفة لمن تقدم، وهو قوله (الذين أخرجوا) فيكون المراد به المهاجرين لا الأنصار، لأنهم ما أخرجوا من ديارهم. فوصف الله المهاجرين بأنَّه إن مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطنة، أتوا بالأمور الأربعة، وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لكن قد ثبت أن الله مكن الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم في الأرض فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة. وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق. وفي قوله (لله عاقبة الأمور) دلالة على أن الذي تقدّم ذكره من تمكينهم في الأرض كائن لا محالة ثم ان الأمور ترجع الى الله تعالى بالعاقبة فإنه هو الذي لا يزول ملكه.

(٦) وقال الله تعالى في سورة الحج : **﴿ وَجَاهِدُواْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾**[2]فَسمّى الله في هذه الآية الصحابة بالمسلمين.

(٧) وقال الله في سورة النور : **﴿ وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾**[3]. ولفظ (من) في قوله (منكم) للتبعيض (وكم) ضمير الخطاب، فيدلان على أن المراد بهذا الخطاب بعض المؤمنين الموجودين في زمان نزول هذه السورة لا الكل. ولفظ الاستخلاف يدلّ على أنَّ حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول ﷺ. ومعلوم أنه لا نبي بعده لأنه خاتم الأنبياء، فالمراد بهذا الاستخلاف

---

(١) سورة الحج (١٤١).

(٢) سورة الحج (٧٨).

(٣) سورة النور (٥٥).

طريقة الإمامة، والضمائر الراجعة اليهم في قوله (ليستخلفنهم) الى قوله (لا يشركون) وقعت كلها على صيغة الجمع، والجمع حقيقة لا يكون محمولا على أقل من ثلاثة، فتدل على أن هؤلاء الأئمة الموعود لهم لا يكونون أقل من ثلاثة. وقوله (ليمكنن لهم) الى آخره، وعد لهم بحصور القوة والشوكة والنفاذ في العالم فيدل على أنهم يكونون أقوياء ذوي شوكة نافذ أمرهم في العالم. وقوله (دينهم الذي ارتضى لهم) يدل على أن الدين الذي يظهر في عهدهم يكون هو الدين المرضي لله. وقوله (ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) يدل على أنهم في عهد خلافتهم يكونون آمنين غير خائفين ولا يكونون في الخوف والتقية. وقوله (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) يدل على أنهم في عهد خلافتهم أيضاً يكونون مؤمنين لا مشركين. فدلت الآية على صحة إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، سيما الخلفاء الثلاثة أعني أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم، لأن الفتوحات العظيمة والتمكين التام وظهور الدين والأمن الذي كان في عهدهم لم يكن في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لاشتغاله بمحاربة أهل الصلاة في عهده الشريف. فثبت أن ما يتفوّه به الشيعة في حق الثلاثة رضي الله عنهم أو الخوارج في حق عثمان وعلي رضي الله عنهما قول غير قابل للالتفات.

(٨) وقال الله تعالى في سورة الفتح في حق المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله، ﷺ، في صلح الحديبية : ﴿ **إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾[١] فقال في حقهم أربعة أمور : **الأول** إنهم شركاء للرسول في نزول السكينة. **والثاني** إنهم مؤمنون. **والثالث** إن كلمة التقوى لازمة غير منفكة عنهم. **والرابع** إنهم كانوا أحق بكلمة التقوى وأهلها. ولا شك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هؤلاء المهاجرين، فثبت لهما ولسائرهم هذه الأمور الأربعة. ومن اعتقد في حقهم غير هذه فعقيدته باطلة مخالفة للقرآن.

(١) سورة الفتح (٢٦).

(٩) وقال الله تعالى أيضاً في سورة الفتح : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ...** ﴾[١] فمدح الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم وكونهم راكعين وساجدين ومبتغين فضل الله ورضوانه. فمن اعتقد من مُدَّعي الإسلام في حقهم غير هذا فهو مخطىء.

(١٠) وقال الله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ **وَلَكِنَّ ٱللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلرَّاشِدُونَ** ﴾[٢]. فعلم أن الصحابة كانوا محبي الإيمان كارهي الكفر والفسق والعصيان وكانوا راشدين. فاعتقاد ضد هده الأشياء في حقهم خطأ.

(١١) وقال الله تعالى في سورة الحشر : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾[٣]. فمدح الله المهاجرين والأنصار بستة أوصاف : **الأول** ان هجرة هؤلاء المهاجرين ما كانت لأجل الدنيا بل كانت لأجل ابتغاء مرضات الله. **والثاني** انهم كانوا ناصرين لدين الله ورسوله. **والثالث** انهم كانوا صادقين قولا وفعلا. **والرابع** ان الأنصار كانوا يحبون من هاجر اليهم. **والخامس** انهم كانوا يسرون إذا حصل شيء للمهاجرين. **والسادس** انهم كانوا يقدمونهم على أنفسهم مع احتياجهم. وهذه الأوصاف الستة تدلّ على كمال الإيمان. ومن اعتقد في حقهم غير هذا فهو مخطىء. وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا

---

(١) سورة الفتح (٢٩).

(٢) سورة الحجرات (٧).

(٣) سورة الحشر (٨ — ٩).

يقولون لأبي بكر رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله. والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في هذا القول أيضا. ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته.

(١٢) وقال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾(١). فمدح الله الصحابة بثلاثة أوصاف : **الأول** أنهم خير أمة. **والثاني** أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. **والثالث** أنهم كانوا مؤمنين بالله. وهكذا الآيات الأخر. لكني لخوف التطويل اكتفي على اثني عشر موضعا على عدد الحواريين لعيسى عليه السلام وعدد الأئمة الطاهرين الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين. وأنقل خمسة أقوال من أقوال أهل البيت عليهم السلام على عدد الخمسة الطاهرين عليهم السلام.

١ ــ في نهج البلاغة الذي هو كتاب معتبر عند الشيعة قول علي رضي الله عنه هكذا : « لله در فلان فلقد قوم الأولاد، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلف البدعة. ذهبَ نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدَّى الى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيه الضال ويستيقن المهتدي ». انتهى. والمراد بفلان، على مختار أكثر الشارحين منهم البحراني أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلى مختار بعض الشارحين، عمر الفاروق رضي الله عنه. فذكر علي رضي الله عنه عشرة أوصاف من أوصاف أبي بكر أو عمر رضي الله عنه. فلا بدّ من وجودها فيه. ولما ثبتت هذه الأوصاف له بعد مماته، بإقرار علي رضي الله عنه. فما بقي في صحة خلافته شك.

٢ ــ وفي كشف الغمة الذي هو تصنيف علي بن عيسى الأردبيلي الاثني عشري الذي هو من الفضلاء المعتمدين عند الامامية : « سئل الإمام جعفر عليه السلام عن حلية السيف هل يجوز ؟ فقال : نعم، قد حلى أبو بكر

---

(١) سورة آل عمران (١١٠).

الصديق سيفه. فقال الراوي : أتقول هكذا ؟ فوثب الإمام عن مكانه فقال : نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة ». فثبت باقرار الإمام الهمام أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صدِّيق حق، مُنكره كاذب في الدنيا والآخرة.

٣ ـــ ووقع في بعض مكاتيب علي رضي الله عنه على ما نقل شارحو نهج البلاغة في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هكذا : « لعمري ان مكانهما من لإسلام العظيم وإن المصاب بهما لحرج في الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما الله بأحسن ما عملا ».

٤ ـــ ونقل صاحب الفصول الذي هو من كبار علماء الإمامية الاثني عشرية عن الإمام الهمّام محمد الباقر رضي الله عنه هكذا : « إنه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان ألا تخبروني أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله. قالوا لا. قال فأنتم من الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم. قالوا لا. قال إما أنتم فقد برئتم أن تكونوا أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَاءُوا۟ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا۟ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[1] فالخائض في الصدِّيق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم خارج عن الفرق الثلاث الذين مدحهم الله بشهادة الإمام الهمام رضي الله عنه.

٥ ـــ وفي التفسير المنسوب الى الإمام الهمام الحسن العسكري رضي الله عنه وعن آبائه الكرام : « أن الله أوحى الى آدم ليفيض على كل واحد من محبي محمد وآل محمد وأصحاب محمد ما لو قسمت على كل عدد ما خلق الله من طول الدهر الى آخره وكانوا كفاراً لأدّاهم الى عاقبة محمودة

---

(١) سورة الحشر (١٠).

وإيمان بالله حتى يستحقوا به الجنة. وإن من يبغض آل محمد وأصحابه أو واحداً منهم يعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل خلق الله لأهلكهم أجمعين ». فعلم أن المحبة ما يكون بالنسبة الى الآل والأصحاب رضي الله عنهم لا بالنسبة الى أحدهما، وإن بغض واحد من الآل والأصحاب كاف للهلاك. نجانا الله من سوء الاعتقاد في حق الصحابة والآل رضوان الله عليهم أجمعين، وأماتنا على حبهم. ونظراً الى الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة اتفق أهل الحق على وجوب تعظيم الصحابة رضي الله عنهم.

الشبهة الثانية :[1] إن مؤلفي كتب الحديث ما رأوا الحالات المحمدية والمعجزات الأحمدية بأعينهم، وما سمعوا أقوال محمد ﷺ منه بلا واسطة، بل سمعوها بالتواتر بعد مائة سنة أو مائتي سنة من وفاة محمد ﷺ، وجمعوها وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار.

الجواب : قد عرفتَ في الفصل الثالث أن الرواية اللسانية معتبرة عند جمهور أهل الكتاب، واعتبارها ثابت من هذا الانجيل المتداول، وان فرقة پروتستنت تحتاج الى اعتبارها في أمور كثيرة هي ــ على إقرار ماني سيك الأسقف ــ بمقدار ستمائة، وإن خمسة أبواب من سفر الأمثال جمعت من الروايات اللسانية في عهد حزقيا بعد مدة مائتين وسبعين سنة من موت سليمان عليه السلام، وأن انجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر بابا من كتاب الأعمال كتبت بالرواية اللسانية، وأن الأمر المهتم بشأنه يكون محفوظاً ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة، وأن التابعين كانوا شرعوا في تدوين الأحاديث في الكتب لكنهم دوّنوها على غير ترتيب أبواب الفقه، وأن طبقة تبع التابعين دوّنوها على ترتيبها. ثم أن البخاري وباقي مؤلفي الكتب الصحاح اقتصروا على ذكر الأحاديث الصحيحة وتركوا الضعاف. وروى كلٌّ من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم الى رسول الله ﷺ وقد صُنِّف في أسماء الرجال فن عظيم الشأن يُعلم به حال كل راو من رواة الحديث. وكذا قد

---

(١) يتابع المؤلف مطالعته في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث (الفصل الرابع).

عرفتَ أن أهل الإسلام كيف يعتبرون الحديث الصحيح فلا يرد عليهم شيء. وقولهم (سمعوها بالتواتر وأسقطوا مقدار النصف لعدم الاعتبار)، غلط، لأنهم ما أسقطوا لعدم الاعتبار حديثاً من الأحاديث التي سمعوها بالتواتر، لأن الحديث المتواتر عندهم واجب الاعتبار. نعم تركوا الضعاف التي لم تكن أسانيدها كاملة وتركها لا يضر، كما قد عرفت في الباب الثاني من قول آدم كلارك : « إن هذا الأمر محقق ان الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية. وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية. وكان ثابري سيوس جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات ». انتهى.

الشبهة الثالثة : إن كل عاقل إذا ترك التعصب علم أن أكثر الأحاديث لا يمكن أن يكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر.

والجواب : لا يوجد في الأحاديث الصحيحة شيء يكون مضمونه ممتنعا عند العقل واما بعض المعجزات التي هي خلاف العادة، وبعض أحوال الجنة والجحيم أو الملائكة التي لا يوجد لها نظائر في هذه الدنيا فإن كان استبعادهم لها لأجل أنها ممتنعة بالبرهان فعليهم ذكر هذا البرهان وعلينا جوابه. وإن كان لأجل أنها خلاف العادة أولا يوجد لها نظائر في هذا العالم، فلا يضرها، لأن المعجزة لو كانت على مجرى العادة لا تكون معجزة. أليس صيرورة العصا ثعبانا وابتلاعها جميع تنانين السحرة، ثم صيرورتها كما كانت بلا زيادة حجم، وهكذا جميع معجزات موسى عليه السلام، على خلاف مجرى العادة ؟ وقياس العالم الآخر على هذا العالم قياس مع الفارق. نعم لو قام البرهان القطعي على امتناع شيء يقطع بامتناعه في العالم الآخر أيضا، وبدون قيام البرهان لا يتجاسر على انكاره في العالم الآخر. ألا يرون الى اختلاف أحوال الأقاليم ؟ فإن بعض الأشياء توجد في بعض دون بعض. فمن كان من إقليم وسمع حال بعض الأشياء العجيبة المختصة بإقليم آخر يستبعد، بل كثيراً ما ينكر بشرط أن لا يكون سماعه بالتواتر. وقد يكون بعض الأمور

مستبعدة في بعض الأحيان دون بعض، كما أن قطع المسافة البحرية بهذه السرعة التي تقطع بالمراكب الدخانية، أو البرية التي تقطع بالعربيات الدخانية، كان من المستبعدات عند الناس قبل ايجاد المراكب الدخانية والعربيات الدخانية. وكذا وصول الخبر في دقيقة أو دقيقتين الى مسافة بعيدة بواسطة السلك المعروف كان من المستبعدات قبل إيجاده، وما بقيت مستبعدة بعد اختراع هذه الأشياء وامتحانها. لكن الانصاف أن عادة المنكرين أنهم يغمضون عين الانصاف ويحكمون على كل شيء يُرى مستبعدا في آرائهم انه محال. وتعلم علماء پروتستنت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة. لكن العجب من هؤلاء العلماء أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة، كما نقلت بعضها على سبيل الأنموذج في الفصل الثالث من الباب الأول. وإنهم ما تنبهوا باستبعادات أبناء صنفهم وعاملوا المسلمين بما عاملتهم أبناء صنفهم. وقد كانت استبعادات أبناء صنفهم غالباً أقوى من استبعاداتهم الناقصة. وأنا أنقل بعض المواضع من المواضع التي يستهزؤن بها ويستبعدونها مثلا :

١ ــ وقع في الباب الثاني والعشرين من كتاب العدد هكذا : « ٢٨ ففتح الرب فم الأتانة وقالت لبلعام ما الذي فعلت بك هذه ثلاث مرات قد ضربتني ٢٩ فقال بلعام للاتان لأنك استأهلت ذلك مني الخ. ٣٠ فقالت الأتانة لبلعام لست أنا أتانك التي تركب منذ كنت غلاما الى يومك هذا. فهل فعلت بك مثل هذا فقال لا ». قال هورن في الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ : « إن الكفار من زمان قليل يستهزؤن بتكلم أتان بلعام ». انتهى.

٢ ــ ووقع في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول أن الغربان : « كانت تجيب اللحم والخبز لايلياء الرسول الى مدة ». وهذا الأمر ضحكة عند أبناء صنفهم، حتى مال محققهم المشهور هورن الى رأيهم وسفه مفسريهم ومترجميهم بوجوه ثلاثة، كما عرفتها في الفصل الثالث من الباب الأول.

٣ ــ ووقع في الباب الرابع من كتاب حزقيال هكذا، وأنقل عبارته عن

الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « ٤ وأنت تنام على جانبك الأيسر تجعل آثام بيت اسرائيل عليها على عدد أيام ترقد عليها وتتخذ اثمهم ٥ أما أنا أعطيتك سني آثامهم على عدد أيام ثلثمائة وتسعين يوما وتحمل إثم آل اسرائيل ٦ ثم إذا كملت هذا تنام على جانبك اليمين ثانية وتتخذ إثم آل يهوذا أربعين يوما. إن يوما عوض سنة جعلته لك ٧ وتقبل بوجهك الى محاصرة أورشليم وذراعك تكون مشدودة وتبني عليها ٨ هوذا شددتك بوثاق ولا تلتفت من جانبك الى الجانب الآخر حتى تتمّ أيام محاصراتك ٩ وأنت خُذْ لك حنطة وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وجاورس وتجعلهن في إناء واحد وتخبز لك خبزا على عدد الأيام التي ترقد فيها على جانبك ثلثمائة وتسعين يوما تأكله ١٠وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالا في كل يوم من وقت الى وقت تأكله ١١ وتشرب ماء بمقدار السدس من القسط من وقت الى وقت تشربه ١٢ وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الانسان في عيونهم ». فأمر الله حزقيال عليه السلام بثلاثة أحكام : **الأول** أن يرقد على جانبه الأيسر ثلثمائة وتسعين يوما، ويحمل إثم آل اسرائيل، ثم يرقد على جانبه الأيمن أربعين يوما ويحمل اثم آل يهوذا. **والثاني** أن يقبل بوجهه الى محاصرة أورشليم ويكون ذراعه مشدودة ولا يلتفت من جانب الى جانب آخر حتى تتم أيام المحاصرة. **والثالث** أن يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوما كل يوم خبزا ملطخاً ببراز الانسان. وابناء صنفهم يستهزؤن بهذه الأحكام ويستبعدون أن تكون من جانب الله، ويقولون انها واهية بعيدة عن العقل، ولا يأمر الله أن يأكل نبيه المقدس الى مدة ثلثمائة وتسعين يوما خبزا ملطخاً ببراز الإنسان. أما كان الادام غير هذا، إلا أن يقال ان البراز في حق الطاهرين يكون طاهرا، كما يفهم من ظاهر كلام مقدسهم بولس في الآية الخامسة عشر من الباب الأول من رسالته الى تيطس على أن الله قد أخبر بواسطته « ان النفس التي تخطىء فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه ». كما هو مُصرح به في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه. فكيف أمره أن يحمل آثام اسرائيل ويهوذا الى أربعمائة وثلاثين يوماً ؟

٤ ــ ووقع في الباب العشرين من كتاب أشعيا أن الله أمره أن يكون عريانا حافياً الى ثلاث سنين ويمشي على هذه الحالة. وأبناء صنفهم يستهزؤن بهذا الحكم، ويقولون استهزاء يأمر الله نبيه الذي يكون في قيد العقل ولا يكون مجنوناً أن يمشي مكشوف العورة الغليظة بين النساء والرجال الى ثلاث سنين.

٥ ــ ووقع في الباب الأول من كتاب هوشع ان الله أمره أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا. ثم وقع في الباب الثالث من الكتاب المذكور أن يتعشق بإمرأة فاسقة محبوبة لزوجها. وقد وقع في الآية الثالثة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الأحبار هكذا : « ولا يتزوج الكاهن إلا امرأة عذراء، ولا يتزوج أرملة ولا مطلقة ولا منجسة بالزنا ولا يتزوج من هؤلاء البتة، بل يتزوج عذراء من قومه ». وفي الباب الخامس من انجيل متى هكذا : « كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ». فكيف أمر الله نبيه بما ذكر ؟ وهكذا استبعادات أخر. فمن شاء فليرجع الى كتب أبناء صنفهم.

الشبهة الرابعة : الأحاديث الكثيرة مخالفة للقرآن، لأنه وقع في القرآن أن محمدا ﷺ ما ظهر منه معجزة. وفي الأحاديث أنه صدر منه معجزات كثيرة، وأنه وقع في القرآن أن محمدا ﷺ كان مذنباً، وفي أكثر الأحاديث أنه كان معصوماً. وأنه وقع في القرآن أن محمدا ﷺ كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى** ﴾[1] وكقوله في سورة الشورى ﴿ **مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾[2] وفي الأحاديث أنه تولد في الإيمان، ولذلك ظهرت منه معجزات كثيرة. هذا غاية جهدهم في إثبات المخالفة بين القرآن والأحاديث.

والجواب : ان الأمرين الأولين لما كانا من أعظم مطاعن النبي ﷺ، أردت أن أتعرض لهما في الباب السادس في المطاعن وأجيب عنهما هناك.

---

(١) سورة الضحى (٧).

(٢) سورة الشورى (٥٢).

فانتظر. والجواب عن الثالث، أن الضال في الآية الأولى ليس المراد به الضال عن الإيمان ليكون بمعنى الكافر، فَيَرُدُّ اعتراضهم. بل في تفسير هذه الآية وجوه : **الأول**، ما رُوِيَ مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع وكاد الجوع يقتلني فهداني الله. **والثاني**، أن معناها : وجدك ضالا عن شريعتك، أي لا تعرفها إلا بالهام أو وحي، فهداك اليها تارة بالوحي الجلي وأخرى بالخفي. وهو مختار البيضاوي والكشاف والجلالين. في البيضاوي : ووجدك ضالا عن علم الحكم والأحكام، فهدى، فعلّمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر. وجاء بهذا المعنى في حق موسى عليه السلام أيضا في قوله تعالى : ﴿ **فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** ﴾[1]. **والثالث**، أنه يقال ضلّ الماء في اللبن، إذا صار مغموراً. فمعنى الآية : كنتَ مغموراً بين الكفار بمكة فقوّاك الله تعالى حتى أظهرت دينه. وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى ﴿ **أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[2]. **والرابع**، ان معناها : كنتَ ضالاً عن النبوّة ما كنتَ تطمع فيها ولا خطر شيء في قلبك منها. فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوّة في بني اسرائيل فهديتُكَ الى النبوّة التي ما كنتَ تطمع فيها البتة. **والخامس**، ان معناها : وجدك ضالاً عن الهجرة لعدم نزول الاذن فهداك بالاذن. **والسادس**، أن العرب تسمى الشجرة في الفلاة ضالة كأنه تعالى يقول : كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان، إلا أنت فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل، فوجدتك ضالاً فهديت بك الخلق. ونظيره قوله عليه السلام « الحكمة ضالة المؤمن ». **والسابع**، ان معناها وجدك ضالا عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له، وما كان يعرف أن ذلك يحصل له أم لا، فهدى الله بقوله ﴿ **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾[3] فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال. **والثامن**، الضلال بمعنى المحبة كما في قوله تعالى :

---

(١) سورة الشعراء (٢٠).

(٢) سورة السجدة (١٠).

(٣) سورة البقرة (١٤٤).

﴿ **إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾[1] أي محبتك. ومعناه أنك محب فهديتُك الى الشرائع التي بها تتقرب الى خدمة محبوبك. **والتاسع**، ان معناها وجدك ضالا، أي ضائعا في قومك كانوا يؤذونك لا يرضون بك رعية، فقوّى أمرك وهداك الى أن صرت والياً عليهم. **والعاشر**، ان معناها ما كنتَ تهتدي على طريق السموات فهديتُك إذ عرجتُ بك اليها ليلة المعراج **والحادي عشر**، إن معناها وجدك ضالا، أي ناسياً، فهدى، أي ذكرك. وذلك أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يُقال بسبب الهيبة، فهداه الله تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا أحصي ثناء عليك. وجاء الضلال بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا** ﴾[2]. **والثاني عشر**، قال الجنيد قدّس سرّه: وجدك متحيراً في بيان ما أنزل عليك، فهداك لبيانه لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[3]، ويُؤيده قوله تعالى: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾[4]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾[5]، وعلى كل تقدير لا تمسُّكَ لهم بهذه الآية. ويجب تفسير الآية بالوجوه التي ذكرتها وبأمثالها التي ذكرها المفسرون لقوله تعالى ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾[6] إذ المراد به نفي الضلالة والغواية في أمور الدين بلا شبهة، ومعناه ما كفر، ولا أقلّ من ذلك فما فسق. والمراد في

الآية الثانية بالكتاب القرآن، وبالإيمان تفاصيل شرائع الإسلام. ومعنى الآية: ما كنتَ تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا الفرائض والأحكام، وهذا حق. لأن النبي، ﷺ، كان قبل الوحي مؤمنا بتوحيد الرب اجمالا، وما كان عارفا

---

(١) سورة يوسف (٩٥).

(٢) سورة البقرة (٢٨٢).

(٣) سورة النحل (٤٤).

(٤) سورة القيامة (١٦ — ١٩).

(٥) سورة طه (١١٤).

(٦) سورة النجم (٢).

بتفاصيل شرائع الإسلام، بل صار عارفاً بعد الوحي، أو المراد بالإيمان الصلاة كما في قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾(١) أي صلاتكم فمعنى الآية: ما كنت تدري ما الكتاب أي القرآن، ولا الايمان أي الصلاة، وما كان رسول الله، ﷺ، عالماً بكيفية هذه الصلاة المشروعة في ملّته قبل النبوّة. أو المراد بالإيمان أهل الإيمان على حذف المضاف، أي : ما كنت تدري ما الكتاب ومَنْ أهل الإيمان، يعني مَن الذي يؤمن بك، وحَذْفُ المضاف كثير في كتبهم المقدسة أيضا. الآية الثانية والعشرون من الزبور الثامن والسبعين هكذا : « من أجل ذلك سمع الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب وطلع السخط على اسرائيل ». وفي الآية الرابعة من الباب السابع عشر من كتاب اشعيا هكذا : « يضعف مجد يعقوب ويهزل سمن جسمه ». وفي الباب الثالث والأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « ٢٢ لا دعوتني يعقوب ولم تتعب لأجلي اسرائيل ٢٨ فنجست الرؤساء القديسين وجعلت يعقوب قتلا واسرائيل تجديفا ». وفي الباب الثالث من كتاب ارمياء هكذا : « ٦ وقال لي الرب في أيام يوسيا الملك هل رأيت ما فعلته معاصية اسرائيل ؟ انطلقت لنفسها الى كل جبل رفيع وتحت كل شجرة مورقة وزنت هناك ٧ فقلت بعدما فعلت هذه جميعها ارجعي الي، ولم ترجع، فرأت أختها يهوذا الفاجرة ٨ لأن من أجل ان زنت اسرائيل المعاصية فانا طلقتها ودفعت اليها كتاب طلاقها، فلم تخف يهوذا أختها الفاجرة، بل ذهبت وزنت هي أيضا ١١ وقال لي الرب قد بررت نفسها اسرائيل المعاصية بمقابلة يهوذا الفاجرة ١٢ ارجعي يا اسرائيل المعاصية ». وفي الباب الرابع من كتاب هوشع هكذا : « ١٥ إن كنت يا اسرائيل أنت تزني فلا يأثم يهوذا الخ ١٦ لأن اسرائيل كبقرة شاغبة الخ ١٧ صاحب الأوثان افرام ». الخ. وفي الباب الثامن من كتاب هوشع هكذا : « ٣ أرذل اسرائيل الخير الخ. ٨ ابتلع اسرائيل الآن صار في الأمم كاناء نجس افرام أكثر مذابح للخطية الخ. ونسي اسرائيل خالقه الخ. ففي هذه العبارات يجب حذف

(١) سورة البقرة (١٤٣).

المضاف، وإلا يلزم، والعياذ بالله، أن يكون يعقوب عليه السلام مغضوباً عليه وضعيف المجد وغير داع لله، وقتلا وتجديفا، ومعاصية زانية تحت كل شجرة، وغير راجع الى الله، وكبقرة شاغبة ومرذل الخير، وكاناء نجس وناسيا لخالقه.

الشبهة الخامسة : الأحاديث مختلفة. **والجواب** : ان الاعتبار عندنا للأحاديث الصحيحة المروية في كتب الصحاح، والأحاديث التي هي مروية في كتب غير معتبرة لا اعتبار لها عندنا ولا تعارض الصحيحة. كما أن الأناجيل الكثيرة الزائدة على السبعين في القرون الأولى لا تعارض عند المسيحيين هذه الأناجيل الأربعة. والاختلاف الذي يوجد في الأحاديث الصحيحة يرتفع غالبا بأدنى تأويل وليس ذلك الاختلاف مثل الاختلاف الذي يوجد في روايات كتبهم المقدسة الى الآن، كما عرفتَ مائة وأربعة وعشرين منها في الباب الأول. ولو نقلنا عن كتبهم المقبولة الاختلافات التي تكون مثل اختلاف يثبتونه في بعض الأحاديث الصحيحة قلما يخرج باب يكون خاليا عن مثل هذا الاختلاف. والذين تسميها علماء پروتستنت ملاحدة نقلوا كثيرا من هذه الاختلافات في كتبهم واستهزؤا بها. فمن شاء فليرجع الى كتبهم. وأنقل أيضا بطريق الأنموذج عن كتاب جان كلارك المطبوع سنة ١٨٣٩ في لندن، وكتاب كيسهومو المطبوع سنة ١٨١٣ في لندن، وغيرهما خمسين اختلافا نقلوها في ذات الله وصفاته عن كتب العهدين، واكتفي على نقل هذه الاختلافات. لأن المعترضين، هداهم الله تعالى، وإن جاوزوا فيها حد الأدب لكن هذه المجاوزة أقل من المجاوزة التي توجد في كلامهم عند التشنيع على الأنبياء عليهم السلام، سيما وقت التشنيع على مريم وعيسى عليهما السلام، كما ستعرفه في الاختلاف الرابع والعشرين من القول الذي أنقله طرداً وإنما نقلت هذه الاعتراضات لتحصل البصيرة للناظر أن اعتراضات علماء پروتستنت على الأحاديث النبوية أضعف من اعتراضات أبناء صنفهم على مضامين كتبهم المقدسة. وما نقلتُها لأجل أنها مستحسنة عندي بل أتبرأ من أكثر خرافات الفريقين. ونَقْلُ الكفر ليس بكفر.

١ ــ الآية الثامنة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا : « الرب

حنان رحوم بطيء عن الغضب وعظيم النعمة ». والآية التاسعة عشر من الباب السادس من سفر صموئيل الأول هكذا : « وضرب الرب من أهل بيت شمس لأنهم رأوا تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين ». فانظروا الى شدّة رحمته وبطء غضبه، أنه قتل خمسين ألف رجل وسبعين من قومه الخاص على خطأ خفيف.

٢ ـــ الآية العاشرة من الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا : « وجده في الأرض القفر في المكان المخيف والبريةالمتسعة طاف به وعلمه وحفظه مثل حدقة عينه ». وفي الباب الخامس والعشرين من سفر العدد : « ٣ وقال الله لموسى : انطلق برؤساء الشعب كلهم واصلبهم قدام الله تلقاء الشمس، فترتد شدة غضبي عن اسرائيل ٩ وكان من مات أربعة وعشرون ألفا من البشر ». فانظروا الى حفظه الشعب مثل حدقة عينه، أنه أمر موسى بصلب رؤساء الشعب كلهم وأهلك منهم أربعة وعشرين ألفا.

٣ ـــ الآية الخامسة من الباب الثامن من سفر الاستثناء هكذا : « أحسب في قلبك أنه كما أن الرجل يؤدب ابنه كذلك أدبك الرب الهك ». والآية الثانية والثلاثـون من الباب الحادي عشر من سفر العدد هكذا : « واللحم الى هذا الحين كان بين أسنانهم ولم يفرغوا من أكله فاذا غضب الرب اشتد على الشعب فضربه ضربة عظيمة جدا ». فانظروا الى تأديبه كتأديبه الأب ابنه ان هؤلاء المفلوكين لما حصل لهم اللحم وشرعوا في الأكل ضربهم ضربة عظيمة.

٤ ـــ في الآية الثامنة عشر من الباب السابع من كتاب ميخا في حق الله هكذا : « إنه مريد الرحمة ». وفي الباب السابع من سفر الاستثناء في حق سبعة شعوب عظيمة هكذا : « ٢ يسلمهم الرب الهك بيدك فاضربهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية فلا تواثقهم ميثاقا ولا ترحمهم ١٦ فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الرب الهك يعطيك اياهم فلا تعف عنهم عيناك ». الخ فانظروا الى كونه مريد الرحمة أنه أمر بني اسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة وعدم الرحمة عليهم وعدم العفو عنهم.

٥ ـــ في الآية الحادية عشر من الباب الخامس من رسالة يعقوب هكذا : « ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤف ». والآية السادسة عشر من الباب الثالث عشر من كتاب هوشع هكذا : « فلتهلك سامرة لأنها بغت على الهها فيبادون بالسيف وأطفالهم ينطرحون وحُبالاهُم تُشقق بطونهن ». فانظروا الى كثرة رأفته في حق الأطفال والحبالى.

٦ ـــ في الآية الثالثة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : « في الآية الثالثة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : « إنه من قلبه لا يؤذي بني آدم ولا يحزنهم ». لكن عدم إيذائه بني آدم وعدم تحزينهم بمرتبة أنه أهلك الأشدوديين بالبواسير، كما هو مُصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول، وأهلك ألوفا من عساكر الملوك الخمسة بإمطار الحجارة الكبيرة من السماء، حتى كان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف، كما هو مصرح به في الباب الحادي والعشرين من سفر العدد.

٧ ـــ في الآية الحادية والأربعين من الباب السادس عشر من سفر الأيام الأول هكذا : « إن فضله أبدي ». والآية التاسعة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا : « الرب صالح لكل ورأفته على جميع خلقه ». لكن أبدية فضله وعموم رأفته على جميع الخلق بمرتبة أنه أهلك جميع الحيوانات والانسان غير أهل السفينة في عهد نوح عليه السلام بإرسال الطوفان، وأهلك أهل سادوم وعاموره ونواحيها بامطار الكبريت والنار من السماء، كما هو مُصرح به في الباب السابع والتاسع عشر من سفر التكوين.

٨ ـــ الآية السادسة عشر من الباب الرابع والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « لا تقتل الآباء عوض الأبناء، ولا الأبناء بدل الآباء، ولكن كل واحد يموت بذنبه ». وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن داود عليه السلام سلم سبعة أشخاص من أولاد شاول بأمر الرب بأيدي أهل جيعون ليقتلوهم بخطأ شاول فصلبوهم، وقد كان داود عليه السلام عاهد شاول

وحلف أن لا يهلك ذريته بعد موته، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الأول. فوُجد نَقْضُ العهد أيضاً بأمر الله.

٩ ـــ في الآية السابعة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « يجازى الأبناء وأبناؤهم باثم آبائهم الى ثلاثة وأربعة أجيال ». وفي الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي لا تخطىء فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الإبن، وعدل العادل يكون عليه، وشر الشرير يقع عليه ». فيُعلم منه أن الأبناء لا يحملون إثم الآباء الى جيل واحد فضلا عن أربعة أجيال، وهذا الحمل لو كان الى أربعة أجيال فقط كان مغتنما. لكن الإله الأب نقض هذا الحكم أيضا، وأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أجيال كثيرة. أيضا في الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « هكذا يقول الرب الصباووت اني ذكرت كل ما صنع عماليق باسرائيل أنه قاومه في الطريق حيث صعدوا من مصر. فالآن إذهب فاضرب عماليق وأهلك جميع ما لهم ولا ترحمهم ولا ترغب من مالهم شيئاً، بل اقتل من الرجال والنساء والعلماء حتى الأطفال والبقر والغنم والابل والحمير أيضاً ». فانظروا أنه ذكر بقوّة حافظته بعد أربعمائة سنة ما صنع عماليق باسرائيل، فأمر بعد هذه المدة بالانتقام من أولادهم وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جدا ومواشيهم من البقر والغنم والحمير. ولما لم يعمل شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملكا وترقى ابنه الوحيد الإله الثاني فأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أربعة آلاف سنة. في الباب الثالث والعشرين من انجيل متى قول هذا الإله الثاني في خطاب اليهود هكذا : « يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل ». ثم ترقى الأب الإله الأول وتخيل أن إثم آدم محمول على أولاده الى هذه المدة، وقد مضت أزيد من أربعة آلاف وثلاثين سنة، وقد مضى من آدم الى يسوع خمس وسبعون جيلا، على ما صرح به لوقا في الباب الثالث من انجيله، ورأى أن أولاد آدم كلهم مستحقون للنار لو لم تكن الكفارة كاملة جيدة، وما رأى غير ابنه الإله الثاني

حرياً بها بأن يُصلب من أيدي أرذل أقوام الدنيا ــ وهم اليهود ــ وما ظهر له طريق النجاة غير هذا. فأمره أن يصلب وتركه ولم يغثه من شدته، حتى صرخ لأجل شدّة العذاب، ونادى الأب قائلا : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ ثم صرخ ثانياً ومات. وبعد موته صار ملعونا ودخل الجحيم، والعياذ بالله. على أنه لم يثبت من كتاب من كتب العهد العتيق أن زكريا بن برخيا قتل بين الهيكل والمذبح. نعم صُرِّح في الباب الرابع والعشرين من سفر الأيام الثاني أن زكريا بن يهوياداع الحبر قتل في صحن بيت الرب في عهد بواش الملك، ثم عبيد الملك قتلوه بانتقام دم زكريا. فحرف الانجيل يهوياداع ببرخيا، ولعل لوقا لأجل ذلك اكتفى في الباب الحادي عشر من انجيله على اسم زكريا ولم يذكر اسم أبيه. فانظروا الى هذه الأمور التسعة كيف يثبت منها رحمة الله تعالى.

١٠ ــ في الآية الخامسة من الزبور الثلاثين هكذا : « ان غضبه لحظة ». وفي الآية الثالثة عشر من الباب الثاني والثلاثين من سفر العدد هكذا : « فاشتد غضب الرب على بني اسرائيل فاتاههم في القفار أربعين سنةحتى باد ذلك الخلف كله وهلك أولئك الذين أساؤا قدامه ». فانظروا الى غضبه اللحظي أنه كيف عامل بني اسرائيل.

١١ ــ في الآية الأولى من الباب السابع عشر من سفر التكوين : « أنا الله القادر ». وفي الآية التاسعة عشر من الباب الأول من كتاب القضاة هكذا : « وكان الرب مع يهوذا وورث الجبال ولم يستطع يستأصل أهل الوادي، لأن كانت لهم مراكب كثيرة من حديد ». فانظروا الى قدرته أنه لم يقدر على استئصال أهل الوادي لكونهم ذوي مراكب كثيرة من حديد.

١٢ ــ في الآية السابعة عشر من الباب العاشر من سفر الاستثناء هكذا : « إن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب إله عظيم جبار ». والآية الثالثة عشر من الباب الثاني من كتاب عاموص هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٤٤ : « ها أنا ذا أصرُّ من تحتكم كما تصر العجلة المحملة حشيشاً ». ترجمة فارسية سنة ١٨٣٨ (ابنك من درزير شما جسپيده شدم چنانچه ارابه پرازا

قد جسپيده مى شود) انطروا الى عظمته وجباريته انه صر تحت بني اسرائيل كما تصر العجلة المحملة حشيشا.

١٣ ــ في الآية الثامنة والعشرين من الباب الأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « الرب الذي خلق أطراف الأرض لا يضعف ولا يتعب ». والآية الثالثة والعشرون من الباب الخامس من كتاب القضاء هكذا : « العنوا أرض ماروض قال ملاك الرب، العنوا سكانها لأنهم لم يأتوا الى معونة الرب في مقابلة الأقوياء ». فانظروا الى عدم ضعفه أنه كان محتاجا الى الإعانة في مقابلة الأقوياء، ويلعن من لم يجيء لاعانته. ووقع في الآية التاسعة من الباب الثالث من كتاب ملاخيا هكذا : « صرتم ملعونين باللعنة لأنكم نعم هذا القوم كلهم نهبوني ». وهذا أيضا يدل على أن بني اسرائيل نهبوه، فيلعنهم وظهر من هذه الأمثلة الأربعة حال قدرته.

١٤ ــ الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الأمثال هكذا : « عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين ». وفي الآية التاسعة من الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « فدعا الرب الإله آدم وقال له أين أنت ». فانظروا الى ترقب عينه في كل مكان أنه احتاج الى الاستفهام من آدم حين اختفى في وسط شجرة الفردوس.

١٥ ــ في الآية التاسعة من الباب السادس عشر من سفر الأيام الثاني هكذا : « عينا الرب محيطتان بكل الأرض ». والآية الخامسة من الباب الحادي عشر من سفر التكوين هكذا : « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذي كان يبنيه بنو آدم ». فانظروا الى احاطة عينيه بكل الأرض انه احتاج الى النزول والنظر ليعلم حال المدينة والبرج.

١٦ ــ الآية الثانية من الزبور المائة والتاسع والثلاثين هكذا : « وميزت سعيي وسكوني واطلعت على طرقي كلها ». يُعلم منه ان الله عالم طرق العباد كلها وأفعالهم. وفي الباب الثامن عشر من سفر التكوين هكذا : « ٢٠ فقال الرب ان صراخ سادوم وعاموره قد كثر وخطيتهم ثقلت جدا ٢١ انزل أنظر إن فعلهم يشاكل الصراخ الآتي أم لا لأعلم ذلك ». فانظروا الى كونه عالم

طرق العباد وأفعالهم كلها أنه احتاج الى النزول والنظر ليعلم أن فعل أهل سادوم وعاموره يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا.

١٧ ــ الآية الخامسة من الزبور هكذا : « فما أعجب هذا العلم عندي فهو أرفع من أن أدركه ». وفي الآية الخامسة من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « أما الآن فاعزلوا عنكم زينتكم فاعلم ما أفعله بكم ». فانظروا الى علمه الخارج عن الادراك انه لم يعلم ما يفعله بهم ما لم يعزلوا زينتهم. والآية الرابعة من الباب السادس عشر من سفر الخروج هكذا : « فقال الرب لموسى إني أمطر عليكم خبزا من السماء، فليخرج الشعب ويلقطوا يوما بيوم طعامهم من أجل أني امتحنهم ». والآية الثانية من الباب الثاني من سفر الاستثناء هكذا : « واذكر كل الطريق الذي ساسك به الرب الهك أربعين سنة في القفار ليعذبك ويبتليك وبيان كل ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا ». فالرب محتاج الى الامتحان ليعلم ما في قلوبهم، فامتحنهم بامطار الخبز وبسياستهم أربعين سنة في القفار. فعُلم من هذه الأمثلة الستة حال كونه عالم الغيب.

١٨ ــ في الآية السادسة من الباب الثالث من كتاب ملاخيا هكذا : « فاني أنا الرب ولا أتغير ». وفي الباب الثاني والعشرين من سفر العدد هكذا : « ٢٠ فاتى الله بلعام في الليل وقال له إن كان هؤلاء القوم إنما جاؤا ليدعوك، فانطلق معهم ولكن لا تفعل إلا الذي أقوله لك ٢١ فقام بلعام غدوة وركب اتانه وانطلق مع عظماء مواب ٢٢ فغضب الله عليه لما ذهب ». الخ. فانظروا الى عدم تغيره، أنه أتى في الليل وأمر بلعام بالانطلاق مع عظماء مواب، ولما فعل بلعام ما أمر غضب عليه.

١٩ ــ في الآية السابعة عشر من الباب الأول من رسالة يعقوب هكذا : « ليس عنده تغير ولا ظل دوران ». وقد أمر بمحافظة السبت في أكثر المواضع من كتب العهد العتيق، وصرح في كثير منها أنه أبدي، والقسيسيون بدلوا السبت بالأحد. فيلزم عليهم الاعتراف بأنه متغير.

٢٠ ــ في الباب الأول من سفر التكوين وقع في حق السماء والكواكب

والحيوانات أنها حسنة، وفي الآية الخامسة عشر من الباب الخامس عشر من كتاب أيوب هكذا : « والسماء ليست بظاهرة قدامه ». وفي الآية الخامسة من الباب الخامس والعشرين هكذا : « والكواكب لا تزكو بين يديه ». ووقع في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار في حق كثير من البهائم والطيور وحشرات الأرض أنها قبيحة محرمة.

٢١ ــ في الآية الخامسة والعشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « فاسمعوا يا بيت اسرائيل طريقي ليس بمستقيم أم لا، ليس بالحري أن طرقكم خبيثة ». وفي الباب الأول من كتاب ملاخيا هكذا : « ٢ اني أجبتكم قال الرب وقلتم في أي شيء أجبتنا أليس أنه عيسو أخ ليعقوب يقول الرب وأحببت يعقوب ٣ وبغضت عيسو وجعلت جباله قفرا وميراثه لتنانين البرية ». انظروا الى استقامة طريقة أنه بغض عيسو بلا سبب، وجعل جباله قفرا وميراثه لتنانين البرية.

٢٢ ــ في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من المشاهدات هكذا : « أيها الرب الإله القادر على كل شيء طرقك عادلة وحق ». والآية الخامسة والعشرون من الباب العشرين من كتاب حزقيال هكذا : « إذا أعطيتهم أنا وصايا غير حسنة وأحكاما لا يعيشون بها ».

٢٣ ــ الآية الثامنة والستون من الزبور المائة والتاسع عشر هكذا : « رب إنك صالح ومصلح، فعلمني سننك ». والآية الثالثة والعشرون من الباب التاسع من كتاب القضاة هكذا : « وسلط الرب روحاً ردياً بين أبي مالك وسكان شخيم وبدوا يبغضوه ». فانظروا الى اصلاحه أنه سلط الروح الرديء لهيجان الفتنة.

٢٤ ــ يوجد في الآيات الكثيرة حرمة الزنا. ولو فرض أن القسيسين صادقون في قولهم، يلزم أن الرب نفسه زنى بزوجة يوسف النجار المسكين، فحملت من هذا الزنا، والعياذ بالله. والملاحدة في هذا الموضع يتجاوزون عن الحد، ويستهزؤن استهزاء بلغياً بحيث تقشعر منه جلود المؤمنين. وأنا أنقل لتنبه الناظر ما قال صاحب اكسيهومو وأحذف استهزاءه. قال هذا الملحد في

الصفحة ٤٤ من كتابه المطبوع سنة ١٨١٣ « ذكر في انجيل اسمه تي تي وتي اف ميري، ويعد في هذا الزمان من الأناجيل الكاذبة، أن مريم عليها السلام كانت محررة لخدمة بيت المقدس. وكانت هناك الى أن بلغت ست عشرة سنة. واختار فادر جيروم زاوير هذا المذكور بعدما اعتقد صحته. فحينئذ يُحتمل أن مريم حبلت من كاهن من كهنة البيت، وهو علمها أن تقول أني حبلت من روح القدس ». انتهى. ثم استهزأ هذا الملحد بتحرير لوقا استهزاء بليغا فقال : « إن هذا الحال ثبت عند اليهود هكذا : إن ولد عسكري كان يحبها، ومن حركته الشنيعة تولد مسيح اليسوعيين. فسخط عليها يوسف النجار لأجل هذا الأمر، وترك هذه الزوجة الخائنة، وذهب الى بابل. وذهبت مريم مع يسوع الى مصر، وتعلم يسوع هناك النيرنجات، وجاء بعد تعلمها الى اليهودية ليريها الناس». انتهى. ثم قال : « اشتهرت الحكايات الكذائية الواهية الكثيرة بين الوثنيين مثل أنهم يعتقدون أن إلههم منرو تولد من دماغ جوبتر، وكان بي كس في فخذ جوبتر واله أهل الصين فتولد من العذراء التي حبلت من شعاع الشمس ». انتهى ملخصا. ويناسب هذا المقام حكاية نقلها جان ملنر في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٨ « ادعت جؤانا سؤات كوت الإلهام قبل هذا الزمان بمدة قليلة وقالت اني أنا الإمرأة التي قال الله في حقها في الآية الخامسة عشر من الباب الثالث من سفر التكوين هي تستحق رأسك. ووقع في حقها في الباب الثاني عشر من المشاهدات هكذا : « ١ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا ٢ وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد، وإني حبلت من عيسى عليه السلام. وتبعها كثير من المسيحيين. وحصل لهم من هذا الحمل فرح كثير وصنعوا ظرف الذهب والفضة ». انتهى كلامه. لكنا ما سمعنا أنها ولدت من هذا الحمل ولدا مباركا أم لا ؟ وفي الصورة الأولى، هل حصلت رتبة الألوهية لهذا الولد السعيد مثل أبيه أم لا ؟ وفي صورة الحصول، هل بدل في معتقديه اعتقاد التثليث بالتربيع أم لا ؟ وكذا هل بدل لقب الله الأب بالجد أم لا ؟

٢٥ ــ في الآية التاسعة عشر من الباب الثالث والعشرين من سفر العدد

هكذا : « ليس الله برجل فيكذب ولا ابن الانسان فيندم ». وفي الباب السادس من سفر التكوين هكذا : « ٦ فندم على عمله الانسان على الأرض فتأسف بقلبه داخلا ٧ وقال فامحو البشر الذي خلقته عن وجه الأرض من البشر، حتى الحيوانات من الدبيب حتى طير السماء لأني نادم أني عملتهم.

٢٦ ــ الآية التاسعةلا والعشرون من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فإن عزيز اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس بانسان فيندم ». وفي الباب المذكور هكذا : « ١٠ وكان قول الرب على صموئيل قائلا ١١ ندمت على أني صيرت شاول ملكا الخ ٣٥ الرب أسف على أنه ملك شاول.

٢٧ ــ في الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني عشر من سفر الأمثال هكذا : « من الشفة الكاذبة نفرة للرب ». وفي الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ١٧ وقلت اني أصعدكم من استعباد أهل مصر الى أرض الكنعانيين والحبشيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليابوسيين الى الأرض التي تجري لبنا وعسلا ١٨ وهم يسمعون صوتك وتدخل أنت وشيوخ اسرائيل الى ملك مصر وتقول له : الرب إله العبرانيين دعانا فنمضي مسيرة ثلاثة أيام في البرية لكي نذبح ذبيحة للرب الهنا ». والآية الثالثة من الباب الخامس من السفر المذكور : فقالا ــ أي موسى وهرون ــ له ــ أي الفرعون ــ : إله العبرانيين دعانا لنذهب مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح ذبائح للرب إلهنا لئلا يصيبنا وباء أو حرب ». وفي الآية الثانية من الباب الحادي عشر من السفر المذكور، قول الله تعالى في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « فتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبتها أواني فضة وأواني ذهب ». والآية الخامسة والثلاثون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئاً كثيراً من الكسوة ». فانظروا الى نفرته من الكذب، أنه أمر موسى وهرون أن يكذبا عند فرعون فكذبا، وكذلك كذب كل رجل وكل امرأة، وأمر بالخداع وأخذ كُلِّ مالَ جاره بالخديعة وتصرف

به. وقد أمر في مواضع من التوراة بأداء حق الجار. أيكون أداء حقه كما أمر وقت خروجهم ؟ وأيليق بالله أن يعلمهم الغدر والخيانة ؟ وفي الباب السادس عشر من سفر صموئيل الأول : « قال الرب لصموئيل املأ قرنك دهنا وتعال أبعثك الى ايسى الذي من بيت لحم، فاني قد رأيت لي في بينه ملكاً. قال صموئيل كيف أذهب فيسمع شاول فيقتلني. فقال الرب خذ بيدك عجلة من القر وقل أني جئت لأقرب ذبيحة للرب. فصنع صموئيل كما أمر الرب وأتى الى بيت لحم ». انتهى ملخصاً. فأمر الله صموئيل أن يكذب لأنه كان أرسله لمسح داود وجعله سلطانا لا للذبح. وعرفت في جواب الشبهة الثالثة في الفصل الثاني من هذا الباب أن الله أرسل روح الضلالة ليقع في أفواه نحو أربعمائة نبي كذبة ويضلهم فيكذبون. فمن هذه الأمثلة الأربعة يظهر نفرته من الشفة الكاذبة.

٢٨ ــ الآية السادسة والعشرون من الباب العشرين من سفر الخروج هكذا: « لا تصعد على مذبحي بدرج لئلا تنكشف عليه عورتك ». فعلم منه أنه لا يجب انكشاف عورة الرجل فضلا عن عورة الامرأة. وفي الآية السابعة عشر من الباب الثالث من كتاب أشعيا : « الرب يقلع عورات بنات صهيون ». وفي الباب السابع والأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « خذي الرحى واطحني دقيقاً أعري عارك اكشفي كتفك اظهري ساقيك جوزي الأنهار ٣ ينكشف عيبك ويظهر عارك. انتقم ولا يقاومني بشر ». والآية الثامنة عشر من الباب العشرين من سفر التكوين هكذا : « لأن الرب أعقم جميع مَنْ في بيت أبي مالك من أجل سارة امرأة ابراهيم ». والآية الحادية والثلاثون من الباب التاسع والعشرين هكذا : « فلما رأى الرب أن ليا مبغوضة فتح رحمها وكانت راحيل عاقرا ». والآية الثانية والعشرون من الباب الثلاثين من السفر المذكور هكذا : « فذكر الرب راحيل واستجاب لها وفتح رحمها ». فانظروا الى نفرته من كشف عورة الرجال، ورغبته الى قلع عورات النساء واعرائهن وفتح أرحامهن وسدِّها.

٢٩ ــ في الآية الرابعة والعشرين من الباب التاسع من كتاب أرمياء هكذا : « أنا الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل في الأرض ». وقد عرفت حال ارتضائه بالرحمة والصدق، فاعرف حال عدله. في الباب الحادي

والعشرين من كتاب حزقيال هكذا : « ٣ وتقول لأرض اسرائيل هكذا يقول الرب الإله ها أناذا إليك وأسلُّ سيفي من غمده وأقتل فيك البار والمنافق ٤ ومن أجل أني قتلت فيك باراً ومنافقاً فلهذا يخرج سيفي من غمده الى كل جسد من التيمن الى الشمال ». فلو سلم أن قتل المنافق عند علماء پروتستنت عدل، لكن كيف يكون قتل البار عدلاً عندهم ؟ وفي الباب الثالث عشر من كتاب ارمياء هكذا : « ١٣ فنقول لهم هكذا يقول الرب ها أناذا أُملي سكراً جميع سكان هذه الأرض والملوك الجالسين من ذرية داود على كرسيه والكهنة والأنبياء وجميع سكان أورشليم ١٤ وأبددهم رجلا عن أخيه والآباء والأبناء جميعا يقول الرب لست أرحم ولا أعفي ولا أتحنن حتى أهلكهم ». فأملا جميع سكان هذه الأرض سكرا ثم قتلهم. أي عدل ! والآية التاسعة والعشرون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « ولما انتصف الليل قتل الرب كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه حتى الى بكر المسبية التي في السجن وكل ابكار البهائم ». فقتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم. أي عدل ! لأن الوفا من أبكار أهل مصر كانوا أطفالا معصومين، وكان أبكار البهائم أيضا غير مذنبين.

٣٠ ــ الآية الثالثة والعشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « العلي مرضاتي هو موت المنافق يقول الرب الإله، إلا أن يتوب من طرقه فيعيش ». والآية الحادية عشر من الباب الثالث والثلاثين هكذا : « فقل لهم حي أنا يقول الرب الإله لست أريد موت المنافق، بل أن يتوب المنافق من طريقه ويعيش ». الخ. فعلم من هاتين الآيتين أن الله لا يحب موت الشرير، بل يحب أن يتوب الشرير وينجو. والآية العشرون من الباب الحادي عشر من كتاب يوشع هكذا : « فقسى الرب قلوبهم وأهلكهم ».

٣١ ــ الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، والى معرفة الحق يقبلون » وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي هكذا : « ١١ ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ١٢ لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم ».

٣٢ ــ الآية الثامنة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الامثال هكذا : « عوض الصديق يسلم المنافق، وعوض المستقيمين الاثيم ». والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا ». ففهم من الآية الأولى أن الأشرار يكونون كفارات للصلحاء، ومن الثاني أن المسيح عليه السلام الذي هو معصوم عند المسيحيين صار كفارة للأشرار(١).

٣٣ ــ وقع في الباب العشرين من سفر الخروج لا تقتل ولا تزن. والآية الثانية من الباب الرابع عشر من كتاب زكريا هكذا : « وأجمع جميع الأمم الى أورشليم للقتال وتؤخذ المدينة وتخرب البيوت وتفضح النساء ». فوعد الرب أن يجمع الأمم ليقتلوا قومه الخاص ويفضحوا نساءهم ويزنوا بها.

٣٤ ــ في الآية الثالثة عشر من الباب الأول من كتاب حبقوق هكذا : « نقبت عيناك لئلا ترى السوء ولا تقدر أن تنظر الى الإثم ». والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب اشعيا : « المصوّر النور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشر أنا الرب الصانع جميعا ».

٣٥ ــ في الزبور الرابع والثلاثين هكذا : « ١٥ فان عيني الرب الى الأبرار ومسامعه الى صراخهم ١٧ أولئك الذين صرخوا فاستجاب لهم ونجاهم من جميع اضرارهم ١٨ فإن الرب قريب من منكسري القلب ومخلص متواضعي الروح ». وفي الزبور الثاني والعشرين هكذا : « ١ الهي الهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي وكلام صراخي ٢ الهي الهي إني في

---

(١) ما ادّعى بعض القسّيسين من أن المسلمين ليس لهم كفّارة جيّدة، غلط. لأنا لو تأمّلنا في حكم عبارة الأمثال ونظرنا الى طوائف بني آدم وجدنا أن الكفارات المتعددة من المنكرين، لمحمد ﷺ، موجودة لكل فرد من المسلمين. على أن المسيح، عليه السلام، لما كان كفارة لخطايا كل العالم، على ما اعترف يوحنا، فكيف لا يكون كفارة للمسلمين الذين يعترفون بتوحيد الله ونبوته وصدقه وكون أمه صادقة بريئة ؟ بل لو أنصف أحد عرف ان أهل الحياة الأبدية هؤلاء المسلمون لا غيرهم، كما عرفتَ في الباب الرابع (م).

النهار أدعو وأنت لا تستجيب، وفي الليل ولا سكوت لي ». والآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني، أي الهي الهي لماذا تركتني ». أما كان داود وعيسى عليهما السلام من الأبرار ومنكسري القلوب ومتواضعي الروح ؟ فلم تركهما ولم يسمع صراخهما ؟

٣٦ ـــ الآية الثالثة عشر من الباب التاسع والعشرين من كتاب أرمياء هكذا : « تطلبونني وتجدونني، إذا طلبتموني بكل قلوبكم ». والآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب أيوب هكذا : « من يعطيني أن أعرف فأجده، وأستطيع البلوغ الى مجلسه ». وقد شهد الله في حق أيوب إنه صالح مستقيم خائف من الله بعيد من السوء، كما هو مُصرح به في الباب الأول والثاني من كتابه. فهذا المقدس لم يحصل له علم طريق وجدان الله فضلا عن وجدانه.

٣٧ ـــ في الآية الرابعة من الباب العشرين من سفر الخروج هكذا : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثيل من كل ما في السماء وما في الأرض وما في الماء من تحت الأرض ». والآية الثامنة عشر من الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور هكذا : « واصنع كاروبين من ذهب سبيك تجعل على كل جانبي الغشاء ».

٣٨ ـــ الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » فعُلم منها أن الشياطين مربوطة بقيود عظيمة الى يوم القيامة. ويعلم من الباب الأول والثاني من كتاب أيوب أن الشيطان ليس بمقيد، بل هو مطلق ويحضر عند الله.

٣٩ ـــ في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « إن الله لم يشفق على ملائكة قد أخطؤا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ». وفي الباب الرابع من انجيل متى أن الشيطان جرب عيسى عليه السلام.

٤٠ ــ الآية الرابعة في الزبور التسعين هكذا : « فان ألف سنة لديك كالأمس الغابر وكهجيع من الليل ». والآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد ». ومع ذلك قال في الآية السادسة عشر من الباب التاسع من سفر التكوين هكذا : « ويكون القوس في الغمام وأراه واذكر الميثاق الأبدي الذي قام بين الله وبين كل نفس حية من كل ذي جسد هو على الأرض ». على أن كون القوس علامة العهد لا يحسن، لأن القوس لا يكون في كل غمام بل في قليل من أوقات الغمام وهو وقت رقة الغمام غالبا. وهذا الوقت لا يكون موجبا لكثرة الأمطار التي يخاف منهاالطوفان، فلا تحصل العلامة وقت الحاجة اليها، بل وقت الاستغناء عنها.

٤١ ــ في الآية العشرين من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج قول الله في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « إنك لا تقدر على النظر الى وجهي لأنه لا يراني بشراً فيحيا ». وفي الآية الثلاثين من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين قول يعقوب عليه السلام هكذا : « رأيت الله وجهاً لوجه وتخلصت نفسي ». فرأى يعقوب عليه السلام الله وجها لوجه وبقي حيا. وفي القصة التي وقع فيها هذا القول أشياء أخرى أيضا لا تليق : الأول، ذكر المصارعة بين الله وبين يعقوب. والثاني، كونها ممتدة الى طلوع الفجر. والثالث، انه لم يقو أحدهما بالآخر. والرابع، ان الله لم يقدر أن ينطلق بذاته فقال اطلقني. والخامس، أن يعقوب لم يطلقه إلا بعوض، وهو أن يباركه. والسادس، ان الله سأله عن اسمه فعلم أنه ما كان يعلم اسمه.

٤٢ ــ الآية الثانية عشر من الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « الله لم ينظره أحد قط ». وفي الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج هكذا : « وصعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون رجلا من شيوخ اسرائيل ١٠ ونظروا الى إله اسرائيل وتحت رجليه مثل الحجر السمانجوني وكمثل لون السماء ونور ظاهر ١١ فلم يبسط يده على شيوخ اسرائيل وابصروا الله واكلوا وشربوا ». فموسى وهرون والمشايخ السبعون عليهم

السلام قد أبصروا الله وأكلوا وشربوا معه. أقول أولا ان الجملة الأخيرة بحسب الظاهر تدل على أنهم أكلوا الله وشربوه. لكن المقصود لعله ما فهمه المعترضون، وثانيا أن إله بني اسرائيل ــ والعياذ بالله ــ كان على صورة آلهة مشركي الهند مثل رامجندر وكرشن لأن ألوانهم على ما صرح به في كتبهم على لون السماء.

٤٣ ــ في الآية السادسة عشر من الباب السادس من الرسالة الأولى الى تيموثاوس هكذا : « الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ». وفي الباب الرابع من المشاهدات أن يوحنا رآه جالسا على العرش، وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق.

٤٤ ــ الآية السابعة والثلاثون من الباب الخامس من انجيل يوحنا قول يسوع في خطاب اليهود هكذا : « لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته ». وقد علمت حال رؤية الله في المثال السابق، بقي حال سماع صوته. في الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر الاستثناء هكذا : « قد أرانا الرب الهنا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار ».

٤٥ ــ في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع من انجيل يوحنا هكذا « الله روح ». وفي الآية التاسعة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « إن الروح ليس له لحم وعظام ». ويُعلم من هاتين العبارتين أن الله ليس له لحم وعظام. وقد ثبت له في كتبهم كل عضو من الرأس الى الرجل. ونقول أمثلة لإثبات هذه الأعضاء، وقد عرفتها في مقدمة الباب الرابع. ثم قالوا استهزاء لم يُعلم الى الآن انه بستاني أم بناء أو خزاف أو خياط أو جراح أو حلاق أو قابلة أو جزار أو فلاح أو تاجر أو غيره، لأن أقوال كتبهم مضطربة. في الآية الثامنة من الباب الثاني من سفر التكوين هكذا : « وغرس الرب الإله فردوس النعيم من البدء » فيُعلم منه أنه بستاني. وكذا يعلم من الآية التاسعة عشر من الباب الحادي والأربعين من كتاب اشعيا وفي الآية الخامسة والثلاثين من الباب الثاني من سفر صموئيل الأول هكذا : « وبنى له بيتا أمينا ». وهكذا في الآية ١١ و٢٧ من الباب السابع من سفر صموئيل

الثاني والآية ٣٨ من الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول والآية ١ من الزبور ١٢٧، ويعلم من هذه الآيات أنه بناء. والآية الثامنة من الباب الرابع والستين من كتاب اشعيا هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا ونحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعا أعمال يديك ». فيُعلم منها أنه خزاف. والآية الحادية والعشرون من الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « وصنع الرب الإله لآدم وزوجته ثيابا من جلود وألبسهما ». فيُعلم أنه خياط. وفي الآية ١٧ من الباب الثلاثين من كتاب أرميا هكذا : « أشفي جرحك ». فيُعلم أنه جراح. والآية العشرون من الباب السابع من كتاب أشعيا هكذا : « في ذلك اليوم يحلق الرب بموسى مستنكرا في أولئك الذين هم عبروا النهر بملك الآثوريين الرأس وأوبار الرجلين واللحية كلها ». فيُعلم أنه حلاق. ويعلم من الآية ٣١ من الباب التاسع والعشرين والآية ٢٢ من الباب الثلاثين من سفر التكوين أنه قابلة. وقد مر نقلهما عن قريب في بيان الاختلاف الثامن والعشرين. والآية السادسة من الباب الرابع والثلاثين من كتاب أشعيا هكذا : « سيف الرب امتلأ دماً سمن من شحم من دم الخرفان والتيوس من دم الكباش المعلوفة ». فيُعلم أنه جزار. والآية الخامسة عشر من الباب الحادي والأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « ها جعلتك مثل البكرات الجدد التي للعجلة شبه المناشير التي تدوس فتدوس الجبال وتستحق الآكام وتصنعهم مثل التراب ». فيُعلم أنه فلاح. وفي الآية الثامنة من الباب الثالث من كتاب يوئيل هكذا : « وأبيع بنيكم وبناتكم في أيدي بني يهوذا ». فيُعلم أنه تاجر. وفي الآية الثالثة عشر من الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا : « يتعلم جميع بنيك من الرب ». فيُعلم أنه معلم. ويُعلم من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين أنه مصارع.

٤٦ ــ الآية التاسعة من الباب الثاني والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ارتفع دخان من أنفه والتهبت النار من فمه تأكل والجمر اشتعل منها ». والآية العاشرة من الباب السابع والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « يكون الثلج من نفس الله ويجمد الماء السائل ».

٤٧ ــ الآية الثانية عشر من الباب الخامس من كتاب هوشع هكذا :

« وأنا مثل السوس لأفرام ومثل الدودة لبيت يهوذا ». والآية السابعة من الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا : « وأنا أكون لهم مثل أسد مثل نمر في طريق الآثوريين ». فتارة مثل السوس والدودة وتارة مثل الأسد والنمر.

٤٨ ـــ الآية العاشرة من الباب الثالث من مراثي أرمياء هكذا : « دباً راصداً صار لي أسداً في الخفية ». والآية الحادية عشر من الباب الأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « مثل الراعي هو يرعى قطيعه ». الخ. فتارة مثل الدب والأسد وتارة كالراعي.

٤٩ ـــ في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « الرب مثل الرجل المقاتل ». وفي الآية العشرين من الباب الثالث عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وإله السلام ».

٥٠ ـــ في الآية الثامنة من الباب الرابع ليوحنا هكذا : « الله محبة ». والآية الخامسة من الباب الحادي والعشرين من كتاب ارمياء هكذا : « وأنا أغليكم بيد ممدودة وبذراع قوية وبزجر وبغضب وبسخط شديد ».

ولما وصلت النوبة الى الخمسين، اكتفى في نقل هذه الاختلافات على هذا القدر خوفا من التطويل. فمن شاء أزيد منه فليتصفح كتب المعترضين المذكورين يجد فيها اختلافات أخرى. والآية الخامسة عشر من الباب الحادي والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « وإن كانت لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة ». الخ. والآية السابعة والعشرون من الباب التاسع من كتاب يوشع هكذا : « وفرض عليهم ـــ أي أهل جبعون ـــ اليوم ان يكونوا في خدمة الشعب بأسره وخدمة مذبح الرب محطبين حطباً ومستقين ماء في الموضع الذي يختاره الرب ». وفي الباب السادس والخمسين من كتاب أشعيا هكذا : « يقول الرب للخصيين الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما أنا شئته ويمسكون بعهدي، أعطيهم في بيتي وفي حيطاني موضعا واسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسماً أبديا لا يبيد ». يُعلم من هذه الآيات أن الله مجوّز لتزوّج زوجتين واحد القوم في العبودية والرق وراض عن الخصيين. وهذه الأشياء كلها مذمومة عند الانكليز شرعا أو عقلا. والآية الخامسة

والعشرون من الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل قورنثيوس هكذا : « لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس ». والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال هكذا : « والنبي اذا ضلّ وتكلم بكلام فأنا الرب أضللت ذلك النبي ». الخ. ويُعلم من هاتين الآيتين جهل الله وأضلاله لأنبيائه ــ والعياذ بالله ــ. وقال جان كلارك الملحد بعدما نقل بعض الأقوال المنقولة فيما قبل : « إن إله بني اسرائيل هذا ليس قاتلا ظالما كاذبا أحمق مضلا فقط، بل هو نار محرقة أيضا، كما قال بولس في الآية التاسعة والعشرين من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية : الهنا نار آكلة والوقوع في يدي هذا الإله مخيف، كما قال بولس في الآية الحادية والثلاثين من الباب العاشر من الرسالة العبرانية : مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي. فتحصيل الحرية من رقية مثل هذا الإله بالعجلة المقدورة أحسن. لأنه إذا لم يُنْجِ ابنه الوحيد، فمن يرجو منه الرحمة واللطف. وهذا الإله الذي تحكم هذه الكتب أنه ليس بقابل أن يعتمد عليه بل هو شيء غير محقق جامع للاضداد والأوهام مضل أنبيائه ». انتهى. فانظروا الى أبناء صنف القسيسين الى أين وصلت نوبتهم وليعلم أن اعتراضاتهم على ما وقع في تراجمهم الانكليزية وغيرها. فان وجد الناظر في بيان عدد الآية أو في بعض المضامين ما يخالف الترجمة العربية فهو لأجل اختلاف التراجم.

الباب السادس

في إثبات نبوّة محمد ﷺ ودفع مطاعن القسيسين وهو مشتمل على فصلين

الفصل الأول

في إثبات نبوّته ﷺ
وفيه ستة مسالك

المسلك الأول : إنه ظهرت معجزات كثيرة على يده ﷺ. وأذكر نبذا منها في هذا المسلك من القرآن والأحاديث الصحيحة بحذف الأسناد، وأوردها في نوعين. وقد عرفت في الفصل الثالث من الباب الخامس، على أتمّ تفصيل، إنه لا شناعة عقلا ونقلا في اعتبار الروايات اللسانية المشتملة على شروط الرواية المعتبرة عند علمائنا رحمهم الله تعالى.

أما النوع الأول، ففي بيان أخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلة. أما الماضية فكقصص الأنبياء عليهم السلام، وقصص الأم البالية من غير سماع من أحد ولا تلقُّن من كتاب، كما عرفتَ في الأمر الرابع من الفصل الأول من الباب الخامس. وقد أُشير اليه بقوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا** ﴾[1]. والمخالفة التي وقعت بين القرآن وكتب أهل الكتاب في بيان بعض هذه القصص، فقد عرفت حالها في الفصل الثاني من الباب الخامس من جواب الشبهة الثانية.

---

(١) سورة هود (٤٩).

وأما المستقبلة فكثيرة. عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : « قام فينا مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه مَنْ حفظَهُ، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء. وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه وأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه وعرفه ». رواه البخاري ومسلم. وقد عرفت في الأمر الثالث من الفصل الأول من الباب الخامس اثنين وعشرين خبرا من الأخبار المندرجة في القرآن. وقال الله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ ٱللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللهِ قَرِيبٌ** ﴾(١). فوعد الله المسلمين في هذا القول بأنهم يزلزلون حتى يستقيؤه ويستنصروه. وقال النبي ﷺ لأصحابه : « سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم ». وقال أيضا : « إن الأحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا ». فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله وكانوا عشرة آلاف وحاصروا المسلمين وحاربوهم محاربة شديدة الى مدة شهر، وكان المسلمون في غاية الضيق والشدة والرعب، وقالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيقنوا بالجنة والنصر، كما أخبر الله تعالى : بقوله : ﴿ **وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيمَاً** ﴾(٢). وقد خَرَّج أئمة الحديث رضي الله عنهم : /١/ أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق. /٢/ وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله. /٣/ وأن خيبر تفتح على يد علي رضي الله عنه في غد يومه. /٤/ وانهم يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم. /٥/ وأن بنات فارس تخدمهم. وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر. /٦/ وان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة. /٧/ « وان فارس

---

(١) سورة البقرة (٢١٤).

(٢) سورة الاحزاب (٢٢).

نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً، والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن، أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر ». والمراد بالروم الفرنج والنصارى. وكان كما أخبر. ما بقي من سلطنة الفرس أثر ما، بخلاف الروم فإن سلطنتهم، وإن زالت عن الشام في عهد خلافة عمر رضي الله عنه وانهزم هرقل من الشام الى أقصى بلاده، لكن لم تزل سلطنتهم بالكلية، بل كلما هلك قرن خلفه قرن آخر. /٨/ « وإن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ». والمعنى جمع الله لي الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدها الى قريبها، حتى اطلعت على ما فيها، وستفتحها أمتي جزأ فجزأ حتى تملك جميع أجزائها. ولأجل تقييدها بمشارقها ومغاربها انتشرت ملته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند، التي هي أقصى المشرق، الى بحر طنجة الذي في أقصى المغرب. ولم تنتشر في الجنوب والشمال مثل انتشارها في المشرق والمغرب. ولعل في اتيانهما بلفظ الجمع وفي تقديم المشارق ايماء الى ما هنالك، والى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما. وإن علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب. /٩/ « وإنه لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ». وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. وقيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس ». والمراد عند جمهور العلماء بأهل الغرب أهل الشام لأنه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام. /١٠/ وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وكان كما أخبر وكان عمر رضي الله عنه سد باب الفتنة. /١١/ وأن المهدي رضي الله عنه يظهر. /١٢/ وان عيسى عليه السلام ينزل. /١٣/ وان الدجال يخرج. وهذه الأمور الثلاثة ستظهر إن شاء الله تعالى، والله أعلم. /١٤/ وإن عثمان يُقتل وهو يقرأ في المصحف. /١٥/ « وان أشقى الآخرين من يصبغ هذه من هذه ». يعني لحية علي من دم رأسه، يعني يقتله. وهما رضي الله عنهما استشهدا، كما أخبر. وإن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية. /١٧/ « وإن الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكا عضوضاً بعد ذلك ». فكانت الخلافة الحقة كذلك بمضي مدة خلافة

الحسن بن علي رضي الله عنهما، لأن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما، وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة، وبتمامها خلافة الحسن رضي الله عنه. /١٨/ « وان هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش » والمراد يزيد وبنو مروان. /١٩/ وان الأنصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتفرق حتى لم يبق لهم جماعة. ووقع كما أخبر. /٢٠/ وإنه يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك. فرأوهما المختار والحجاج. /٢١/ وإن الموتتين أي الوباء والطاعون يكون بعد فتح بيت المقدس. وكان هذا الوباء في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره، وهو أول طاعون وقع في الإسلام مات به سبعون ألفا في ثلاثة أيام. /٢٢/ وإنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة. ففي الصحيحين : « كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان من خالات النبي ﷺ من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوما فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام. ثم استيقظ يضحك، فقال : مم تضحك ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبي الله يركبون ثجج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو كالملوك على الأسرة فقال ادع الله أن يجعلني منهم، فقال أنت من الأولين. فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت ». /٢٣/ وإن الإيمان لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس. وفيه إشارة الى الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي رحمه الله تعالى أيضا. /٢٤/ وإن فاطمة أول أهله لحوقاً به، فماتت رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ. /٢٥/ « وإن ابني هذا ــ أي الحسن بن علي رضي الله عنهما ــ سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين ». ووقع كما أخبر، فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام. /٢٦/ وان أبا ذر يعيش وحيدا ويموت وحيدا. فكان كما أخبر. /٢٧/ « وإن أسرع أزواجه لحوقاً به أطولهن يدا ». فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أسرعهن لحوقاً به لطول يدها بالصدقة. /٢٨/ وإن الحسين بن علي رضي الله

عنهما يُقتل بالطف ـــ وهو، بفتح الطاء وتشديد الفاء، مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات والآن اشتهر بكربلاء ـــ فاستشهد الحسين رضي الله عنه في الطف، كما أخبر. /٢٩/ وقال لسراقة بن جعشم : كيف بك إذا لبستَ سَوَارَيْ كسرى. فلما أتى بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما اياه، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة. /٣٠/ وقال لخالد رضي الله عنه حين وجهه لأكيدر، إنك تجده يصيد البقر. فكان كما أخبر. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين : « أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز يضيء لها أعناق الابل ببصري ».
وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت خفيفة الى ليلة الثلاثاء بيومها. ثم ظهرت ظهوراً اشترك فيه الخاص والعام. ولعدم ظهورها ظهوراً معتداً الى يوم الثلاثاء، خفي عن البعض، وقال : ابتداؤها كان ثالث الشهر. وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً، واشتدت حركتها واضطربت الأرض بمن عليها وارتفعت الأصوات لخالقها، ودامت آثار الحركة حتى أيقن أهل المدينة بوقوع الهلاك وزلزلوا زلزالا شديدا. فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ثار في الجوّ دخان متراكم أمره متفاقم، ثم شاع النار وعلا حتى غشى الأبصار، فسكنت بقريظه عند قاع التنعيم بطرف الحرة. ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن، ويُرى رجال يقودونها لا تمرّ على جبل إلا دكّته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه. وكان يأتي المدينة ببركة النبي ﷺ نسيمٌ بارد، وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج. وللشيخ قطب الدين القسطلاني تأليف في بيان حال هذه النار سماه بحمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز. فهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضا لأن النبي ﷺ أخبر بخروج هذه النار قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريبا. وكتب في البخاري قبل ظهورها بمقدار أربعمائة سنة، وصحيح البخاري في غاية درجة القبول من زمان التأليف الى هذا الحين، حتى أخذ

تسعون ألف رجل سنده من الإمام المرحوم بلا واسطة في مدة حياته، فلا مجال لعناد معاند في تكذيب هذا الخبر الصريح الصادق. وروى مسلم في كتاب الفتن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في أمر الدجال من طريق أبي قتادة عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري، فقال : ألا يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة. قال : فقعد وكان متكئا، فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال : عدوٌّ يجتمعون لأهل الشام ويجتمع لهم أهل الشام قلت : الروم يعني. قال : نعم، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة، أي هزيمة، فيشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشرطة. فإذا كان اليوم الرابع نهد اليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم ــ أي الروم ــ فيقتتلون مقتلة، إما قال لا يُرى مثلها وإما قال لم يُر مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخرميتا. فيتعادّ بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم ؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك، فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون الحديث عصمنا الله من فتنة الدجال.

واعلمْ أن علماء پروتستنت، على ما هو عادتهم، يغلطون العوام باعتراضات مموّهة على الأخبارات المستقبلة المندرجة في القرآن والحديث. فأنقلُ ههنا بعض الإخبارات المنسوبة الى الأنبياء الاسرائيلية، عليهم السلام، عن كتبهم المقدسة ليعلم المخاطب أن اعتراضاتهم ليست بشيء وليس غرضي سوء الاعتقاد في أقوال الأنبياء عليهم السلام، لأنها ليست بثابتة الاسناد اليهم ثبوتا قطعيا، بل حكمها حكم الروايات الضعيفة المروية بروايات الآحاد. فالغلط

منها ليس بقولهم يقيناً، والاعتراض عليه حقٌ. فأقول : الأول الخبر المنقول في الباب السادس من سفر التكوين. والثاني الخبر المنقول في الآية الثامنة من الباب السابع من كتاب أشعيا. والثالث الخبر المنقول في الباب التاسع والعشرين من كتاب ارمياء. والرابع الخبر المندرج في الباب السادس والعشرين من كتاب حزقيال. والخامس الخبر المندرج في الباب الثامن من كتاب دانيال. والسادس الخبر المندرج في الباب التاسع من الكتاب المذكور. والسابع الخبر المندرج في الباب الثاني عشر من الكتاب المذكور. والثامن الخبر المندرج في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني. والتاسع الخبر المندرج في الآية ٣٩ و٤٠ من الباب الثاني عشر من انجيل متى. والعاشر الخبر المندرج في الآية السابعة والعشرين والثامنة والعشرين من الباب السادس عشر من انجيل متى. والحادي عشر الخبر المندرج في الباب الرابع والعشرين من انجيل متى. والثاني عشر الخبر المندرج في الباب العاشر من انجيل متى. وكلها غلط، كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول. فإن أراد أحد منهم أن يعترض على أخبار من الاخبارات المستقبلة المندرجة في القرآن والحديث فعليه أن يبين أولا صحة هذه الإخبارات المندرجة في كتبهم التي أشرت اليها الآن، ثم يعترض[1].

وأما النوع الثاني، ففي الأفعال التي ظهرت منه عليه السلام على خلاف العادة، وهي تزيد على ألف وأكتفي على ذكر أربعين : ١ ــ قال الله تعالى : في سورة بني اسرائيل : ﴿ **سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾[2]. فهذه الآية والأحاديث الصحيحة تدل على أن المعراج كان في اليقظة

---

(١) ما زلنا في المسلك الاول من الفصل الأول من الباب السادس. وكان المؤلف قد نبَّه الى انه سوف يورد معجزات محمد ــ ﷺ ــ على نوعين : الإخبار، والأفعال. وكان النوع الأول ــ أي الإخبار ــ قد انتهى. وهو يتابع ايراد المعجزات، على النوع الثاني، أي الافعال، وهذا ما تتضمنه الفقرات الآتية.

(٢) سورة الاسراء (١).

بالجسد. أما دلالة الأحاديث ففي غاية الظهور، وأما دلالة الآية فلأن لفظ « العبد » يُطلق على مجموع الجسد والروح. قال الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾[1]، وقال أيضا في سورة الجن : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾[2]. ولا شك أن المراد في الموضعين من العبد مجموع الروح والجسد، فكذا المراد بالعبد ههنا. ولأن الكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه، وارتد بسماعه ضعفاء المسلمين، وافتتنوا به، فلو لم يكن المعراج بالجسد وفي اليقظة، لما كان سببا لاستبعاد الكفار وانكارهم، وارتداد ضعفاء المسلمين وافتتانهم. إذ مثل هذا في المنامات لا يعد من المحال ولا يستبعد ولا ينكر. ألا ترى أن أحدا لو ادَّعى أنه سار في نومه مرة في الشرق ومرة في الغرب وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الأولى لم ينكره أحد ولم يستبعد ولا استحالة فيه عقلا ونقلا ؟ أما عقلا، فلأن خالق العالم قادر على كل الممكنات، وحصول الحركة البالغة في السرعة الى هذا الحدّ في جسد محمد ﷺ ممكن. فوجب كونه تعالى قادراً عليه. وغاية ما في الباب أنه خلاف العادة. والمعجزات كلها تكون كذلك. وأما نقلا، فلأن صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب. قال القسيس وليم اسمت في كتابه المسمى بطريق الأولياء في بيان حال اخنوخ الرسول الذي كان قبل ميلاد المسيح بثلاث آلاف سنة وثلثمائة واثنتين وثمانين سنة هكذا : « إن الله نقله حيا الى السماء لئلا يرى الموت، كما هو مرقوم أنه لم يوجد لأن الله نقله فترك الدنيا من غير أن يحمل المرض والوجع والألم والموت ودخل بجسده في ملكوت السماء ». انتهى. وقوله (كما هو مرقوم) إشارة الى الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر التكوين. وفي الباب الثاني من سفر الملوك الثاني هكذا : « وكان لما أراد الرب أن يصعد ايليا بالعجاج الى السماء انطلق ايليا واليسع من الجلجال

(١) سورة العلق (٩ ــ ١٠).

(٢) سورة الجن (١٣).

١١ وبينما هما يسيران ويتكلمان، إذ بعجلة من نار وخيل من نار فاقتربت فيما بينهما وصعد ايليا بالعجاج الى السماء ». وقال آدم كلارك المفسر في شرح هذا المقام : « لا شك أن ايليا رُفع الى السماء حيا ». انتهى كلامه. والآية التاسعة عشر من الباب السادس عشر من انجيل مرقس هكذا : « ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله ». وقال بولس في حال معراجه في الباب الثاني عشر من رسالته الثانية الى أهل قورنيثوس هكذا : « ٢ اعرف انساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم اختطف هذا الى السماء الثالثة ٣ واعرف هذا الانسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم أنه اختطف الى الفردوس ٤ وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها ». فادَّعى معراجه الى السماء الثالثة والى الفردوس بسماع كلمات لا ينطق بها وليس لانسان أن يتكلم بها. وقال يوحنا في الباب الرابع من المكاشفات : « ١ وبعد هذا نظرت، وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلا اصعد الى ههنا فأريك ما لا بدّ أن يصير بعد هذا ٢ وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس ». فهذه الأمور مسلّمة عند المسيحيين. فلا مجال للقسيسين أن يعترضوا على معراج النبي ﷺ عقلا أو نقلا. نعم يُرَدُّ عليهم أنه لا وجود للسموات على حكم علم الهيئة الجديد، فكيف يصدق عندهم أن أخنوع وايليا والمسيح عليهم السلام رفعوا الى السماء، وجلس المسيح على يمين الله، واختُطف مقدسهم الى السماء الثالثة والى الفردوس ؟ وقد عرفنا مطهر البابويين وجهنمهم، كما مر في الفصل الثاني من الباب الخامس، لكنا ما عرفنا فردوس المسيحيين : أهو على السماء الثالثة الموهومة كأنياب الأغوال عندهم أو فوقها، أو هو عبارة عن جهنم، كما يفهم بملاحظة الإنجيل وكتاب عقائدهم ؟ لأن المسيح قال للسارق المصلوب معه وقت الصلب أنك اليوم تكون معي في الفردوس. وهم يصرحون في العقيدة الثالثة من عقائدهم أنه نزل الى جهنم. فاذا لاحظنا الأمرين يُعلم أن الفردوس عندهم جهنم. قال جواد بن ساباط في البرهان السادس عشر من المقالة الثانية من

كتابه ان القسيس كياروس سألني في حضور المترجمين : ماذا يعتقد المسلمون في معراج محمد ﷺ ؟ قلت انهم يعتقدون أنه من مكة الى أورشليم ومنه الى السماء. قال لا يمكن صعود الجسم الى السماء. قلت سألت بعض المسلمين عنه، فأجاب أنه يمكن كما أمكن لجسم عيسى عليه السلام. قال القسيس لِمَ لمْ تستدلَّ بامتناع الخرق والالتئام على الأفلاك ؟ قلت استدللت به، لكنه أجاب انهما ممكنان لمحمد ﷺ، كما كانا ممكنين لعيسى عليه السلام. قال القسيس : لِمَ لَمْ تَقل ان عيسى إله له أن يتصرف ما يشاء في مخلوقاته ؟ قلت قد قلت ذلك لكنه قال ان ألوهية عيسى باطلة، لأنه يستحيل أن يطرأ على الله علامات العجز كالمضروبية والمصلوبية والموت والدفن. انتهى. ونقل بعض الأحباء أن قسيساً في بلد بنارس من بلاد الهند كان يقول في بعض المجامع تغليطاً لجهال المسلمين البدويين كيف تعتقدون المعراج وهو أمر مستبعد ؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند أن المعراج ليس باشدَّ استبعاداً من كون العذراء حاملة من غير زوج. فلو كان مطلق الأمر المستبعد كاذباً، فهذا أيضا يكون كاذباً. فكيف تعتقدونه ؟ فبهت القسيس.

٢ ـــ قال الله تعالى : ﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ** ﴾ (١). أخبر الله بوقوع الانشقاق بلفظ الماضي، فيجب تحقُّقُه. وحَمْلُهُ على معنى سينشق بعيد لأربعة أوجه : **الأول** أن قراءة حذيفة وقد انشق القمر وهي صريحة في الزمان الماضي، والأصل توافق القرائتين. **والثاني** أن الله أخبر باعراضهم عن آياته، والاعراض الحقيقي عنها لا يتصوّر قبل وقوعها. **والثالث** ان المفسرين المشهورين صرحوا بأن انشق بمعناه ورد، وأقول مَنْ قال بمعنى سينشق. **والرابع** أن الأحاديث الصحيحة تدلّ على وقوعه قطعا. ولذلك قال شارح المواقف : « وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره ». انتهى كلامه. وقال العلامة أبو نصر عبد الوهاب ابن الامام علي بن عبد الكافي بن تمام الأنصاري السبكي

---

(١) سورة القمر (١ ـــ ٢).

في شرحه لمختصر بن الحاجب في الأصول : « والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما ». انتهى كلامه. وأقوى شبهات المنكرين أن الأجرام العلوية لا يتأتّى فيها الخرق والالتئام، وان هذا الانشقاق لو وقع لم يَخْفَ على أهل الأرض كلها، ونقله مؤرخو العالم. والجواب ان هذه الشبهة ضعيفة جدا نقلا وعقلا. اما نقلا، فلسبعة أوجه :

الوجه الأول : إن حادثة طوفان نوح عليه السلام كانت ممتدة الى سنة وفني فيه كل ذي حياة من الطيور والبهائم والحشرات والانسان غير أهل السفينة، وما نجا من الانسان غير ثمانية أشخاص، على ما هو مُصَرَّح به في الباب السابع والثامن من سفر التكوين. وفي الآية العشرين من الباب الثالث من الرسالة الأولى لبطرس هكذا : « في أيام نوح إذ كان الفلك يبني الذي فيه خلص قليلون أي ثمانية أنفس بالماء ». والآية الخامسة من الباب الثاني من رسالته الثانية هكذا : « ولم يشفق على العالم القديم، بل إنما حفظ نوحا ثامنا كارزاً للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار ». وما مضت على هذه الحادثة مدّة الى هذا اليوم على زعم أهل الكتاب إلا مقدار أربعة آلاف ومائتين واثنتي عشرة سنة شمسية. ولا يوجد هذا الحال في تواريخ مشركي الهند وكتبهم، وهم ينكرون هذا الأمر انكارا بليغا، ويستهزىء به علماؤهم كافة، ويقولون لو قطع النظر عن الزمان السالف ونظر الى زمان كرشن الأوتار الذي كان قبل هذا اليوم بمقدار أربعة آلاف وتسعمائة وستين سنة على شهادة كتبهم، لا مجال لصحة هذه الحادثة العامة. لأن الأمصار العظيمة الكثرة من ذلك العهد الى هذا الحين مغمورة، وثبت بشهادة تواريخهم أنه يوجد من ذلك الحدّ الى هذا الحين في إقليم الهند مليونات كثيرة في كل زمان من الأزمنة ويدعون أن حال زمان كرشن لوجود كثرة التواريخ كحال أمس. وقال ابن خلدون في المجلد الثاني من تاريخه : « واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط ».انتهى كلامه بلفظه. وقال العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي في المجلد الأول من كتابه المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار : « الفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان، وأقرَّ به بعض الفرس. لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس ولم يجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق ». انتهى كلامه بلفظه. وأبناء صنف القسيسين ينكرون هذا الطوفان ويستهزؤن به. وانقل كلام جان كلارك الملحد عن رسالته الثالثة المندرجة في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٩ في ليدس فقال في الصفحة ٥٤: « هذا ــ يعني الطوفان ــ غير صحيح على شهادة علم الفلسفة. وأنا أتعجب أَمَات الحيتانُ في ماء هذا الطوفان ؟ ولما كان بحكم الآية الخامسة من الباب السادس من سفر التكوين أفكار قلوب الإنسان ذميمة، فلماذا أبقى الله ثمانية أشخاص ؟ لِمَ لَمْ يخلق الانسان مرة أخرى بعد إهلاك الكل ؟ ولماذا أبقى بضاعته القديمة التي بقيت الأفكار الذميمة باقية بسببها ؟ لأن الشجرة الرديئة لا تثمر ثمرة جيدة، كما قال متى في الآية السادسة عشر من الباب السابع. هل يجتنون من الشكوك عنبا أو من الحسك تينا ؟ ونوح كان شارب الخمر وبهيمة وظالما ــ والعياذ بالله ــ كما يُفهم من الآية ٢١ و٢٥ من الباب التاسع من سفر التكوين، فكيف يُرجى منه أن يكون نسله صالحا ؟ وانظروا أنه لم يكن صالحا كما يظهر من الآية الثانية من الباب الثاني من رسالة بولس الى أهل أفسيس، والآية الثالثة من الباب الثالث من رسالته الى تيطس، والآية الثالثة من الباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس والآية الخامسة من الزبور الحادي والخمسين ». انتهى كلامه. ثم استهزأ في هذه الصفحة ٩٣ استهزاء بليغا جاوز الحدّ في إساءة الأدب. فلا أرضى بنقل كلامه القبيح.

الوجه الثاني : في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « ١٢ حينئذ تكلم يسوع أمام الرب في اليوم الذي دفع الأموري في يدي بني اسرائيل، وقال أمامهم : أيتها الشمس مقابل جبعون لا تتحركي، والقمرُ مقابل قاع يلون ١٣ فوقف الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من اعدائهم. أليس هذا مكتوبا في سفر الأبرار ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تكن تعجل الى الغروب يوما تاما ». وفي الباب الرابع من

الحصة الثالثة من كتاب تحقيق الدين الحق المطبوع سنة ١٨٤٦ في الصفحة ٣٦٢ هكذا : « أما غربت الشمس بدعاء يوشع الى أربع وعشرين ساعة ؟ » انتهى كلامه. وهذه الحادثة عظيمة. وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة. فلو وقعت لظهرت على الكل، ولا يمنع السحاب الغليظ علمه أيضا وهو ظاهر، ولا اختلاف الآفاق. لأنا لو فرضنا أن بعض الأمكنة كان فيها الليل في هذا الوقت لأجل الاختلاف، فلا بد أن تظهر لامتداد ليلهم بقدر أربع وعشرين ساعة. وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ولا الفرس. وأنا سمعت من علماء مشركي الهند تكذيبها، وهم يجزمون بانها غلط يقيناً. وأبناء صنف القسيسين يكذبونها ويستهزؤن بها، وأوردوا عليها اعتراضات : **الاعتراض الأول** أن قول يوشع (أيتها الشمس، لا تتحركي) وقوله (**فوقفت** الشمس) يدلان على أن الشمس متحركة والأرض ساكنة. وإلا كان عليه أن يقول : أيتها الأرض لا تتحركي، فوقفت الأرض. وهذا الأمر باطل بحكم علم الهيئة الجديد الذي يعتمد عليه حكماء أوروبا كلهم الآن، ويعتقدون ببطلان القديم. لعل يوشع ما كان يعلم هذه الحال أو هذه القصة كاذبة. **والاعتراض الثاني** أن قوله (فوقفت الشمس في كبد السماء) يدل على أن هذا الوقت كان نصف النهار. وهذا مخدوش أيضا بوجوه : أما أولا، فلأن بني اسرائيل كانوا قتلوا من المخالفين ألوفا وهزموهم، ولما هربوا أمطر الرب عليهم حجارة كبارا من السماء. وكان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل. وهذه الأمور حصلت قبل نصف النهار، على ما هو مصرح به في الباب. فلا وجه لأضطراب يوشع عليه السلام في هذا الوقت، لأن المظفرين من بني اسرائيل كانوا كثيرين جدا، والباقون من المخالفين قليلين جدا، وكان الباقي من النهار مقدار النصف، فقتلُهُمْ قبل الغروب كان في غاية السهولة. وأما ثانيا، فلأن الوقت، لما كان نصف النهار، فكيف رأوا القمر في هذا الوقت ؟ على أن توقيفه لغو على قواعد الفلسفة. وأما ثالثا، فلأن الوقت، لما كان نصف النهار وكان بنو اسرائيل مشتغلين بالمحاربة والاضطراب وما كان لهم شك في المقدار الباقي من النهار وما كانت الساعات عندهم في

ذلك الزمان، فكيف علموا أن الشمس قامت على دائرة نصف النهار بمقدار اثنتي عشرة ساعة، وما مالت الى هذه المدة الى جانب المغرب ؟ **والاعتراض الثالث** قال جان كلارك : « إن الله كان وعد أن جميع أيام الأرض زرع وحصاد، برد وحر، صيف وشتاء، ليل ونهار، لا تهدأ، كما هو مصرح به في الآية الثانية والعشرين من الباب الثامن من سفر التكوين. فاذا لم تغرب الشمس الى المدة المذكورة هدأ الليل في ذلك الوقت ».

الوجه الثالث : في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس بمعجزة أشعيا هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في المراقي التي كانت قد انحدرت. وهذه الحادثة عظيمة. ولما كانت في النهار فلا بدّ أن تظهر لأكثر أهل العالم. وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاث عشرة سنة شمسية. وهذه الحادثة ليست مكتوبة في تواريخ أهل الهند والصين والفرس. وأيضا يُفهم منها حركة الشمس وسكون الأرض. وهذا أيضا باطل على حكم علم الهيئة الجديد، على أنا لو قطعنا النظر عن هذا، فنقول أن ههنا ثلاثة احتمالات : اما أن رَجَعَ النهار فقط بمقدار عشر درجات، أو الشمس رجعت في السماء بهذا المقدار، كما هو الظاهر، أو رجعت حركة الأرض من المشرق الى المغرب بهذا المقدار. وهذه الاحتمالات الثلاثة باطلة بحكم الفلسفة. وهذه الحوادث الثلاثة مسلمة عند اليهود والنصارى. والحوادث الباقية التي أذكرها تختص بالنصارى.

الوجه الرابع : في الباب السابع والعشرين من انجيل متى : ' وإذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت ٥٢ والقبور تفتحت، وقام كثيرة من أجسام القديسين الراقدين ٥٣ وخرجوا من القبور بعد قيامه، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين ». وهذه الحادثة كاذبة يقيناً، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ولا توجد في تواريخ المخالفين القديمة من الرومانيين واليهود، ولم يذكر مرقس ولوقا تشقق الصخور وتفتح القبور وخروج كثير من أجساد القديسين ودخولهم في المدينة المقدسة، مع أن ذكرها كان أولى من ذكر صراخ عيسى عليه السلام عند الموت الذي قد اتفقا على ذكره. وتشقق الصخور من الأمور

التي يبقى أثرها بعد الوقوع. والعجب أن متى لم يذكر أمر هؤلاء الموتى بعد انبعاثهم لأي الناس ظهروا، وكان اللائق ظهورهم على اليهود وبيلاطس ليؤمنوا بعيسى عليه السلام، كما كان اللائق على عيسى عليه السلام أن يظهر على هؤلاء بعد قيامه من الأموات ليزول الاشتباه ولا يبقى المجال لليهود أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوا جثته. وكذا لم يذكر أن هؤلاء الموتى بعد الانبعاث رجعوا الى أجداثهم، وأبقوا في الحياة. وقال بعض الظرفاء لعل متى فقط رأى هذه الأمور في المنام. على أنه يفهم من عبارة لوقا أن انشقاق حجاب الهيكل كان قبل وفاة عيسى عليه السلام خلافا لمتى ومرقس.

الوجه الخامس : كتب متى ومرقس ولوقا في بيان صلب المسيح أن الظلمة كانت على الأرض كلها من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة. وهذه الحادثة لما كانت في النهار على الأرض كلها وممتدة الى أربع ساعات، فلا بدّ أن لا يخفى على أكثر أهل العالم. ولا يوجد ذكرها في تواريخ أهل الهند والصين والفرس.

الوجه السادس : إن متى كتب في الباب الثاني قصة قتل الأطفال، ولم يكتبها غيره من الانجيليين والمؤرخين.

الوجه السابع : في الباب الثالث من انجيل متى ولوقا، وفي الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « فساعة طلع من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه، وكان صوت من السموات : أنت ابني الحبيب الذي به سررت ». انتهى بعبارة مرقس. فانشقاق السموات لما كان في النهار فلا بدّ أن لا يخفى على أكثر أهل العالم. وكذا رؤية الحمامة وسماع الصوت لا يختص بواحد دون واحد من الحاضرين. ولم يكتب أحد هذه الأمور غير الانجيليين. وقال جان كلارك مستهزئا بهذه الحادثة : « إن متى أبقانا محرومين من الاطلاع العظيم، وهو أنه لم يُصرح أن السموات لما انفتحت هل انفتحت أبوابها الكبيرة أم المتوسطة أم الصغيرة ؟ وهل كانت هذه الأبواب في هذا الجانب من الشمس أو في ذلك الجانب ؟ ولأجل هذا السهو الذي صدر عن متى، قسوسنا يضربون الرؤوس متحيرين في تعيين الجانب ».

ثم قال : « وما أخبرنا أيضا أن هذه الحمامة هل أخذها أحد وحبسها في القفص، أم رأوها راجعة الى جانب السماء ؟ ولو رأوها راجعة، ففي هذه الصورة لا بدّ أن تبقى أبواب السموات مفتوحة الى هذه المدة، فلا بدّ أنهم رأوا باطن السماء بوجه حسن، لأنه لا يُعلم أن بواباً كان عليها قبل وصول بطرس هناك. لعل هذه الحمامة كانت جنية ». انتهى كلامه.

وأما بطلانها[1] **عقلا**، فلوجوه ثمانية : **الأول**، إن انشقاق القمر كان في الليل وهو وقت الغفلة والنوم والسكون عن المشي والتردد في الطرق، سيما في موسم البرد. فإن الناس يكونون مستريحين في دواخل البيوت وزواياها مغلقين أبوابها، فلا يُكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا مَن انتظره واعتنى به. ألا ترى الى خسوف القمر، فإنه يكون كثيرا وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم به حتى يخبرهم أحدٌ به في السحر. **والثاني**، إن هذه الحادثة ما كانت ممتدة الى زمان كثير، فما كان للناظر أن يذهب الى الغير الذي هو بعيد عنه وينبهه أو يوقظ النائم ويريه. **والثالث**، انها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها، كما أنهم يرون هلال رمضان والعيدين والكسوف والخسوف في أوقاتها غالبا لأجل كونها متوقع الحصول، ولا يكون نظر كل واحد الى السماء في كل جزء من أجزاء النهار أيضا، فضلا عن الليل. فلذلك رأى الذين كانوا طالبين لهذه المعجزة، وكذلك مَنْ وقع نظره في هذا الوقت الى السماء، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، ان الكفار لما رأوها قالوا سحركم ابن أبي كبشة ؟ فقال أبو جهل هذا سحر، فابعثوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا، رأوا ذلك أم لا. فاخبر أهل آفاق مكة أنهم رأوه منشقا، وذلك لأن العرب يسافرون في الليل غالبا ويقيمون بالنهار. فقالوا هذا سحر مستمر. وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ فرشته أن أهل مليبار من اقليم الهند رأوه

(١) أي : شبهة المنكرين ان الاجرام العلويّة لا يتأتّى فيها الخرق والالتئام. وسبق شرح بطلانها نقلاً. وللتذكير، فلقد ورد ذكر هذه الشبهة في الشاهد الثاني على النوع الثاني من نوعَيْ ايراد معجزات محمد ﷺ التي هو موضوع المسلك الأول من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.

أيضا، وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر. وقد نقل الحافظ المري عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديما مكتوباً عليه بُني ليلة انشق القمر. **والرابع**، إنه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحاب غليظ أو جبل. ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيرا بأنه يكون في بعض الأمكنة سحاب غليظ ونزول المطر، بحيث لا يرى الناظر في النهار الشمس ولا هذا اللون الأزرق الى ساعات متعددة. وكذا لا يُرى في الليل القمر والكواكب ولا اللون المذكور. في بعض أمكنة أخرى لا أثر للسحاب ولا للمطر. وتكون المسافة بين تلك الأمكنة والأمكنة الأولى قليلة، وأهل البلاد الشمالية، كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر، لا يرون الشمس الى أيام، فضلا عن القمر. **والخامس**، أن القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض. فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، فيظهر في بعض الآفاق وبعض المنازل على أهل بعض البلاد دون بعض. ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض. ونجده في بعض البلاد باعتبار بعض أجزاء القمر، وفي بعضها مستوفياً أطرافه كلها، وفي بعضها لا يعرفها إلا الحاذقون في علم النجوم. وكثيرا ما يحدث الثقات من العلماء بالهيئة الفلكية بعجائب يشاهدونها من أنوار ظاهرة ونجوم طالعة عظام تظهر في بعض الأوقات أو الساعات من الليل ولا علم لأحدٍ بها من غيرهم. **والسادس**، أنه قلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع الى حدّ يفيد اليقين. وأخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة. نعم يُعتبر أخبارهم أيضا في الحوادث التي يبقى أثرها بعد وقوعها، كالريح الشديد ونزول الثلج الكثير والبرد. فيجوز أن مؤرخي بعض الديار لم يعتبروا أخبار بعض العوام في هذه الحادثة وحملوه على تخطئة أبصار المخبرين العوام. وظنوا أنها تكون نحوا من الخسوف. **والسابع**، أن المؤرخين كثيراً ما يكتبون الحوادث الأرضية ولا يتعرضون للحوادث السماوية إلا قليلا، سيما مؤرخي السلف. وكان في زمان النبي ﷺ في ديار انكلتره وفرانس شيوع الجهل

واشتهارها بالصنائع والعلوم. إنما هو بعد زمانه ﷺ بمدة طويلة. **والثامن**، أن المنكر إذا علم أن الأمر الفلاني معجزة أو كرامة للشخص الذي ينكره، تصدى لإخفائها ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالبا، كما لا يخفى على مَنْ طالع الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا والباب الرابع والخامس من كتاب الأعمال. فظهر أن لا اعتراض عقلا ونقلا على معجزة شق القمر. وقال صاحب ميزان الحق في النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٣ في مرزابور : « معنى الآية على قاعدة التفسير منسوب الى يوم القيامة، لأن لفظ الساعة المعرف باللام قصد منه الساعة المعلومة والوقت المعلوم، أعني القيامة. كما أن هذا اللفظ جاء بهذا المعنى في الآيات التي هي في آخر هذه السورة. ولأجل ذلك فسر بعض المفسرين منهم القاضي البيضاوي وغيره لفظ الساعة بمعنى القيامة، وقالوا ان من علامات يوم القيامة، بحكم هذه الآية، هذه العلامة أيضا أن القمر سينشق ». انتهى كلامه. فادَّعى أمرين : **الأول**، أن الصحيح على قاعدة التفسير أن يكون انشق بمعنى سينشق. **والثاني**، أن بعض المفسرين، منهم القاضي البيضاوي وغيره، فسروه هكذا. وكلاهما غلطان. أما الأول فلأن انشق صيغة ماض، وحَمْله على معنى سينشق مجاز. ولا يُصار الى المجاز ما لم يتعذر الحمل على الحقيقة. وههنا لم يتعذر، بل يجب الحمل على معناه الحقيقي، كما عرفت آنفا. وأما الثاني فلأنه بهتان صرف على البيضاوي، وهو ما فسر انشق بينشق، بل فسر بمعناه الماضي. لكنه بعدما فسر على مختاره، نقل قول البعض بصيغة التمريض، ثم ردّ قوله. فهذا القول مردود عنده. ولما اعترض صاحب الاستفسار على مؤلف الميزان على العبارة المذكورة وقال : « إن القسيس اما غالط أو مغلط للعوام ». تنبه المؤلف المذكور وغير هذه العبارة في النسخة الجديدة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩، ونسخة أردو المطبوعة سنة ١٨٥٠، وقال : « لفظ الساعة المعروف باللام في حالة الافراد جاء في كل موضع من القرآن بمعنى يوم القيامة. وجملة انشق القمر بسبب واو العطف ألحقت بجملة اقتربت الساعة، وتوجد في كل من الجملتين صيغة الماضي. فكما أن الفعل الأول اقتربت بمعنى المستقبل يعني سيجيء يوم القيامة، فكذا الفعل الثاني انشق أيضا بمعنى سينشق. يعني إذا جاء يوم القيامة

ينشق القمر. وبعض العلماء المفسرين أيضا فسروا هكذا مثل الزمخشري والبيضاوي، وإن اعتقدا في تفسيرهما أن هذه الآية معجزة محمد ﷺ، لكنهما صرحا هكذا أيضا. وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة، وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة. وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وقال البيضاوي وقيل معناه سينشق يوم القيامة ». انتهى ملخصا. فتنبه صاحب الميزان وغير العبارة. لكنه أعجب في تلخيص عبارة الكشاف، حيث أسقط بعض العبارة زاعما أنها غير مفيدة، ونقل قوله (وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر) الخ. وهذا القول لا يناسب مقصوده، لأنه نصّ في ثبوت المعجزة المذكورة إن قيل نقل هذا القول طردا. قلت : فحينئذ لا وجه لإسقاط بعض العبارة، وعبارة الكشاف هكذا : « وعن بعض الناس أن معناه : ينشق يوم القيامة. وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يردُّه. وكفى به ردا قراءة حذيفة (قد انشق القمر أي اقتربت الساعة). وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول أقبل الأمير وقد جاء البشير بقدومه. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن، ثم قال : ألا ان الساعة قد اقتربت، وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ». انتهى كلامه بلفظه. قوله لفظ (الساعة) المعرف باللام الخ، وكذا قوله جملة (انشق القمر) بسبب واو العطف الخ، لا يحصل منهما مقصوده. لعله فهم أن لفظ الساعة، لما كان بمعنى القيامة وانشقاق القمر من علاماته، فلا بدّ أن يكون متصلا بها واقعا فيها. وهذا غلط نشأ من عدم التأمل. قال الله تعالى في سورة محمد : ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾[1]. فقوله (فقد جاء أشراطها) يدلّ على أن أشراطها قد تحققت، لأن لفظة (قد) إذا دخلت على الماضي تكون نصا على وجود الفعل في الزمان الماضي القريب من الحال. فلذلك فسر المفسرون هذا القول هكذا في البيضاوي : « لأنه قد ظهرت إماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر ». وفي التفسير الكبير : « الأشراط العلامات.

---

(١) سورة محمد (١٨).

قال المفسرون هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام. وفي الجلالين أي علاماتها منها مبعث النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان ». وعبارة الحسيني كالبيضاوي قوله، فكما أن الفعل الأول (اقتربت) بمعنى المستقبل غلط لأنه بمعناه الماضي، وترجمته بالفارسية يعني (رزوقيامت خواهد آمد) ليست بصحيحة، وما رُوِيَ عن بعض الناس مردود عند المفسرين. ثم قال : « ولو سلمنا أن شق القمر وقع لا يكون معجزة محمد ﷺ أيضا لأنه لم يصرح في هذه الآية ولا في آية أخرى أن هذه المعجزة ظهرت على يد محمد ﷺ ». انتهى. أقول يدل على كونها معجزة الآية الثانية، والأحاديث الصحيحة التي صحتها بحسب الضابطة العقلية زائدة على صحة هذه الأناجيل المحرفة، المملوءة بالاغلاط والاختلافات، المروية برواية الآحاد، المفقود أسانيدها، المتصلة، كما علمت في الباب الأول والثاني. ثم قال « ان علاقة الآية الثانية بالآية الأولى أن المنكرين يرون في آخر الزمان علامات القيامة، ولا يؤمنون بها. بل يقولون على عادة كفار السلف انها سحر فاحش لا غير ». انتهى كلامه. وهذا أيضا غلط بوجهين : **الأول**، أن المنكر لا ينكر عناداً والكافر لا ينسب الأمر الخارق للعادة الى السحر، إلا إذا كان أحد ادَّعى ان هذا الأمر الخارق من معجزاتي أو كراماتي. واذا ظهرت علامات القيامة في آخر الزمان من غير الادعاء، فكيف ينكرها المنكرون ؟ وكيف يقولون انها سحر فاحش لا غير ؟ **والثاني**، ان انشقاق القمر في المستقبل لا يكون إلا في يوم القيامة خاصة، وفي هذا اليوم لا يقول الكفار انه سحر مستمر لظهور أمر القيامة في هذا اليوم على كل أحد، لا أن يكون أحد منهم عاقلا معانداً مثل هذا الموجه، فلعله يقول بزعمه أو يتفوه بهذا القول هذا الموجه بنفسه أو أمثاله من علماء پروتستنت بعد انبعاثهم من أجداثهم لرسوخ عناد الدين المحمدي في قلوبهم. ثم قال : « لو ظهرت هذه المعجزة على يد محمد لأخبر المعاندين الذين كانوا يطلبون منه معجزة بأني شققت القمر في الوقت الفلاني فلا تكفروا ». وستطلع على جوابه في الفصل الثاني على أتمّ وجه إن شاء الله. وقال صاحب وجهة الإيمان منكراً لهذه المعجزة : « عدة أشخاص من المفسرين مثل الزمخشري والبيضاوي فسروا

هذا المقام بأن القمر ينشق يوم القيامة، ولو وقع لاشتهر في جميع العالم، ولا معنى لاشتهاره في إقليم واحد ». انتهى كلامه ملخصا. وقد ظهر لك مما ذكرنا أن كلا الأمرين ليسا بصحيحين يقينا. وهذا القسيس فاق مؤلف الميزان حيث أورد الدليل النقلي والعقلي، وصرح باسم الكشاف أيضا لعله رأى في النسخة القديمة للميزان لفظا كالبيضاوي وغيره، فظن أن المراد بالغير الكشاف، لأن البيضاوي له مناسبة كثيرة بالكشاف بالنسبة الى التفاسير الأخر. فصرح باسم الكشاف ليحصل له الفضل على مؤلف الميزان. وصاحب الكشاف قال في مبدأ تفسير هذه السورة : « انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومن معجزاته النيرة ». انتهى كلامه. وقال صاحب الرسالة التي ألفها في جواب مكتوب الفاضل نعمت علي الهندي معترضاً على هذه المعجزة : « لا يثبت من هذه الآية أن هذه المعجزة صدرت عن محمد ﷺ ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير ». انتهى. وهذا الثالث، بالخير المنبثق من الأولين، فاق كليهما حيث قال لا يثبت هذا الأمر من التفاسير. لعله اعتقد أن القسيس الأول صادق في قوله كالبيضاوي وغيره، والقسيس الثاني صادق في قوله مثل الزمخشري والبيضاوي. ثم قال حال سائر التفاسير على هذين التفسيرين. فقال (ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير) ليحصل له الفضل على القسيسين الأولين ويظهر تبحُّره عند قومه بأنه طالع التفاسير كلها، فظهر أن كل لاحق من هؤلاء الثلاثة زاد على سابقه. وهذا ليس بعجيب، لأن مثل هذا الأمر قد شاع بين المسيحيين في القرن الأول، كما يظهر من رسائل الحواريين. وصار من المستحسنات الدينية في القرن الثاني من القرون المسيحية، كما قال المؤرخ موشيم في بيان حال علماء القرن الثاني من القرون المسيحية في الصفحة ٦٥ من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ : « كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين، وتعلَّم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح، كما يظهر هذا جزما من كثير من الكتب القديمة، ثم أثر وباء هذا الغلط السوء في المسيحيين، كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت الى الكبار كذباً ». انتهى كلامه. وقال آدم كلارك

في المجلد السادس من تفسيره في شرح الباب الأول من رسالة بولس الى أهل غلاطية : « هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية. وكثرة هذه الأحوال الكاذبةالغير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل. ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ». انتهى. وإذا نسب أسلافهم أكثر من سبعين انجيلا الى المسيح والحواريين ومريم عليها السلام، فأي عجب لو نسب هؤلاء القسوس الثلاثة لأجل تغليط عوام أهل الإسلام بعض الأمور الى تفاسير القرآن ؟ واعلم أن الرسالةالأخيرة كانت مشتهرة في الهند وكان القسيسون يقسمونها كثيرا في بلاده، لكن لما كتب عدة من علماء الإسلام عليها رداً واشتهر ما كتبوا تركوها وطبع ثلاثة كتب من كتب الرد عليها : الأول التحفة المسيحية لسيد الدين الهاشمي، والثاني تأييد المسلمين لبعض أقارب مجتهد شيعة لكهنوا، والثالث خلاصة سيف المسلمين للفاضل حيدر علي القرشي.

٣[١] ــ في البيضاوي : « روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل، قال ﷺ : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك. اللهم اني أسألك ما وعدتني. فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها. فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصا فرمى بها في وجوههم، وقال : شاهت الوجوه. فلم يبقى مشرك إلا شغل بعينه، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر، فيقول الرجل قتلت وأسرت ». انتهى وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْرَمَيْتَ وَلَكِنَّ**

---

(١) كان المؤلّف قد نبّه في الصفحة ١٥٧ أن الأفعال التي ظهرت من محمد ﷺ على خلاف العادة تزيد على ألف، وطمأن انه لن يذكرها كلها، بل يكتفي باربعين. فذكر الأول منها شارحاً اياه معلّقاً، رادًّا على منكريه. وانتقل الى ثانيها مفصّلا، شارحاً، مفرّعاً، مستطرداً، فأطال المقام لمقتضيات الجدل الموضوعي المدعوم بالحجة والسند والبرهان والعقل والشاهد. وها هو، هنا، يتابع ايراد هذه الأفعال فيذكر الثالث منها. وللتذكير، فإننا ما زلنا في المسلك الأول من الفصل الأول من الباب السادس.

ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1] يعني (وما رميت) يا محمد رمياً توصلها الى أعينهم ولم تقدر عليه، (إذ رميت) أي أتيت بصورة الرمي، (ولكن الله رمى) أتى بما هو غاية الرمي، فأوصلها الى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم. وقال الفخر الرازي عليه الرحمة : « والأصح أن هذه الآية نزلت في يوم بدر، وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها. وذلك لا يليق، بل لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ». انتهى كلامه. وقد عرفتَ في المقدمة حال ما تفوه به صاحب ميزان الحق على هذه المعجزة. فلا أعيده.

٤ ـــ نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ في مواطن متعددة وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر، كما وقع لموسى عليه السلام. فإن ذلك من عادة الحجر في الجملة. وأما من لحم ودم فلم يُعهد من غيره ﷺ. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه. قال فرأيت الماء ينبع من أصابعه ﷺ، فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم ». وهذه المعجزة صدرت بالزوراء عند سوق المدينة.

٥ ـــ عن جابر رضي الله عنه : « عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها. وأقبل الناس نحوه، وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك . فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ». وكان الناس ألفا وأربعمائة.

٦ ـــ عن جابر رضي الله عنه « قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا جابر نادِ بالوضوء. وذكر الحديث بطوله وانه لم نجد إلا قطرة في عزلاء شجب. فأُتي به النبي ﷺ فغمره وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال نادِ بجفنة

---

(١) سورة الأنفال (١٧).

الركب. فأتيت بها، فوضعتها بين يديه. وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه، وصب جابر عليه، وقال : بسم الله. قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فازت الجفنة واستدارت حتى امتلأت. وأمر الناس بالاستقاء، فاستقوا حتى رووا. فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى ». وهذه المعجزة صدرت في غزوة بواط.

٧ ــ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك « وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء. ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه فيه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير. فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق : فانهرق من الماء ما له حس كحس الصواعق. ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك الحياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جنانا ».

٨ ــ عن عمران بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال : « حين أصاب النبي ﷺ وأصحابه عطش في بعض أسفارهم، فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان إمرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان [الحديث]. فوجداها وأتيا بها النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيها، وقال فيه ما شاء الله. ثم أعاد الماء في المزادتين. ثم فتحت عزاليها وأمر الناس، فملؤا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملؤه. قال عمران : ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء. ثم أمر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملؤا ثوبها. وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا ».

٩ ــ في حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة. وذكر ما أصابهم من العطش حتى أن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه. فرغب أبو بكر الى النبي في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت. فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر.

١٠ ــ عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ يستطعمه فاستطعمه شطرَ وسق شعيرٍ. فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كله. فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم.

١١ ــ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أطعم ثمانين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده، أي ابطه.

١٢ ــ عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر رضي الله عنه : فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا. وان برمتنا لتغط كما هي، وان عجيننا ليخبز. وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة وبارك.

١٣ ــ عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر زهاء ما يكفيهما. فقال له النبي ﷺ : ادع ثلاثين من أشراف الانصار. فدعاهم، فأكلوا حتى تركوا. ثم قال : ادع ستين. فكان مثل ذلك. ثم قال : ادع سبعين. فاكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع. قال أبو أيوب رضي الله عنه : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا.

١٤ ــ عن سمرة بن جندب : أتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون.

١٥ ــ عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنا عند النبي ﷺ ثلاثين ومائة. وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال : وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حَزَّ له حزَّة. ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير.

١٦ ــ عن سلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم. فذكروا مخمصة أصابت الناس مع رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد، فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك، وأعلاهم الذين يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع. وقال سلمة فحزرته كربضة العنز. ثم دعا الناس بأوعيتهم. فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤه وبقي منه.

١٧ ــ عن أنس أن النبي ﷺ حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم حتى امتلأ البيت والحجرة. فقدم لهم تورا فيه قدر مدٍ من تمر جُعل حيسا، فوضعه وغمس ثلاث أصابعه، وجعل القوم يتغدون ويخرجون، وبقي التور نحوا مما كان.

١٨ ــ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة طبخت قدراً لغدائهما ووجهت عليا الى النبي ﷺ ليتغدى معهما. فأمرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة، ثم له عليه السلام، ثم لعلي، ثم لها، ثم رفعت القدر، وأنها لتفيض. قالت : فاكلنا منها ما شاء الله.

١٩ ــ عن جابر رضي الله عنه في دين أبيه بعد موته، وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه. ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجذها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماءه، وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة.

٢٠ ــ قال أبو هريرة رضي الله عنه : أصاب الناس مخمصة. فقال لي رسول الله ﷺ : هل من شيء ؟ قلت نعم، شيء من التمر في المزود. قال فآتني به. فادخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال ادع عشرة. فأكلوا حتى شبعوا. ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم، وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه. فقبضت على أكثر ما جئت به. فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر الى أن قتل عثمان، فانتهب مني فذهب. ومعجزة تكثير الطعام ببركة دعائه مروية عن بضعة عشر صحابيا، ورواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم مَنْ لا يُعَدُّ بعدهم. وأكثرها وردت في قصص مشهورة ومجامع مشهورة. ولا يمكن التحدث عنها إلا على وفق الصدق حذرا من التكذيب. وإنما حصل النبي ﷺ أولا الماء القليل أو الطعام القليل، ثم كثره ولم يخترع من بدء الأمر من العدم الى الوجود الماء الكثير أو الطعام الكثير مراعاة للأدب بحسب الظاهر، ليعلم أن الموجد هو الله. وإنما حصلت البركة بسبب النبي ﷺ، وإن كان التكثير أيضا في الحقيقة من جانب الله كالايجاد. وهكذا فعله الأنبياء كما يظهر من معجزة ايلياء عليه السلام في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة، على ما صُرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، ومن معجزة اليسع عليه السلام في تكثير عشرين خبزا من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مائة رجل وفضل، كما هو مُصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك

الثاني، ومن معجزة عيسى عليه السلام في تكثير خمسة أرغفة وسمكتين على ما صُرح به في الباب الرابع عشر من انجيل متى.

٢١ ـــ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه اعرابي فقال : يا اعرابي أين تريد ؟ قال : أهلي. قال : هل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن تشهد أن لا إله ألا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال من يشهد لك على ما تقول ؟ قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطىء الوادي. فأقبلت تخدُّ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت الى مكانها.

٢٢ ـــ عن جابر رضي الله عنه : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال : انقادي علي باذن الله. فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده. وذكر جابر أنه فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان المنصف بينهما قال : التئما علي باذن الله. فالتأمتا. فجلس خلفهما، فخرجت أخضر، وجلستُ أحدث نفسي، فالتفت، فاذا رسول الله ﷺ مقبلاً والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق.

٢٣ ـــ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال لاعرابي أرأيت أن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم. فدعاه فجعل ينقذ حتى أتاه. فقال ارجع، فعاد الى مكانه.

٢٤ ـــ عن جابر رضي الله عنه، كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، وفي رواية أنس، حتى ارتجّ المسجد لخواره، وفي رواية سهل، وكثر بكاء الناس لما رأوا به، وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت. والخبر بانين الجذع وحنينه، باعتبار مبناه، مشهور عند السلف والخلف. وباعتبار معناه متواتر يفيد العلم القطعي. رواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبيّ بن كعب وأنس ابن مالك وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد الساعدي

وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم، كلهم يحدثون بمعنى هذا الحديث، وإن كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث، فلا شك في حصول التواتر المعنوي.

٢٥ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة. فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها، ويقول جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا. فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم.

٢٦ ــ دعا النبي ﷺ رجلا الى الإسلام، فقال لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال ﷺ أرني قبرها. فأراه اياه. فقال ﷺ يا فلانة. قالت لبيك وسعديك. فقال النبي ﷺ أتحبين أن ترجعي الى الدنيا ؟ فقالت لا، والله يا رسول الله، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي، ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا.

٢٧ ــ ذبح جابر رضي الله عنه شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى بها رسول الله ﷺ، فأكل القوم. وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظماً. ثم أنه ﷺ جمع العظام ووضع يده عليها، ثم تكلم بكلام، فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها.

٢٨ ــ عن سعد بن وقاص رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ ليناولني السهم لا نَصْلَ به، فيقول ارم به. وقد رمى رسول الله ﷺ يومئذ عن قوسه حتى اندقت، وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته. فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه.

٢٩ ــ عن عثمان بن حنيف، أن أعمى قال لرسول الله أدع الله أن يكشف لي عن بصري. قال : فانطلق فتوضأ، ثم صلِّ ركعتين، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك الى ربك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه فيَّ. قال فرجع وقد كشف الله عن بصره.

٣٠ ـــ ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء، فبعث الى النبي ﷺ، فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها فاعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزىء به. فأتاه بها وهو على شفاء. فشربها فشفاه الله تعالى. /٣١/ عن حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً. فنفث رسول الله ﷺ في عينيه، فأبصر. فرأيته يدخل الابرة، وهو ابن ثمانين. /٢٣/ تفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا، فأصبح بارئاً. /٣٣/ نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت. /٣٤/ أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم. فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه، ثم أعطاها اياه وأمر بسقيه ومسه به. فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس. /٣٥/ عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاءت امرأة بابن لها به جنون، فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجَرْوِ الأسود فشفى. /٣٦/ انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل، فمسح عليه، ودعا له، وتفل فيه فبرأ لحينه. /٣٧/ كانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة، فشكاها للنبي ﷺ. فما زال يطحنها حتى رفعها ولم يبق لها أثر. /٣٨/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته. قال أنس : فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة. /٣٩/ دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في سائر أقطار الدنيا. /٤٠/ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها أخرجت جبة طيانسة، وقالت أن رسول الله ﷺ كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

وهذه المعجزات، وإن لم يتواتر كل واحد منها، فالقدر المشترك بينها متواتر بلا شبهة، كشجاعة علي وسخاوة حاتم، وهذا القدر يكفي. والحالات التي نقلها مرقس ولوقا كلها آحاد ليس اعتبارها مثل الأحاديث الصحيحة المروية بروايات الآحاد الثابتة أسانيدها المتصلة، بل الحالات التي اتفق على نقلها الانجيليون الأربعة آحاد لا يزيد اعتبارها عندنا على رواية الآحاد، كما عرفتَ في الباب الأول.

المسلك الثاني[1] : انه قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات العلمية والعملية، والمحاسن الراجعة الى النفس والبدن والنسب والوطن، ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي. فان كل واحد منها، وإن كان يوجد في غير النبي ايضا، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء. فاجتماعها في ذاته ﷺ من دلائل النبوّة. وقد أقر المخالفون أيضا بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته ﷺ. مثلا اسپان هميس المسيحي من الذين هم أشد أعداء النبي ﷺ، والطاعنين في حقه. لكنه اضطر في الإقرار بوجود أكثر الأمور المذكورة في ذاته ﷺ، كما نقل سيل قوله في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠ هكذا : « إنه كان حسن الوجه وذكيا، وكانت طريقته مرضية. وكان الاحسان الى المساكين شيمته. وكان يعامل الكل بالخلق الحسن. وكان شجاعا على الأعداء. وكان يعظم اسم الله تعظيماً عظيماً. وكان يشدد على المفترين والذين يرمون البرآء، والزانين والقاتلين وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور، تشديدا بليغا. وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود والرحم والبر والإحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم. وكان عابدا مرتاضا في الغاية ». انتهى كلامه.

المسلك الثالث : مَنْ نظر الى ما اشتملت شريعته الغراء عليه مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم، علم قطعا أنها ليس إلّا من الوضع الإلهي والوحي السماوي، وأن المبعوث بها ليس إلا نبياً. وقد عرفتَ في الباب الخامس أن اعتراضات القسيسين عليها ضعيفة جدا منشؤها العناد الصرف والاعتساف.

المسلك الرابع : إنه عليه السلام ادَّعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة

---

(١) للتذكير : كان المؤلّف قد أشار في بداية الفصل الأول من هذا الباب ص ١٥١ انه جعل هذا الفصل ستة مسالك. وكل ما ورد سابقاً من أصلٍ وتقسيمٍ ومتفرِّع انما هو تفصيل للمسلك الأول... ويتابع المؤلف هنا ايراد المسالك الباقية.

فيهم أني بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لأُنوِّر العالم بالإيمان والعمل الصالح، وانتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفا لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم، فضلّل آراءهم وسفَّه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقا وغربا، وزاد على مر الاعصار والأزمان، ولم يقدر الاعداء مع كثرة عُددهم وعَددهم وشدة شكوتهم وشكيمتهم وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. فهل يكون ذلك إلّا بعون الهي وتأييد سماوي ؟ ولنعم ما قال غمالائيل معلم اليهود لهم في حق الحواريين : « يا أيها الرجال الاسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون أن تفعلوا ٣٦ لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن نفسه أنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة الذي قتل، وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء ٣٧ بعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراء شعباً غفيرا. فذاك أيضا هلك، وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا ٣٨ والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنه ان كان هذا الرأي وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض ٣٩ وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجدوا محاربين لله أيضا ». كما هو مُصرح به في الباب الخامس من كتاب الأعمال. والآية السابعة من الزبور الأول هكذا : « لأن الرب يعرف طريق الصديقين وطريق المنافقين تهلك ». والآية السادسة من الزبور الخامس هكذا : « وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب. الرجل السافك الدماء والغاش يرذله الرب » والآية السادسة عشر من الزبور الرابع والثلاثين هكذا : « وجه الرب على الذين يعملون المساوىء ليبيد من الأرض ذكرهم ». وفي الزبور السابع والثلاثين هكذا : « ١٧ لأن سواعد الخطاة تنكر، والرب يعضد الصديقين ٢٠ الخطاة فيهلكون وأعداء الرب جميعا اذ يمجدون ويرتفعون يبيدون، وكالدخان يفنون ». فلو لم يكن محمد ﷺ من الصديقين لأهلك الرب طريقه ورذله وأباد ذكره من الأرض وكسر سواعده وأفناه كالدخان، لكنه لم يفعل شيئا منها. فكان محمد ﷺ من الصديقين. ولعمري ان علماء پروتستنت في تكذيب الدين

المحمدي محاربون لله. لكن الوقت قريب فسوف يعلمون: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾(١) ولا يقدرون على نقضه البتة، كما وعد الله: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ** ــ أي دين الإسلام ــ **بِأَفْوَاهِهِمْ** ــ أي بأقوالهم الباطلة ــ **وَٱللهُ مُتِمُّ نُورِهُ** ــ أي مبلغه وغايته ــ **وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ** ﴾(٢) أي اليهود والنصارى والمشركون. ولنعم ما قيل:

ألا قل لمن ظلَّ لي حاسدا ★ أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ★ لأنك لم ترض لي ما وهب

المسلك الخامس: انه ظهر في وقت كان الناس محتاجين الى مَنْ يَهديهم الى الطريق المستقيم ويدعوهم الى الدين القويم، لأن العرب كانوا على عبادة الأوثان ووأد البنات، والفرس على اعتقاد الالهين ووطء الامهات والبنات، والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد، والهند على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر، واليهود على الجحود ودين التشبيه وترويج الأكاذيب المفتريات، والنصارى على القول بالتثليث وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات. وهكذا سائر الفرق في أودية الضلال والانحراف عن الحق والاشتغال بالمحال. ولا يليق بحكمة الله الملك المبين أن لا يرسل في هذا الوقت أحداً يكون رحمةً للعالمين. وما ظهر أحد يَصْلُح لهذا الشأن العظيم ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبد الله ﷺ. فأزال الرسوم الزائغة والمقالات الفاسدة، وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه، وزالت ظلمة الشرك والثنوية والتثليث، والتشبيه عليه من الصلاة أفضلها، ومن التحيات أكملها، وإليه أشار الله تعالى بقوله: ﴿ **يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(٣) قال الفخر الرازي قدس

---

(١) سورة الشعراء (٢٢٧).

(٢) سورة الصف (٨).

(٣) سورة المائدة (١٩).

سره في تفسيره هذه الآية : « الفائدة في بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أن التغير والتحريف قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها. وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب، وصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات، لأن لهم أن يقولوا يا الهنا عرفنا أنه لا بدّ من عبادتك، ولكنا ما عرفنا كيف نعبد فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمدا عليه السلام ازالة لهذا العذر ». انتهى كلامه بلفظه.

المسلك السادس : أخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته عليه السلام. ولما كان القسيسون يغلطون العوام في هذا الباب تغليطا عظيما استحسنت أن أقدم على نقل تلك الأخبار أمورا ثمانية تفيد للناظر بصيرة :

الأمر الأول : أن الأنبياء الاسرائيلية مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية، كحادثة بختنصر وقورش واسكندر وخلفائه، وحوادث أرض ادوم ومصر ونينوى وبابل، ويبعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم عن خروج محمد ﷺ الذي كان وقت ظهوره كاصغر البقول، ثم صار شجرة عظيمة تتأوى طيور السماء في أغصانها، فكسر الجبابرة والاكاسرة، وبلغ دينه شرقا وغربا، وغلب الأديان وامتد دهراً بحيث مضى على ظهوره مدة ألف ومائتين وثمانين الى هذا الحين، ويمتد إن شاء الله الى آخر بقاء الدنيا. وظهر في أمته ألوف ألوف من العلماء الربانيين والحكماء المتقنين والأولياء ذوي الكرامات والمجاهدات والسلاطين العظام. وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث، وما كانت أقل من حادثة أرض أدوم ونينوى وغيرهما. فيكف يجوّز العقل السليم أنهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الأخبار عن الحادثة العظيمة ؟

الأمر الثاني : ان النبي المتقدِّم إذا أخبر عن النبي المتأخر لا يشترط في اخباره ان يخبر بالتفصيل التام بأنه يخرج من القبيلة الفلانية في السنة الفلانية في البلد الفلاني، وتكون صفته كيت وكيت، بل يكون هذا الاخبار، في غالب الأوقات، مجملا عند العوام. وأما عند الخواص فقد يصير جليا بواسطة القرائن، وقد يبقى خفيا عليهم أيضا لا يعرفون مصداقه إلا بعد إدعاء النبي

اللاحق أن النبي المتقدم أخبر عني وظهور صدق ادعائه بالمعجزات وعلامات النبوّة. وبعد الادعاء وظهور صدقه يصير جلياً عندهم بلا ريب. ولذلك يعاتبون كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله : « ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم ». كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من انجيل لوقا. وعلى مذاق المسيحيين قد يبقى خفياً على الأنبياء فضلا عن العلماء، بل قد يبقى خفياً على النبي المخبر عنه على زعمهم. في الباب الأول من انجيل يوحنا هكذا : « ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقرّ أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه مَنْ انت اذاً ؟ أنت ايلياء ؟ فقال لست أنا ايلياء، فسألوه أنت النبي ؟ فاجاب لا ٢٢ فقالوا له من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك ٢٣ قال أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي ٢٤ وكان المرسلون من الفريسيين ٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ». والألف واللام في لفظ النبي الواقع في الآية ٢١ و٢٥ للعهد، والمراد النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء، على ما صرح به العلماء المسيحية. فالكهنة واللاويون كانوا من علماء اليهود وواقفين على كتبهم، وعرفوا أيضا أن يحيى عليه السلام نبي، لكنهم شكوا في أنه المسيح عليه السلام أو ايلياء عليه السلام أو النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام، فظهر منه أن علامات هؤلاء الأنبياء الثلاثة لم تكن مصرحة في كتبهم بحيث لا يبقى الاشتباه للخواص فضلا عن العوام. فلذلك سألوا أولا أنت المسيح ؟ فبعدما أنكر يحيى عليه السلام عن كونه مسيحا، سألوه أنت ايليا ؟ فبعد ما أنكر عن كونه ايلياء أيضا، سألوه أنت النبي المعهود ؟ ولو كانت العلامات مصرحة لما كان للشك محل، بل ظهر منه أن يحيى عليه السلام لم يعرف نفسه انه ايلياء حتى أنكر، فقال لست أنا. وقد شهد عيسى أنه ايلياء في الباب الحادي عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام في حق يحيى عليه السلام هكذا : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتي » وفي

الباب السابع عشر من انجيل متى هكذا : « ١٠ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايلياء ينبغي أن يأتي أولا ١١ فأجاب يسوع وقال لهم ان ايلياء يأتي أولا ويرد كل شيء ١٢ ولكنني أقول لكم ان ايلياء قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم ١٣ حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان ». وظهر من العبارة الأخيرة أن علماء اليهود لم يعرفوه بأنه ايلياء وفعلوا به ما فعلوا، وان الحواريين أيضا لم يعرفوه بأنه ايلياء، مع أنهم كانوا أنبياء في زعم المسيحيين وأعظم رتبة من موسى عليه السلام، كانوا اعتمدوا من يحيى ورأوه مرارا، وكان مجيئه ضرورياً قبل الههم ومسيحهم. وفي الآية ٣٣ من الباب الأول من انجيل يوحنا قول يحيى هكذا : « وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس » ومعنى قوله (وأنا لم أكن أعرفه) على زعم القسيسين، أنا لم أكن أعرفه معرفة جيدة بأنه المسيح الموعود به. فعُلم أن يحيى عليه السلام ما كان يعرف عيسى عليه السلام معرفة يقينية بأنه المسيح الموعود به الى ثلاثين سنة ما لم ينزل الروح القدس، لعل كون ولادة المسيح من العذراء لم يكن من العلامات المختصة بالمسيح، وإلا فكيف يصح هذا ؟ لكني أقطع النظر عن هذا وأقول أن يحيى أشرف الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام، كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من انجيل متى، وأن عيسى عليه السلام إلهه وربه على زعم المسيحيين، وكان مجيئه ضرورياً قبل المسيح. وكان كونه ايلياء يقينياً، فإذا لم يعرف هذا النبي الأشرف نفسه الى آخر العمر ولم يعرف الهه وربه الى المدة المذكورة، وكذا لم يعرف الحواريون الذين هم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية مدة حياة يحيى أنه ايلياء، فماذا رتبة العلماء والعوام عندهم في معرفة النبي اللاحق بخبر النبي المتقدم عنه وترددهم فيه ؟ وقيافا رئيس الكهنة كان نبيا على شهادة يوحنا، كما هو مُصرح به في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من انجيله، وهو أفتى بقتل عيسى عليه السلام وكفره وأهانه، كما هو مُصرح به في الباب السابع والعشرين من انجيل متى. ولو كانت علامات المسيح في

كتبهم مُصرحة بحيث لا يبقى الاشتباه على أحد، ما كان مجال لهذا النبي، المفتي بقتل الهه وبكفره، أن يفتي بقتله وكفره. ونقل متى ولوقا في الباب الثالث ومرقس ويوحنا في الباب الأول من أناجيلهم خبر أشعيا في حق يحيى عليهما السلام، وأقر يحيى عليه السلام بأن هذا الخبر في حقه على ما صرح به يوحنا. وهذا الخبر في الآية الثالثة من الباب الأربعين من كتاب اشعيا هكذا : « صوت المنادي في البرية سهلوا طريق الرب أصلحوا في البوادي سبيلا لالهنا ». ولم يذكر فيه شيء من الحالات المختصة بيحيى عليه السلام، لا من صفاته ولا من زمان خروجه، ولا مكان خروجه، بحيث لا يبقى الاشتباه. ولو لم يكن ادعاء يحيى عليه السلام بأن هذا الخبر من حقه، كذا ادعاء مؤلفي العهد الجديد، لما ظهر هذا للعلماء المسيحية وخواصهم فضلا عن العوام. لأن وصف النداء في البرية يعم أكثر الأنبياء الاسرائيلية الذين جاؤا من بعد أشعيا عليه السلام، بل يصدق على عيسى عليه السلام أيضا لأنه كان ينادي مثل نداء يحيى عليه السلام « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماء ». وسيظهر لك في الأمر السادس حال الاخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام. ولا ندّعي أن الأنبياء الذين أخبروا عن محمد ﷺ كان اخبار كل منهم بصفته مفصلا، بحيث لا يكون فيه مجال التأويل للمعاند. قال الإمام الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] : « واعلم أن الاظهر في الباء في قوله بالباطل أنها باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم. والمعنى لا تلبسوا الحق بسبب الشبهات التي توردونها على السامعين. وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد عليه السلام كانت نصوصا خفية تحتاج في معرفتها الى الاستدلال. ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوّشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات ». انتهى كلامه بلفظه. قال المحقق عبد الحكيم السيالكوتي في

---

(١) سورة البقرة (٤٢).

حاشيته على البيضاوي : « هذا فصل يحتاج الى مزيد شرح، وهو يجب أن يتصوّر أن كل نبي أتى بلفظة معرضة واشارة مدرجة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، وذلك لحكمة الهية. وقد قال العلماء ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي ﷺ، لكن باشارات. ولو كان منجليا للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه. ثم ازداد ذلك غموضا بنقله من لسان الى لسان من العبراني الى السرياني، ومن السرياني الى العربي وقد ذكرتُ محصلة ألفاظ من التوراة والانجيل إذا اعتبرتها وجدتها دالة على صحة نبوّته عليه السلام بتعريض هو عند الراسخين في العلم جلي، وعند العامة خفي ». انتهى كلامه بلفظه.

الأمر الثالث : ادعاء أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيا آخر غير المسيح وايلياء، ادعاء باطل لا أصل له. بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضا، لما علمتَ في الأمر الثاني أن علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولا : أنت المسيح ؟ ولما أنكر سألوه : أنت ايلياء ؟ ولما أنكر سألوه : أنت النبي أي النبي المعهود الذي أخبر به موسى ؟ فعلم أن هذا النبي كان منتظراً مثل المسيح وايلياء، وكان مشهوراً بحيث ما كان محتاجا الى ذكر الاسم بل الإشارة اليه كانت كافية. وفي الباب السابع من انجيل يوحنا بعد نقل قول عيسى عليه السلام هكذا : « ٤٠ فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي ٤١ وآخرون قالوا هذا هو المسيح ». وظهر من هذا الكلام أيضا أن النبي المعهود عندهم كان غير المسيح، ولذلك قابلوا بالمسيح.

الأمر الرابع : ادعاء أن المسيح خاتم النبيين ولا نبي بعده، باطل. لما عرفت في الأمر الثالث أنهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وايلياء عليهم السلام ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح، فهو بعده. ولأنهم يعترفون بنبوّة الحواريين وبولس، بل بنبوّة غيرهم أيضا. وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٧ في تلك الأيام انحدر الأنبياء من أورشليم الى انطاكية ٢٨ وقام واحد منهم اسمه أغابوس

وأشار بالروح أن جوعا عظيماً كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة الذي صار في أيام كلوديوس قيصر ». فهؤلاء كلهم كانوا أنبياء على تصريح انجيلهم. وأخبر واحد منهم اسمه اغابوس عن وقوع الجدب العظيم. وفي الباب الحادي والعشرين من الكتاب المذكور هكذا : « ١٠ وبينما نحن مقيمون أياما كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس ١١ فجاء الينا وأخذ منطقة بولس وربط يد نفسه ورجليه، وقال هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه الى أيدي الأمم ». وفي هذه العبارة أيضا تصريح بكون أغابوس نبياً. وقد يتمسكون لإثبات هذا الادعاء بقول المسيح المنقول في الآية الخامسة عشر من الباب السابع من انجيل متى هكذا : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ». والتمسك به عجيب، لأن المسيح عليه السلام أمر بالاحتراز من الأنبياء الكذبة لا الأنبياء الصدقة أيضا. ولذلك قيد بالكذبة. نعم لو قال احترزوا من كل نبي يجيء بعدي لكان بحسب الظاهر وجه للتمسك، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبوت نبوّة الأشخاص المذكورين. وقد ظهر الأنبياء الكذبة الكثيرون في الطبقة الأولى بعد صعوده، كما يظهر من الرسائل الموجودة في العهد الجديد في الباب الحادي عشر من الرسالة الثانية الى أهل قورنثيوس هكذا : « ١٢ ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا، كما نحن أيضا فيما يفتخرون به ١٣ لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح ». فمقدسهم ينادي بأعلى نداء أن الرسل الكذبة الغدارين ظهروا في عهده وقد تشبهوا برسل المسيح. وقال آدم كلارك المفسر في شرح هذا المقام : « هؤلاء الأشخاص كانوا يدّعون كذبا أنهم رسل المسيح، وما كانوا رسل المسيح في نفس الأمر، وكانوا يعظون ويجتهدون لكن مقصودهم ما كان إلا جلب المنفعة ». وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن الأنبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم ». فظهر من العبارتين أن الأنبياء الكذبة قد ظهروا في عهد الحواريين. وفي الباب

الثامن من كتاب الأعمال هكذا : « ٩ وكان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلا انه شيء عظيم ١٠ وكان الجميع يتبعونه من الصغير الى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة ». وفي الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا : « ولما اجتازا الجزيرة الى باقوس وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه باريشوع ». وكذا سيظهر الدجالون الكذابون يدَّعي كلٌّ منهم أنه المسيح كما أخبر عيسى عليه السلام وقال : « لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين ». كما هو مُصرح به في الباب الرابع والعشرين من انجيل متى. فمقصود المسيح عليه السلام التحذير من هؤلاء الأنبياء الكذبة والمسحاء الكذبة، لا من الأنبياء الصادقين أيضا. ولذلك قال بعد القول المذكور في الباب السابع : « من ثمارهم تعرفونهم. هل تجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تيناً ». ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين، كما يدل عليه ثماره، على ما عرفت في المسالك المتقدمة. ولا اعتبار لمطاعن المنكرين، كما ستعرف في الفصل الثاني. ولأن كل شخص يعلم أن اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما السلام ويكذبونه، وليس عندهم رجلٌ أشر منه من ابتداء العالم الى زمان خروجه، وكذا ألوف من الحكماء والعلماء، الذين هم من أبناء صنف القسيسين وكانوا مسيحيين ثم خرجوا عن هذه الملة لاستقباحهم اياها، ينكرونه ويستهزؤن به وبملته وألفوا رسائل كثيرة لاثبات آرائهم، واشتهرت هذه الرسائل في اكناف العالم، ويزيد متبعوهم كل يوم في ديار أوربا. فكما أن انكار اليهود وهؤلاء الحكماء والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندنا، فكذا انكار أهل التثليث في حق محمد ﷺ غير مقبول عندنا.

الأمر الخامس : الاخبارات التي نقلها المسيحيون في حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه على تفاسير اليهود وتأويلاتهم، ولذلك هم ينكرونه أشدّ الإنكار. والعلماء المسيحية لا يلتفتون في هذا الباب الى تفاسيرهم وتأويلاتهم، ويفسرونها ويؤولونها بحيث تصدق في زعمهم على عيسى عليه السلام. قال صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الأول في

الصفحة ٤٦ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩ : « المعلمون القدماء من الملة المسيحية ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط، إن اليهود أوّلوا الآيات التي كانت اشارة الى يسوع المسيح بتأويلات غير صحيحة وغير لائقة وبينوها خلاف الواقع ». انتهى وقوله (ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط) غلط يقيناً لأن المعلمين القدماء كما ادّعوا هذه الدعوى ادّعوا أن اليهود حرفوا الكتب تحريفا لفظياً، كما عرفت في الباب الثاني، لكني أقطع النظر عن هذا، وأقول : كما أن تأويلات اليهود في الآيات المذكورة مردودة غير صحيحة وغير لائقة عند المسيحيين، كذلك تأويلات المسيحيين في الاخبارات التي هي في حق محمد ﷺ مردودة غير مقبولة عندنا. وسترى أن الاخبارات التي تنقلها في حق محمد ﷺ أظهر صدقا من الاخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام. فلا بأس علينا إن لم نلتفت الى تأويلاتهم الفاسدة. وكما أن اليهود ادعوا في حق بعض الاخبارات التي هي في حق عيسى عليه السلام، على زعم المسيحيين، أنها في حق مسيحهم المنتظر أو في حق غيره أو ليست في حق أحد، والمسيحيون يدّعون أنها في حق عيسى عليه السلام ولا يبالون بمخالفتهم، فكذا نحن لا نبالي بمخالفة المسيحيين في حق بعض الاخبارات التي هي في حق محمد ﷺ، لو قالوا أنها في حق عيسى عليه السلام. وسترى أيضا أن صدقها في حق محمد ﷺ أليق من صدقها في حق عيسى عليه السلام. فادّعاؤنا أحقُّ من ادعائهم.

الأمر السادس : مؤلفو العهد الجديد باعتقاد المسيحيين ذوو الهام، وقد نقلوا الاخبارات في حق عيسى عليه السلام. فيكون هذا النقل، على زعمهم، بالإلهام. فأذكر نبذاً منها بطريق الأنموذج ليقيس المخاطب حال هذه الاخبارات بالاخبارات التي أنقلها في هذا المسلك في حق محمد ﷺ. وان سلك أحد من القسيسين مسلك الاعتساف، وتصدّى لتأويل الاخبارات التي أنقلها في هذا المسلك، يجب عليه أن يوجه أولا الاخبارات التي نقلها مؤلفو العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام، ليظهر للمنصف اللبيب حال الاخبارات التي نقلها الجانبان ويقابلهما باعتبار القوة والضعف. وان غمض النظر عن توجيه الاخبارات العيسوية التي نقلها المؤلفون المذكورون وأوّل

الاخبارات المحمدية التي أنقلها في هذا المسلك يكون محمولا على عجزه وتعصبه. لأنك قد علمتَ في الأمر الثاني والخامس أن المعاند له مجال واسع للتأويل في أمثال هذه الاخبارات. وإنما اكتفيت على نبذ مما نقله مؤلفو العهد الجديد، لأنه إذا ظهر أن البعض منها غلط يقينا، والبعض منها محرف، والبعض منها لا يصدق على عيسى عليه السلام إلا بالادعاء البحت والتحكم الصرف، ظهر أن حال الاخبارات الأخر التي نقلها المسيحيون الذين ليسوا ذوي الهام ووحي يكون اسوأ فلا حاجة الى نقلها.

الخبر الأول : ما هو المنقول في الباب الأُول من انجيل متى وقد عرفتَ في بيان الغلط الخمسين في الفصل الثالث من الباب الأول أنه غلط. على أن كون مريم عذراء وقت الحبل غير مسلم عند اليهود والمنكرين، ولا يتمّ عليهم حجة. لأنها قبل ولادة عيسى عليه السلام كانت في نكاح يوسف النجار على تصريح الانجيل. واليهود المعاصرون لعيسى عليه السلام يقولون أنه ولد يوسف النجار، كما هو مصرح به في الآية ٥٥ من الباب ١٣ من انجيل متى، والآية ٤٥ من الباب ١، والآية ٤٢ من الباب السادس من انجيل يوحنا والى الآن يقولون هكذا، بل أشنع منه، والعلامة الأُخرى المختصة بعيسى عليه السلام غير مذكورة في هذا الخبر. **والخبر الثاني** : ما هو المنقول في الآية السادسة من الباب الثاني من انجيل متى، وهو اشارة الى الآية الثانية من الباب الخامس من كتاب ميخا. ولا تطابق عبارة متى عبارة ميخا واحداهما محرفة. وقد عرفت في الشاهد الثالث والعشرين من المقصد الأول من الباب الثاني أن محققيهم اختاروا تحريف عبارة ميخا. لكن ادعاءهم هذا لأجل محافظة الانجيل فقط، وعند المخالف باطل. **والخبر الثالث** : ما هو المنقول في الآية الخامسة عشر من الباب المذكور من انجيل متى. **والخبر الرابع** : ما هو منقول في الآية ١٧ و١٨ من الباب المذكور. **والخبر الخامس** : ما هو المنقول في الآية الثالثة والعشرين من الباب المذكور. وهذه الاخبار الثلاثة غلط، كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول. **والخبر السادس** : الآية التاسعة من الباب السابع والعشرين من انجيل متى. وقد عرفتَ في الشاهد التاسع والعشرين من المقصد الثاني من الباب الثاني أنه

غلط. على أن هذا الحال يوجد في الباب الحادي عشر من كتاب زكريا ولا مناسبة له بالقصة التي نقلها متى، لأن زكريا عليه السلام بعدما ذكر اسمي عصوين ورعي قطيع، يقول هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٤٤ : « ١٢ وقلت لهم ان حَسُنَ في أعينكم فهاتوا اجري وإلا فكفوا. فوزنوا أجري ثلاثين من الفضة ١٣ وقال لي الرب : ألقها الى صناع التماثيل ثمنا كريماً اثموني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها في بيت الرب الى صناع التماثيل ». فظاهر كلام زكريا أنه بيان حال لا اخبار عن الحادثة الآتية، وأن يكون آخذ الدراهم من الصالحين مثل زكريا عليه السلام لا من الكافرين مثل يهودا. **والخبر السابع** : ما نقله مقدسهم بولس في الآية السادسة من الباب الأول من الرسالة العبرانية. وقد عرفتَ حاله في الفصل الثالث أنه غلط لا يصدق على عيسى عليه السلام. **والخبر الثامن** : الآية الخامسة والثلاثون من الباب الثالث عشر من انجيل متى هكذا : « لكي يتمّ ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتوبات منذ تأسيس العالم ». وهو اشارة الى الآية الثانية من الزبور الثامن والسبعين، لكنه ادعاء محض وتحكم بحت. لأن عبارة هذا الزبور هكذا : « ٢ أفتح بالأمثال فمي وأنطق بالذي كان قديما ٣ كل ما سمعناه وعرفناه وآباؤنا أخبرونا ٤ ولم يخفوه عن أولادهم الى الجيل الآخر، إذ يخبرون بتسابيح الرب وقواته وعجائبه التي صنع ٥ إذ أقام الشهادة في يعقوب ووضع الناموس في اسرائيل، كل الذي أوصى آباؤنا ليعرِّفوا به أبناءهم ٦ لكيما يعلم الجيل الآخر بينهم المولدين ٧ فيقومون أيضا ويخبرون به أبناءهم ٨ لكي يجعلوا اتِّكالهم على الله، ولا ينسوا أعمال الله ويلتمسوا وصايا ٩ لئلا يكونوا مثل آبائهم الجيل الأعرج المتمرد الذي لم يستقم قلبه ولا آمنت بالله روحه ». وهذه الآيات الصريحة في أن داود عليه السلام يريد نفسه، ولذا عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ويروي الحالات التي سمعها من الآباء ليبلغ الى الأبناء على حسب عهد الله، لتبقى الرواية محفوظة. وبيَّن من الآية العاشرة الى الخامسة والستين حال انعامات الله والمعجزات الموسوية وشرارة بنى اسرائيل وما لحقهم بسببها ثم قال : « ٦٥ واستيقظ الرب كالنائم مثل الجبار المفيق من الخمر ٦٦ فضرب أعداءه في الوراء وجعلهم عارا الى الدهر ٦٧ وأبعد

محله يوسف ولم يختر سبط افرام ٦٨ بل اختار سبط يهوذا الجبل صهيون الذي أحب ٦٩ وبنى مثل وحيد القرن قدسه وأسسه في الأرض الى الأبد ٧٠ واختار داود عبده وأخذه من مراعي الغنم ٧١ ومن خلف المرضعات أخذه ليرعى من مراعي الغنم ٧١ ومن خلف المرضعات أخذه ليرعى يعقوب عبده واسرائيل ميراثه ٧٢ فرعاهم بدعة قلبه وبفهم يديه أهداهم ». وهذه الآيات الاخيرة أيضا دالة صراحة في أن هذا الزبور في حق داود عليه السلام. فلا علاقة لهذا بعيسى عليه السلام. **والخبر التاسع** : في الباب الرابع من انجيل متى هكذا : « ١٤ لكي يتمّ ما قيل باشعيا النبي القائل ١٥ أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البجر عبر الأردن جليل الأمم ١٦ الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور ». وهو اشارة الى الآية الأولى والثانية من الباب التاسع من كتاب أشعيا وعبارته هكذا : « في الزمان الأول استخفت أرض زبولون وأرض نفتالي، وفي الآخر تثقلت طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ٢ الشعب السالك في الظلمة رأى نوراً عظيماً. الساكنون في بلاد ظلال الموت أشرق عليهم نور ». وفرق ما بين العبارتين، فاحداهما محرفة. ومع قطع النظر عن هذا، إلا دلالة لكلام أشعيا على ظهور شخص، بل الظاهر أن اشعيا عليه السلام يخبر أن حال سكان أرض زبلون ونفتالي كان سقيما في سالف الزمان ثم صار حسنا، كما تدل عليه صيغ الماضي، أعني (استخفت وتثقلت ورأى وأشرق) وإن عدلنا عن الظاهر وحملنا على المجاز بمعنى المستقبل، وقلنا ان رؤية النور وإشراقه عليهم عبارة عن مرور الصلحاء بأرضهم، فادعاء أن مصداق هذا الخبر عيسى عليه السلام فقط تحكم صرف، لأن كثيرا من الأولياء والصلحاء مرَّ بتلك الأرض، سيما أصحاب محمد ﷺ وأولياء أمته أيضا الذين زالت ظلمة الكفر والتثليث من هذه الديار بسببهم وظهر نور التوحيد وتصديق المسيح كما ينبغي. وأكتفي خوفاً من التطويل على هذا القدر، ونقلت الأخبار الأخر أيضا في إزالة الأوهام وغيره من مؤلفاتي وبينت وجوه ضعفها.

الأمر السابع(١) : ان أهل الكتاب سلفاً وخلفاً، عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها. وهذا خَبْط عظيم ومنشأ للفساد. وانهم يزيدون تارة شيئاً بطريف التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون الى الامتياز. وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم. ومَنْ تأمل في تراجمهم المتداولة بألسنة مختلفة، وجد شواهد تلك الأمور كثيرة. وأنا أورد أيضا بطريق الأنموذج بعضها منها.

/١/ في الآية الرابعة عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « لذلك دعت اسم تلك البير بير الحي الناظرني فترجموا اسم البئر الذي كان في العبراني بالعربي. /٢/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « سمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله زائره ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « دعا اسم ذلك الموضع الرب يرى ». فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بمكان يرحم الله زائره، والمترجم الثاني بالرب يرى /٣/ وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « فكتم يعقوب أمره عن حميه ». وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ (لابان) موضع حميه، فوضع مترجموا العربية لفظ (الحمي) موضع الاسم. /٤/ وفي الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ : « فلا يزول القضيب من يهودا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل واياه تنتظر الامم ». فقوله (الذي له الكل) ترجمة لفظ (شيلوه) وهذه الترجمة موافقة للترجمة اليونانية. وفي الترجمة العربية

(١) كان المؤلّف قد أورد الأخبار التسعة في متن الأمر السادس الذي هو أحد الأمور التي يتضمّنها المسلك السادس (ص ١٨٣) من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب. وهو، في ما يلي من فقرات يتابع تفصيل امور هذا المسلك.

المطبوعة سنة ١٨١١ « فلا يزول القضيب من يهودا والرسم من تحت أمره الى أن يجيء الذي هو له واليه يجتمع الشعوب ». وهذا المترجم ترجم لفظ شيلوه (بالذي هُوَ لَهُ). وهذه الترجمة موافقة للترجمة السريانية. وترجم هذا اللفظ محققهم المشهور ليكلرك (بعاقبته) وفي ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ وقع لفظ (شيلا) وفي الترجمة اللاطينية (ولتكيت) أي (الذي سيرسل). فالمترجمون ترجموا لفظ (شيلوه) بما ظهر وترجح عندهم. وهذا اللفظ كان بمنزلة الاسم للشخص المبشر به. /٥/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب الثالث من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ فقال الله لموسى : « أهيه أشراهيه ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « قال له الأزلي الذي لا يزال ». فلفظ (أهيه أشراهيه) كان بمنزلة اسم الذات، فترجمه المترجم الثاني بالأزلي الذي لا يزال. /٦/ وفي الآية الحادية عشر من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « تبقى في النهر فقط ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « تبقى في النيل فقط ». /٧/ وفي الآية الخامسة عشر من الباب السابع عشر من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « فابتنى موسى مذبحا ودعا اسمه الرب عظمتي ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « وبنى مذبحا وسماه الله علمي ». وترجمه أردو موافقة لهذه الأخيرة. فأقول مع قطع النظر عن الاختلاف إن المترجمين ترجموا الاسم العبراني. /٨/ وفي الآية الثالثة والعشرين من الباب الثلاثين من سفر الخروج في الترجمتين المذكورتين هكذا : « من ميعة فائقة ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « من المسك الخالص ». وبين الميعة والمسك فرق ما، ففسروا الاسم العبراني بما ترجح عندهم. /٩/ وفي الآية الخامسة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمتين المذكورتين هكذا : « فمات هناك موسى عبد الرب ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فمات هناك موسى رسول الله ». فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر فلا استبعاد منهم. /١٠/ وفي الآية الثالثة عشر من الباب

العاشر من كتاب يوشع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « أليس هذا مكتوبا في سفر الأبرار ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « أليس هو مكتوبا في سفر المستقيم ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨ لفظ (ياصار) موضع (الأبرار) أو (المستقيم) وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٥ لفظ (ياشر) وفي ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ (ياشا) لعل ياصار أو ياشار أو ياشا اسم مصنف الكتاب. فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على آرائهم بالأبرار أو المستقيم. /١١/ وفي الباب الثامن من كتاب أشعيا في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩ هكذا ١ (وخداوند مرافرمود كه لوحي بزرك بكير وازقلم كندكارد رباب مهر شالال جشنر بنو يس) ٣ (أورامهر شالال جشنر نام ينه). وترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ توافقها. وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « ١ وقال لي الرب خذلك مدرجا عظيما واكتب فيه بكتابة انسان انتهب مستعجلا أسلب سريعا ٣ ادع اسمه أغنم بسرعة وأنهب عاجلا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « ١ وقال لي الرب خذلك مدرجا صحيحا صحيفة جديدة كبيرة واكتب فيها بكتابة انسان حاد ليضع نهب الغنائم لأنه حضر ٣ ادع اسمه أغنم بسرعة وانهبوا تجده ». فكان اسم الابن (مهر شالال جاشنر) فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على آرائهم، وخالفوا فيما بينهم ومع قطع النظر عن المخالفة زاد مترجم العربية المطبوعة سنة ١٨١١ ألفاظاً من قبل نفسه. فأمثال هؤلاء لو بدلوا في البشارات المحمدية اسما من أسماء النبي ﷺ أو زادوا شيئاً فلا استبعاد منهم. لأن هذا الأمر يصدر عنهم بحسب عادتهم. /١٢/ وفي الآية الرابعة عشر من الباب الحادي عشر من انجيل متى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « فان أردتم أن تقبلوه فهو ايلياء المزمع أن يأتي ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ : « فان أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالاتيان ». فالمترجم الاخير بدل لفظ ايلياء بهذا. فامثال هؤلاء لو بدلوا اسما من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب. /١٣/ وفي الآية الأولى من الباب الرابع من انجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠

« لما علم الرب ». فبدل المترجمان الأخيران لفظ (يسوع) الذي كان علم عيسى عليه السلام (بالرب) الذي هو من الألفاظ التعظيمية. فلو بدلوا اسما من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحقيرية لأجل عادتهم وعنادهم فلا عجب.

وهذه الشواهد[1] تدل على ترجمة الأسماء وايراد لفظ آخر بدلها : /١/ في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لما شبقتني ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟». وفي الباب الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا : « وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : الوي الوي لما شبقتني ؟ الذي تفسيره : الهي الهي لماذ تركتني ؟». فلفظ (أي الهي الهي لماذا تركتني) في انجيل متى وكذا لفظ (الذي تفسيره الهي الهي لماذا تركتني) في انجيل مرقس ليسا من كلام الشخص المصلوب يقيناً، بل الحقا بكلامه. /٢/ في الآية السابعة عشر من الباب الثالث من انجيل مرقس هكذا : « لقبهما ببوان رجس أي ابني الرعد ». فلفظ (أي ابني الرعد) ليس من كلام عيسى عليه السلام بل هو الحاقي. /٣/ في الآية الحادية والأربعين من الباب الخامس من انجيل مرقس هكذا : « وقال لها طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي ». فهذا التفسير الحاقي ليس من كلام عيسى عليه السلام. /٤/ في الآية الرابعة والثلاثين من الباب السابع من انجيل مرقس في الترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ : « ونظر الى السماء وتأوّه وقال افثا يعني انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ « ونظر الى السماء وقال افاثا الذي هو انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « ونظر الى السماء وتنهد وقال له انفتح الذي هو انفتح ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له افثا أي انفتح ». ومن هذه

(١) يورد المؤلّف هنا شواهد أخرى غير تلك التي سبقتها في الفقرة السابقة. وهذه الشواهد الآتي ذكرها تشير الى ابدال لفظ بلفظ آخر في ترجمات الكتب المقدسة عند المسيحيين. بينما كانت الشواهد السابقة تشير الى ابدال اسماء العلم في الترجمات نفسها.

العبارة، وإن لم يعلم صحة اللفظ العبراني أهو افثا أو افاثا أو انفتح أو افثا لأجل اختلاف التراجم التي منشأ اختلافها عدم صحة ألفاظ أصولها، لكنه يُعلم يقيناً أن لفظ (أي انفتح) أو (الذي انفتح) الحاقي. ليس من كلام عيسى عليه السلام. وهذه الأقوال المسيحية الأربعة التي نقلتها من الشاهد الأول الى ههنا تدل على أن المسيح عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني الذي كان لسان قومه، وما كان يتكلّم باليوناني. وهو قريب القياس لأنه كان عبرانيا ابن عبرانية نشأ في قومه العبرانيين، فنَقْلُ أقواله في هذه الأناجيل في اليوناني نَقْلٌ بالمعنى. وهذا أمر آخر زائد على كون أقواله مروية برواية الآحاد. /٥/ في الآية الثامنة والثلاثين من الباب الأول من انجيل يوحنا هكذا : « فقالا له ربي الذي تفسيره يا معلم ». فقوله (الذي تفسيره يا معلم) الحاقي ليس من كلامهما /٦/ في الآية الحادية والأربعين من الباب المذكور في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ « قد وجدنا مسيا الذي تأويله المسيح ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ (ما مسيح راكه ترجمة آن كرسطوس ميبا شديا فتيم) وترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤ توافق الفارسية. فيُعلم من الترجمتين العربيتين أن اللفظ الذي قاله اندراوس هو مسيا، وأن المسيح ترجمته. ومن الترجمة الفارسية واردو ان اللفظ الأصل هو المسيح وكرسطوس ترجمته. ويُعلم من ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ ان اللفظ الأصل خرسته وأن المسيح ترجمته فلا يُعلم من كلامهم أن اللفظ الأصل أي لفظ كان أمسيا أو المسيح أو خرسته. وهذه الألفاظ وإن كان معناها واحدا، لكن لا شك أن الذي قاله اندراوس هو واحد من هذه الثلاثة يقيناً، واذا ذكر اللفظ والتفسير، فلا بدّ من ذكر اللفظ الأصل أولا، ثم من ذكر تفسيره. لكني أقطع النظر عن هذا وأقول ان التفسير المشكوك أيا كان إلحاقياً ليس من كلام اندراوس. /٧/ في الآية الثانية والأربعين من الباب الأول من انجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في حق بطرس الحواري في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « أنت تدعى ببطرس الذي تأويله الصخرة ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ (ستسمى أنت بالصفا المفسر ببطرس ». وفي الترجمة الفارسية

المطبوعة سنة ١٨١٦ (ترابكيفاس كه ترجمة آن سنك است نداخوا هند كرد ». أمطر الله حجارة على تحقيقهم، وتصحيحهم لا يتميز من كلامهم المفسِّر عن المفسَّر. لكني أقطع النظر عن هذا وأقول ان التفسير ليس من كلام المسيح عليه السلام، بل هو الحاقي. واذا كان حال تراجمهم وحال تحقيقهم في لقب الههم ولقب خليفته، كما علمت، فكيف نرجو منهم صحة بقاء لفظ محمد أو أحمد أو لقب من ألقابه ﷺ ؟ /٨/ في الآية الثانية من الباب الخامس من انجيل يوحنا في حق البركة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣٣ : « تسمى بالعبرانية بيت صيدا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ : « يقال لها بالعبرانية بيت حسدا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ : « تسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة ». فالاختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا، وأن كان ثمرة من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية. لكني أقطع النظر عنه وأقول : المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه، فلو زادوا شيئاً بطريق التفسير من جانب أنفسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم /٩/ في الآية السادسة والثلاثين من الباب التاسع من كتاب الأعمال هكذا : « وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة ». /١٠/ في الآية الثامنة من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « فناصبهما اليماس الساحر لأن هكذا يترجم اسمه ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ : « فقاومهما عليم الساحر لأن هكذا يترجم ». وفي بعض تراجم أردو لفظ الماس، وفي بعضها الماء. فمع قطع النظر عن الاختلاف في أن اسمه اليماس أو عليم أو الماس أو الماء، أقول : ان ترجمة اسمه الحاقية /١١/ في آخر رسالة بولس الأولى الى أهل قورنثيوس في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا : « إلا ومن لا يحبّ ربنا المسيح فليكن ملعونا مارن أتى » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا « ومن لا يحب ربنا يسوع المسيح فليكم محروما ما ران أتى ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ (إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما ما ران اثا ». وفي الترجمة العربية المطبوعة

سنة ١٨١١ : « من لا يحبّ الرب يسوع المسيح فليكن مفروزا مارن أتى أي الرب قد جاء ». فمع قطع النظر عن صحة اللفظ الأصل، أقول ان المترجم الأخير قد زاد من جانب نفسه التفسير، وقال أي الرب قد جاء. وهذه شواهد التفسير. فثبت مما ذكرنا أن ترجمة الأسماء أو تبديلها بألفاظ أخر، وكذا الحاق التفسيرات من جانب أنفسهم من عاداتهم الجيلية سلفا وخلفا. فلا بعد في أن ترجموا اسما من أسماء النبي ﷺ أو بدلوه بلفظ آخر أو زادوا بطريق التفسير أو غير التفسير شيئاً بحيث يخل الاستدلال بحسب الظاهر. ولا شك أن اهتمامهم في هذا الأمر كان زائدا على الاهتمام الذي كان لهم في مقابلة فرقهم، وما قصروا في التحريف في مقابلتهم، على ما عرفتَ في الباب الثاني من قول هورن : « إن هذا الأمر أيضا محقق أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين، وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسئلة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد. مثلا ترك قصداً الآية الثالثة والأربعين من الباب الثاني والعشرين من انجيل لوقا لأن بعض أهل الديانة ظنوا أن تقوية الملك للرب مناف لألوهيته، وتركت قصدا في الباب الأول من انجيل متى هذه الألفاظ قبل أن يجتمعا في الآية الثامنة عشر. وهذه الألفاظ ابنها البكر في الآية الخامسة والعشرين لئلا يقع الشك في البكارة الدائمة لمريم عليها السلام، وبدل لفظ اثنتي عشرة باحد عشر في الآية الخامسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس لئلا يقع الزام الكذب على بولس، لأن يهوذا الاسخريوطي كان قد مات قبل، وترك بعض الألفاظ في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل مرقس، ورد هذه الألفاظ بعض المرشدين أيضا لأنهم تخيلوا أنها مؤيدة لفرقة ايرين، وزيد بعض الألفاظ في الآية الخامسة والثلاثين من الباب الأول من انجيل لوقا في الترجمة السريانية والفارسية والعربية واتهيوبك وغيرها من التراجم وفي كثير من نقول المرشدين في مقابلة فرقة يؤتي كينس لأنها كانت تنكر أن عيسى فيه صفتان ». انتهى كلامه. فاذا كانت خصلة أهل الدين والديانة ما عرفت، فما ظنك بغير أهل الديانة ؟ بل الحق إن التحريف القصدي بالتبديل والزيادة والنقصان من خصالهم كلهم أجمعين. فبعض الاخبارات التي

نقلها العلماء الأسلاف من أهل الاسلام مثل الإمام القرطبي وغيره ولا تجدها موافقة في بعض الألفاظ للتراجم المشهورة الآن فسببه غالبا هذا التغير، لأن هؤلاء العلماء من أهل الإسلام نقلوا عن الترجمة العربية التي كانت رائجة في عهدهم، وبعد زمانهم وقع الاصلاح في تلك الترجمة. ويحتمل أن يكون ذاك السبب اختلاف التراجم، لكن الأول هو المعتمد لأنا نرى أن هذه العادة جارية الى الآن في تراجمهم ورسائلهم. ألا ترى الى ميزان الحق أن نسخه ثلاث : الأولى النسخة القديمة ورد عليها صاحب الاستفسار، ولما رد عليها وتنبه مصنفها أصلح النسخة القديمة فزاد في بعض المواضع، ونقص في البعض، ثم طبع هذه النسخة المصلحة، وكتب جواب الاستفسار، وسماه بحل الاشكال ثم كتبت الرد على تلك النسخة الثانية لميزان الحق ونبهت في كل موضع خالفت فيه هذه النسخة الجديدة للنسخة العتيقة وسميته بمعدل اعوجاج الميزان، لكن كتابي هذا لم يطبع في الهند لأجل بعض الحوادث، وكتب بعض أحبائي الرد على حل الاشكال في جواب الاستفسار وسماه بالاستبشار، وطبع هذا الرد واشتهر في الهند وفي زمان طبعه واشتهاره كان مؤلف الميزان في الهند، ومضت مدة عشر سنين على طبعه، وما كتب المؤلف المذكور في جوابه شيئاً. وسمعت من بعض الثقات أنه أصلح في المرة الثالثة الميزان الذي طبعه بالتركي وغيَّر في المواضع التي رأى فيها التغير واجباً، مثل التغير في ابتداء الفصل الثاني من الباب الأول وغيره. ومَنْ رأى الاستفسار، ولم تصل اليه النسخة القديمة للميزان بل وصلت اليه النسخة الثانية أو الثالثة وأراد أن يصحح نقل صاحب الاستفسار كلام مؤلف الميزان بهاتين النسختين، وجده غير مطابق لهما في بعض المواضع. وكذا مَنْ رأى معدل اعوجاج الميزان، ولم تصل اليه النسخة الأولى ولا الثانية بل وصلت اليه النسخة الثالثة التركية وأراد تصحيح النقل بهذه التركية، وجد في بعض المواضع النقل غير مطابق لها. فإن لم يكن واقفا على هذا التغير والاصلاح يظن أن الراد والناقل أخطأ في النقل. وليس كذلك، بل حصل هذا الأمر من تغيّر المردود عليه وتحريفه، والراد الناقل مصيب، فالحاصل أن أمثال هذا الاصلاح والتحريفات جارية في كتبهم وتراجمهم ورسائلهم الى هذا الحين.

الأمر الثامن[١]: إن بوليس وإن كان عند أهل التثليث في رتبة الحواريين، لكنه غير مقبول عندنا، ولا نعده من المؤمنين الصادقين بل من المنافقين الكذابين ومعلمي الزور والرسل الخدّاعين الذين ظهروا بالكثرة بعد عروج المسيح، كما عرفتَ في الأمر الرابع وهو خرب الدين المسيحي وأباح كل محرم لمعتقديه. وكان في ابتداء الأمر مؤذيا للطبقة الأولى من المسيحيين جهراً، لكنه لما رأى أن هذا الإيذاء الجهري لا ينفع نفعاً معتداً به دخل على سبيل النفاق في هذه الملة وادّعى رسالة المسيح وأظهر الزهد الظاهري، ففعل في هذا الحجاب ما فعل، وقبله أهل التثليث لأجل زهده الظاهري ولأجل فراغ ذمتهم عن جميع التكاليف الشرعية، كما قبل أناس كثيرون من المسيحيين في القرن الثاني منتش الذي كان زاهداً مرتاضاً وادّعى « أني هو الفارقليط الموعود به »، فقبلوه لأجل زهده ورياضته، كما سيجيء ذكره في البشارة الثامنة عشر، ورده المحققون من علماء الإسلام سلفاً وخلفاً. قال الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه في حق بولس هذا مجيباً لبعض القسيسين في بحث مسئلة الصوم هكذا : « قلنا ذلك — أي بولس — هو الذي أُفسد عليكم أديانكم وأعمى بصائركم وأذهانكم، ذلك هو الذي غيَّر دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر ولا وقفتم منه على أثر، هو الذي صرفكم عن القبلة وحلل لكم كل محرم كان في الملة. ولذلك كثرت أحكامه عندكم وتداولتموها بينكم ». انتهى كلامه بلفظه. وقال صاحب تخجيل من حرف الانجيل في الباب التاسع من كتابه في بيان فضائح النصارى في حق بولس هذا هكذا : « وقد سلبهم بولس هذا من الدين بلطيف خداعه، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقي اليها، وقد طمس هذا الخبيث رسوم التوراة ». انتهى كلامه بلفظه. وهكذا أقوال علمائنا الآخرين. فكلامه عندنا مردود، ورسائله المتضمنة بالعهد العتيق كلها واجبة الرد، ولا نشتري قوله بحبة خردل. فلا أنقل عن أقواله في هذا المسلك شيئاً، ولا يكون قوله حجة علينا.

---

(١) للتذكير : انه الأمر الثامن والأخير والذي أشار إليه المؤلّف في بداية الكلام على المسلك السادس ص ١٨٣.

[الاخبارات الواقعة في حق محمد ﷺ]

وإذ عرفتَ هذه الأمور الثمانية، أقول ان الاخبارات الواقعة في حق محمد ﷺ توجد كثيرة الى الآن أيضا مع وقوع التحريفات في هذه الكتب. ومَنْ عرف أولا طريق اخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر، على ما عرفتَ في الأمر الثاني، ثم نظر ثانيا بنظر الانصاف الى هذه الاخبارات وقابلها بالاخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام، وقد عرفتَ نبذاً منها في الأمر السادس، جزم بأن الاخبارات المحمدية في غايةالقوة. وأنقل في هذا المسلك عن الكتب المعتبرة عند علماء پروتستنت ثماني عشرة بشارة.

البشارة الأولى : في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : « ١٧ فقال الرب لي نعم جميع ما قالوا ١٨ وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم، واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ١٩ ومَنْ لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي. فانا أكون المنتقم من ذلك ٢٠ فاما النبي الذي يجترىء بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيري فليقتل ٢١ فان أحببت وقلتَ في قلبك كيف استطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلم به الرب ٢٢ فهذه تكون لك آية ان ما قاله ذلك النبي في اسم الرب ولم يحدث، فالرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه، ولذلك لا تخشاه ». وهذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام، كما يزعم الآن احبار اليهود، ولا بشارة عيسى عليه السلام، كما زعم علماء پروتستنت، بل هي بشارة محمد ﷺ لعشرة أوجه :

الوجه الأول : قد عرفت في الأمر الثالث ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبياً آخر مُبَشَّراً به في هذا الباب، وكان هذا المبشَّر به عندهم غير المسيح. فلا يكون هذا المبشَّر به يوشع ولا عيسى عليهما السلام.

والوجه الثاني : إنه وقع في هذه البشارة لفظ (مثلك) ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام. أما أولاً فلأنهما من

بني اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بني اسرائيل مثل موسى، كما تدلّ عليه الآية العاشرة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وهي هكذا : « ٥ ولم يقم بعد ذلك في بني اسرائيل مثل موسى يوفه الرب وجهاً لوجه ». فان قام أحد مثل موسى بعده من بني اسرائيل يلزم تكذيب هذا القول. وأما ثانياً فلأنه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام، لأن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهي، ويوشع ليس كذلك، بل هو متبع لشريعته. وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام، لأن عيسى عليه السلام كان الهاً ورباً على زعم النصارى، وموسى عليه السلام كان عبداً له. وأن عيسى عليه السلام على زعمهم صار ملعوناً لشفاعة الخلق، كما صرح به بولس في الباب الثالث من رسالته الى أهل غلاطية، وموسى عليه السلام ما صار ملعوناً لشفاعتهم. وأن عيسى عليه السلام دخل الجحيم بعد موته، كما هو مصرح به في عقائد أهل التثليث، وموسى عليه السلام ما دخل الجحيم. وان عيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته، وموسى عليه السلام ما صار كفارة لأمته بالصلب. وان شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيزات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فإنها فارغة عنها على ما يشهد به هذا الانجيل المتداول بينهم. وأن موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً في قومه نفاذاً لأوامره ونواهيه وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك.

الوجه الثالث : انه وقع في هذه البشارة لفظ (من بين اخوتهم) ولا شك أن الاسباط الاثني عشر كانوا موجودين في ذاك الوقت مع موسى عليه السلام حاضرين عنده. فلو كان المقصود كون النبي المبشَّر به منهم قال (منهم) لا (من بين اخوتهم) لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشَّر به له علاقة الصلبية والبطنية ببني اسرائيل ،كما جاء لفظ الاخوة بهذا الاستعمال الحقيقي في وعد الله هاجر في حق اسمعيل عليه السلام في الآية الثانية عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وقبالة

جميع اخوته ينصب المضارب ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « بحضرة جميع اخوته يسكن ». وجاء بهذا الاستعمال أيضا في الآية الثامنة عشر من الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين في حق اسمعيل في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هذا : « منتهى اخوته جميعهم سكن ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « أقام بحضرة جميع إخوته ». والمراد بالاخوة ههنا بنو عيسو واسحق وغيرهم من أبناء ابراهيم عليه السلام. وفي الآية الرابعة عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « ثم أرسل موسى رسلا من قادس الى ملك الروم قائلا : هكذا يقول أخوك اسرائيل انك قد علمت كل البلاء الذي أصابنا ». وفي الباب الثاني من سفر الاستثناء هكذا : « ٢ وقال لي الرب ٤ ثم أوص الشعب أنكم ستجوزون في تخوم اخوتكم بني عيسو الذي في ساعير وسيخشونكم ٨ فلما جزنا اخوتنا بني عيسو الذين يسكنون ساعير الخ ». والمراد باخوة بني اسرائيل بنو عيسو. ولا شك أن استعمال لفظ اخوة بني اسرائيل في بعض منهم، كما جاء في بعض المواضع من التوراة، استعمالٌ مجازي ولا تترك الحقيقة، ولا يصار الى المجاز ما لم يمنع عن الحمل على المعنى الحقيقي مانعٌ قوي ويوشع وعيسى عليهما السلام كانا من بني اسرائيل، فلا تَصْدُقُ هذه البشارة عليهما.

الوجه الرابع : أنه وقع في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) ويوشع عليه السلام كان حاضرا عند موسى عليه السلام داخلاً في بني اسرائيل نبياً في هذا الوقت. فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟ **الوجه الخامس** : انه وقع في هذه البشارة لفظ (أجعل كلامي في فمه) وهو اشارة الى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب، والى أنه يكون أمياً حافظا للكلام. وهذا لا يَصْدُقُ على يوشع عليه السلام لانتفاء كلا الأمرين فيه. **الوجه السادس** : أنه وقع في هذه البشارة (ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به فانا أكون المنتقم من ذلك) فهذا الأمر، لما ذُكر لتعظيم هذا النبي المبشَّر به، فلا بدّ أن يمتاز ذلك المبشر به بهذا الأمر عن غيره من الأنبياء. فلا يجوز أن يُراد بالانتقام من المنكر العذاب الاخروي الكائن في جهنم أو المحن والعقوبات الدنيوية التي تلحق المنكرين من الغيب، لأن هذا الانتقام لا يختص بانكار نبي دون نبي بل يعم الجميع.

فحينئذ يُراد بالانتقام الانتقام التشريعي. فظهر منه أن هذا النبي يكون مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكره، فلا يصدق على عيسى عليه السلام، لأن شريعته خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزير والجهاد.

الوجه السابع : في الباب الثالث من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوع سنة ١٨٤ هكذا : « ١٩ فتوبوا وارجعوا كي تمحى خطاياكم ٢٠ حتى إذا تأتي أزمنة الراحة من قدام وجه الرب ويرسل المنادى به لكم وهو يسوع المسيح ٢١ الذي اياه ينبغي للسماء أن تقبله الى الزمان الذي يسترد فيه كل شيء، تكلم به الله على أفواه أنبيائه القديسين منذ الدهر ٢٢ إن موسى قال : إن الرب الهكم يقيم لكم نبياً من إخوتكم مثلي له تسمعون في كل ما يكلمكم به ٢٣ ويكون كل نفس لا تسمع ذلك النبي تهلك من الشعب ». وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٢ هكذا : ١٩ (تونيه نمايدوباز كشت كندتاكه كناهان شمامحو شودتا كه زمان تازه كيراز حضور خداوند بيابيد) ٢٠ (ويسوع مسيح راكه ندا بشمامي شودباز فرستد) ٢١ (زيراكه بايدكه آسمان أوزنكا هدارد تاوقت ثبوت انجه جداوند بزبان پيغمبران مقدس خوداز أيام قديم فرموده است) ٢٢ (كه موسى بيدران ما كفت كه خداى شما خداوند پيغمبري رامثل من ازبراي شما ازميان برادران شما مبعوث خواهد ثمود وهرجه او بشماكويد شمار است كه أطاعت نمايد) ٢٣ (واينجنين خواهد بودكه هركس كه سخن آن پيغمبر رانشنود ازقوم بريده خواهد شد) فهذه العبارة سيما بحسب التراجم الفارسية تدل صراحة على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام، وأن المسيح لا بدّ أن تقبله السماء الى زمان ظهور هذا النبي ومَنْ ترك التعصب الباطل من المسيحيين وتأمل في عبارة بطرس ظهر له أن هذا القول من بطرس يكفي لإبطال ادعاء علماء پروتستنت أن هذه البشارة في حق عيسى عليه السلام.

وهذه الوجوه السبعة التي ذكرتها تَصْدُقُ في حق محمد ﷺ على أكمل صدق، لأنه غير المسيح عليه السلام ويماثل موسى عليه السلام في أمور

كثيرة : /١/ كونه عبد الله ورسوله /٢/ كونه ذا الوالدين /٣/ كونه ذا نكاح وأولاد /٤/ كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية /٥/ كونه مأموراً بالجهاد /٦/ اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته. /٧/ وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء في شريعته. /٨/ اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز /٩/ حرمة غير المذبوح وقرابين الأوثان. /١٠/ كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية. /١١/ أمره بحد الزنا. /١٢/ تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص. /١٢/ كونه قادراً على إجرائها /١٤/ تحريم الربا. /١٥/ أمره بانكار مَن يدعو الى غير الله. /١٦/ أمره بالتوحيد الخالص. /١٧/ أمره الأمة بأن يقولوا له عبد الله ورسوله، لا ابن الله أو الله، والعياذ بالله. /١٨/ موته على الفراش. /١٩/ كونه مدفوناً كموسى. /٢٠/ عدم كونه ملعوناً لأجل أمته. وهكذا أمور أخر تظهر إذا تؤمِّل في شريعتهما. ولذلك قال الله تعالى في كلامه المجيد : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً** ﴾[1]. وكان من اخوة بني اسرائيل لأنه من بني اسماعيل، وأنزل عليه الكتاب وكان أُمِّيّاً جعل كلام الله في فمه وكان ينطق بالوحي كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[2]. وكان مأموراً بالجهاد، وقد انتقم الله لأجله من صناديد قريش والأكاسرة والقياصرة وغيرهم، وظهر قبل نزول المسيح من السماء، وكان للسماء أن تقبل المسيح عليه السلام الى ظهوره ليرد كل شيء الى أصله، ويمحق الشرك والتثليث وعبادة الأوثان، ولا يرتاب أحد من كثرة أهل التثليث في هذا الزمان الأخير، لأن هذا الصادق المصدوق قد أخبرنا على أتم تفصيل وأكمل وجه بحيث لا يبقى ريب مّا بكثرتهم وقت قرب ظهور المهدي رضي الله عنه، وهذا الوقت قريب إن شاء الله، وسيظهر الإمام ويظهر الحق عن قريب، ويكون الدين كله لله جعلنا الله من أنصاره وخدامه آمين.

---

(١) سورة المزمل (١٥).

(٢) سورة النجم (٣ ـــ ٤).

الوجه الثامن : أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب الى الله ما لم يأمره يُقتل. فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً لكان يُقتل. وقد قال الله في القرآن المجيد ايضاً : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ** ﴾(1) وما قُتل، بل قال الله في حقه : ﴿ **وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾(2). وأوفى وعده ولم يقدر على قتله أحد حتى لقي الرفيق الأعلى ﷺ. وعيسى عليه السلام قُتل وصُلب على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة في حقه لزم أن يكون نبياً كاذباً كما يزعمه اليهود، والعياذ بالله. **الوجه التاسع** : إن الله بيَّن علامة النبي الكاذب أن أخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج صادقا، ومحمد ﷺ أخبر عن الأمور الكثيرة المستقبلة، كما علمتَ في المسلك الأول وظهر صدقه فيها. فيكون نبياً صادقاً لا كاذباً. **الوجه العاشر** : إن علماء اليهود سلموا كونه مبشَّرا به في التوراة. لكن بعضهم أسلم وبعضهم بقي في الكفر. كما أن قيافا، وكان رئيس الكهنة ونبياً على زعم يوحنا، عرف أن عيسى هو المسيح الموعود به ولم يؤمن، بل أفتى بكفره وقتله، كما صرح به يوحنا في الباب الحادي عشر والثامن عشر من انجيله. من حديث مخيريق وكان حبراً عالماً كثير المال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وغلبت عليه ألفة دينه، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد وكان يوم السبت. فقال يا معشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم الحق. قالوا فان اليوم يوم السبت. قال لا سبت. ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى الي النبي ﷺ باحد، وكان يوم السبت، وعهد الى مَنْ وراءه من قومه إن قُتلتُ هذا اليومَ فما لي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى. فقاتل حتى قُتل. فكان رسول الله ﷺ يقول مخيريق خير يهودي. وقبض رسول الله ﷺ أمواله. فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس، فقال: اخرجوا اليّ اعلمكم. فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول

(1) سورة الحاقة (٤٤ ــ ٤٦).

(2) سورة المائدة (٦٧).

الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم، وأطعمهم من المن والسلوى، وظللهم من الغمام: أتعلم أني رسول الله؟ قال اللهم نعم، وان القوم يعرفون ما أعرف، وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة، ولكن حسدوك. قال فما يمنعك أنت؟ قال أكره خلاف قومي، عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم. وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مفلسين، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس، فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا. فهششت اليهما. فما التفت إليَّ أحد منهما مع ما بهما من الهم. فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي أهو هو ؟ (أي المبشر به في التوراة) قال نعم والله. قال أتثبته وتعرفه ؟ قال نعم. قال فما في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت أبداً، فتلك عشرة كاملة فان قيل أن اخوة بني اسرائيل لا تنحصر في بني اسمعيل لأن بني عيسو وبني أبناء قطورا زوجة ابراهيم عليهما السلام من اخوتهم أيضا. قلت نعم هؤلاء أيضا من اخوة بني اسرائيل، لكنهم لم يظهر أحد منهم يكون موصوفاً بالأمور المذكورة. ولم يكن وعد الله في حقهم أيضا بخلاف بني اسمعيل، فإنهم كان وعد الله في حقهم لابراهيم ولهاجر عليهما السلام مع أنه لا يصح أن يكون مصداق هذا الخبر بني عيسو على ما هو مقتضى دعاء اسحق عليه السلام المصرح به في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين. ولعلماء پروتستنت اعتراضان نقلهما صاحب الميزان في كتابه المسمى بحل الاشكال في جواب الاستفسار الأول، أنه وقع في الآية الخامسة عشر من الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : « فان الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك ». الخ. فلفظ (من بينك) يدل دلالة ظاهرة على أن هذا النبي يكون من بني اسرائيل، لا من بني اسمعيل. والثاني أن عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة الى نفسه، فقال في الآية السادسة والأربعين من الباب الخامس من انجيل يوحنا أن موسى كتب في حقي. أقول : آية الاستثناء على وفق التراجم الفارسية وتراجم أردو هكذا : « فان الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك نبيا مثلي فاسمع منه ». والقسيس أيضا نقلها هكذا. والجواب أن اللفظ المذكور لا ينافي مقصودنا، لأن محمداً عليه

السلام لما هاجر الى المدينة وبها تكامل أمره، وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم، فقد قام من بينهم. ولأنه اذا كان من اخوتهم فقد قام من بينهم، ولأن قوله (من بين اخوتك) بدل من قوله (من بينك) بدل اشتمال، على رأي ابن الحاجب ومتبعيه القائلين بكافة علاقة الملابسة غير الكلية والجزئية في تحقق هذا البدل، نحو جاءني زيد أخوه وجاءني زيد غلامه، وبدل اضراب على رأي ابن مالك. وعلى كلا التقديرين المبدل منه غير مقصود. ويدل على كونه غير مقصود أن موسى عليه السلام، لما أعاد هذا الوعد من كلام الله في الآية الثامنة عشر لا يوجد فيه لفظ (من بينك). ونقل بطرس الحواري أيضا هذا القول، ولا يوجد فيه هذا اللفظ، كما علمت في الوجه السابع. وكذا نقله استفانوس أيضا، ولا يوجد في نقله أيضا هذا اللفظ كما صرح به في الباب السابع من كتاب الأعمال وعبارته هكذا : « هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبياً مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون ». فسقوطه في هذه المواضع دليل على كونه غير مقصود فاحتمال البدل قوي جدا. وقال صاحب الاستفسار : « إن لفظ (من بينك) الحاقي زيد تحريفاً ويدلّ عليه ثلاثة أمور : **الأول**، أن المخاطبين في هذا الموضع كانوا بني اسرائيل كلهم لا البعض. فقوله (من بينك) خطاب الى جميع القوم. فصار لفظ (من اخوتك) لغواً محضاً لا معنى له. لكن لفظ (من اخوتك) جاء في الموضع الآخر أيضا فيكون صحيحا ولفظ (من بينك) الحاقيا زيد تحريفاً. **والثاني**: ان موسى عليه السلام، لما نقل كلام الله لإثبات قوله لا يوجد فيه هذا اللفظ، ولا يجوز أن يكون ما قال موسى مخالفا لما قاله الله. **والثالث**، إن الحواريين، كلما نقلوا هذا الكلام لا يوجد فيه لفظ (من بينك) وإن قلتم أن المحرف إذا حرف فلم لم يحرف الكلام كله ؟ قلت نحن نرى في محكمات العدالة دائما أن القبالجات المحرفة يثبت تحريف الألفاظ المحرفة فيها من مواضع أخرى ــ منها غالبا، وأن شهود الزور يؤخذون ببعض بياناتهم. فالوجه الوجيه على أن عادة الله جارية بأنه لا يهدي كيد الخائنين ويظهر خيانة خائن الدين بمقتضى مرحمته. فمقتضى هذه العادة

يصدر عن الخائن شيء ما تظهر به خيانته. على أنه لا توجد ملة يكون أهلها كلهم خائنين، فالخائنون الذين حرفوا كتب العهدين كان لهم لحاظ مّا من جانب بعض المتدينين فلذلك ما بدلوا الكل ». انتهى. أقول هذا الجواب بالنسبة الى عادة أهل الكتاب النسيب، كما عرفت في الأمر السابع. وأقول في الجواب عن الاعتراض الثاني، أن آية الانجيل هكذا : « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني ». وليس فيها تصريح بأن موسى عليه السلام كتب في حقه في الموضع الفلاني، بل المفهوم منه أن موسى كتب في حقه. وهذا يصدق إذا وجد في موضع من مواضع التوراة اشارة اليه. ونحن نسلم هذا الأمر كما ستعرف في ذيل بيان البشارة الثالثة. لكنا نُنكر أن يكون قوله اشارة الى هذه البشارة للوجوه التي عرفتَها. وقد ادَّعى هذا المعترض في الفصل الثالث من الباب الثاني من الميزان أن الآية الخامسة عشر من الباب الثالث من سفر التكوين اشارة اليه. فهذا القدر يكفي لتصحيح قول عيسى عليه السلام. نعم لو قال عيسى عليه السلام ان موسى عليه السلام ما أشار في أسفاره الخمسة الى نبي من الأنبياء إلا إليَّ لكان لهذا التوهم مجال في ذلك الوقت.

البشارة الثانية[1] : الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا : « هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة. وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب. وبشعب جاهل أغضبهم ». والمراد بشعب جاهل العرب، لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية.

(١) يتابع المؤلّف تعداد البشارات التي يراها في كتب العهد القديم والدالّة على محمد ﷺ وهذا التعداد يستمرُّ، تأليفاً، ضمن المسلك السادس من الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب. ولكننا آثرنا فصل البشارات (أو الإخبارات) عن مسالك الفصل ووضعنا لها عنواناً ثانوياً لِبُعْدِ ما بين هذه الإخبارات والأخبار الواردة في المسالك الستة والشاهدة على نبوّة محمد ﷺ ومعجزاته.

فمقصود الآية أن بني اسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون. فأوفى بما وعد، فبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم الى الصراط المستقيم، كما قال الله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[1]. وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين، كما يفهم من ظاهر كلام مقدسهم بولس في الباب العاشر من الرسالة الرومية. لأن اليونانيين، قبل ظهور عيسى عليه السلام بأزيد من ثلثمائة سنة، كانوا فائقين على أهل العالم كلهم في العلوم والفنون. وكان جميع الحكماء المشهورين، مثل سقراط وبقراط وفيساغورس وافلاطون وارسطاطاليس وارشميدس وبليناس واقليدس وجالينوس وغيرهم الذين كانوا أئمة الإلهيات والرياضيات والطبيعيات وفروعها، قبل عيسى عليه السلام. وكان اليونانيون في عهده على غاية درجة الكمال في فنونهم، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق أيضا بواسطة ترجمة سبتوجنت التي ظهرت باللسان اليوناني قبل المسيح بمقدار مائتين وست وثمانين سنة. لكنهم ما كانوا معتقدين للملة الموسوية، وكانوا متفحصين عن الأشياء الحكمية الجديدة، كما قال مقدسهم هذا في الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس هكذا : « ٢٢ لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ٢٣ ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة ». فلا يجوز أن يكون المراد بالشعب الجاهل اليونانيين. فكلام مقدسهم في الرسالة الرومية، إما مؤوّل أو مردود. وقد عرفت في الأمر الثامن أن قوله ساقط عن الاعتبار عندنا.

البشارة الثالثة : في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وقال جاء الرب من سينا، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار في يمينه، سنة من

---

(١) سورة الجمعة (٢).

نار ». فمجيئه من سيناء : اعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام. واشراقه من ساعير : اعطاؤه الانجيل لعيسى عليه السلام. واستعلانه من جبل فاران : انزاله القرآن، لأن فاران جبل من جبال مكة. في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال اسمعيل عليه السلام هكذا : « ٢٠ وكان الله معه ونما وسكن في البرية وصار شابا يرمي بالسهام ٢١ وسكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر ». ولا شك أن اسمعيل عليه السلام كانت سكونته بمكة، ولا يصح أن يُراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضا فانتشرت في هذه المواضع. لأن الله لو خلق ناراً في موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع، إلا إذا اتبع تلك الواقعة وحيٌ نزل في ذلك الموضع أو عقوبة أو ما أشبه ذلك. وقد اعترفوا أن الوحي اتبع تلك في طور سيناء. فكذا لا بدّ أن يكون في ساعير وفاران.

البشارة الرابعة : في الآية العشرين من الباب السابع عشر من سفر التكوين وعد الله في حق اسمعيل عليه السلام لابراهيم عليه السلام. في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا : « وعلى اسمعيل استجيب لك. هوذا أباركه وأكبره وأكثره جداً. فسيلد اثني عشر رئيسا واجعله لشعب كبير ». وقوله اجعله لشعب كبير يشير الى محمد ﷺ. لأنه لم يكن في ولد اسمعيل مَنْ كان شعب كبير غيره. وقد قال الله تعالى ناقلا دعاء ابراهيم واسمعيل في حقه عليهم السلام في كلامه المجيد ايضاً : ﴿ **رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[1]. وقال الإمام القرطبي في الفصل الأول من القسم الثاني من كتابه : « وقد تفطن بعض النبهاء، ممن نشأ على لسان اليهود وقرأ بعض كتبهم، فقال يخرج مما ذكر من عبارة التوراة في موضعين اسم محمد ﷺ بالعدد على ما يستعمله اليهود فيما بينهم : الأول قوله (جدا جدا) بتلك اللغة (بمادماد). وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون. لأن الباء

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

اثنان، والميم أربعون، والألف واحد، والدال أربعة، والميم الثانية أربعون، والألف واحد، والدال أربعة. وكذلك الميم من محمد أربعون، والحاء ثمانية، والميم أربعون، والذال أربعة. والثاني قوله (لشعب كبير). بتلك اللغة (لغوي غدول) فاللام عندهم ثلاثون، والغين ثلاثة لأنه عندهم في مقام الجيم إذ ليس في لغتهم جيم ولا صاد، والواو ستة، والياء عشرة، والغين أيضا ثلاثة، والدال أربعة، والواو ستة، واللام ثلاثون، فمجموع هذه أيضا اثنان وتسعون ». انتهى كلامه بتلخيص ما. وعبد السلام كان من أحبار اليهود ثم أسلم في عهد السلطان المرحوم بايزيد خان وصنف رسالة صغيرة سماها بالرسالة الهادية فقال فيها : « ان أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير. وهو حرف أبجد. فان أحبار اليهود حين بنى سليمان النبي عليه السلام بيت المقدس اجتمعوا وقالوا يبقى هذا البناء أربعمائة وعشرة سنين، ثم يعرض له الخراب لأنهم حسبوا لفظة بزات ». ثم قال : « واعترضوا على هذا الدليل بان الباء في (بمادماد) ليست من نفس الكلمة، بل هي اداة حرف جيء به للصلة. فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية، ويقال ببمادماد. قلنا من المشهور عندهم إذا اجتمع الباآن أحدهما أداة والآخر من نفس الكلمة تحذف الأداة وتبقى التي هي من نفس الكلمة. وهذا شائع عندهم في مواضع غير معدودة فلا حاجة الى ايرادها ». انتهى كلامه بلفظه. أقول قد صرح العلماء بأن من أسمائه ﷺ « مادماد » كما في شفاء القاضي عياض.

البشارة الخامسة : الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين هكذا ترجمة عربية سنة ١٧٢٢ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ : « فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل، وإياه تنتظر الامم ». ترجمة عربية سنة ١٨١١ : « فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره، الى أن يجيء الذي هو له واليه تجتمع الشعوب ». ولفظ (الذي له الكل) أو (الذي هو له) ترجمة لفظ (شيلوه). وفي ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير فيما بينهم. وقد عرفت في الأمر السابع أيضا. وقال عبد السلام في الرسالة الهادية هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا

راسم من بين رجليه، حتى يجيء الذي له واليه تجتمع الشعوب. وفي هذه الآية دلالة على أن يجيء سيدنا (محمد) ﷺ بعد تمام حكم موسى وعيسى. لأن المراد من الحاكم هو موسى. لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى زمان موسى إلا موسى. والمراد من الراسم هو عيسى، لأنه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلا عيسى، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا محمد. فعُلم أن المراد من قول يعقوب في آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام، لأنه في آخر الزمان بعد مضي حكم الحاكم والراسم ما جاء إلا سيدنا محمد عليه السلام. ويدل عليه أيضا قوله حتى يجيء الذي له أي الحكم بدلالة مساق الآية وسياقها. وأما قوله (واليه تجتمع الشعوب) فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أن المراد منها هو سيدنا، لأنه ما اجتمع الشعوب إلا إليه. وإنما لم يذكر الزبور لأنه لا أحكام فيه، وداود النبي تابعٌ لموسى. والمراد من خبر يعقوب هو صاحب الأحكام ». انتهى كلامه بلفظه.

أقول إنما أراد من الحاكم موسى عليه السلام، لأن شريعته جبرية انتقامية. ومن الراسم عيسى عليه السلام، لأن شريعته ليست بجبرية ولا انتقامية. وإن أريد من القضيب السلطنة الدنيوية ومن المدبر الحاكم الدنيوي، كما يفهم من رسائل القسيسين من فرقة پروتستنت ومن بعض تراجمهم، فلا يصح أن يراد بشيلوه مسيح اليهود، كما هو مزعومهم، ولا عيسى عليه السلام كما هو مزعوم النصارى. أما الأول فظاهر لأن السلطنة الدنيوية والحاكم الدنيوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفي سنة من عهد بختنصر، ولم يسمع الى الآن حسيس مسيح اليهود. وأما الثاني فلأنهما زالتا من آل يهوذا أيضا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة من عهد بختنصر وهو أجلى بني يهوذا الى بابل وكانوا في الجلاء ثلاثا وستين سنة لا سبعين، كما يقول بعض علماء پروتستنت تغليطا للعوام. وقد عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول، ثم وقع عليهم في عهد انتيوكس ما وقع، فانه عزل أونياس حبر اليهود وباع منصبه لأخيه ياسون بثلثمائة وستين وزنة ذهب يقدمها له خراجا كل سنة، ثم عزله وباع ذلك لأخيه مينالاوس بستمائة وستين وزنة، ثم شاع خبر موته، فطلب ياسون أن يسترد لنفسه الكهنوت ودخل أورشليم بألوف من الجنود

فقتل كل من كان يظنه عدوّاً له. وهذا الخبر كان كاذبا فهجم انتيوكس على أورشليم وامتلكها ثانية في سنة ١٧٠ قبل ميلاد المسيح، وقتل من أهلها أربعين ألفا وباع مثل ذلك عبيدا. وفي الفصل العشرين من الجزء الثاني من مرشد الطالبين في بيان الجدول التاريخي في الصفحة ٤٨١ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٢ من الميلاد « أنه نهب أورشليم وقتل ثمانين ألفا ». انتهى وسلب ما كان في الهيكل من الامتعة النفيسة التي كانت قيمتها ثمانمائة وزنة ذهب، وقرَّب خنزيرة وقوداً على المذبح للاهانة، ثم رجع الى انطاكية، وأقام فيلبس أحد الأراذل حاكما على اليهودية. وفي رحلته الرابعة الى مصر أرسل أبولوينوس بعشرين ألفا من جنوده وأمرهم أن يخربوا أورشليم ويقتلوا كل من بها من الرجال ويسبوا النساء والصبيان. فانطلقوا الى هناك، وبينما كان الناس في المدِينة مجتمعين للصلاة يوم السبت هجموا عليهم على غفلة فقتلوا الكل إلا مَنْ أفلت الى الجبال واختفى في المغاير، ونهبوا أموال المدينة وأحرقوها وهدموا أسوارها وأخربوا منازلها، ثم ابتنوا لهم من بسائط ذلك الهدم قلعة حصينة على جبل اكرا. وكانت العساكر تشرف منها على جميع نواحي الهيكل، ومَنْ دنا منه يقتلونه. ثم أرسل انتيوكس اثانيوس ليعلِّم اليهود طقوس عبادة الأصنام اليونانية ويقتل كل مَنْ لا يمتثل ذلك الأمر. فجاء اثانيوس الى أورشليم وساعده على ذلك بعض اليهود الكافرين، وأبطل الذبيحة اليومية ونسخ كل طاعة للدين اليهودي عموما وخصوصا، وأحرق كل ما وجده من نسخ كتب العهد العتيق بالفحص التام، وكرس الهيكل للمشتري ونصب صورة ذلك على مذبح اليهود، وأهلك كل مَنْ وجده مخالف أمر انتيوكس. ونجا متاثياس الكاهن مع أبنائه الخمسة في هذه الداهية وفروا الى وطنهم مودين في سبط دان، فانتقم من هؤلاء الكفار انتقاما ما قدروا عليه على استطاعته، كما هو مُصرح به في التواريخ. فكيف يَصْدُقُ هذا الخبر على عيسى عليه السلام ؟ وإن قالوا أن المراد ببقاء السلطنة والحكومة امتياز القوم، كما يقول بعضهم الآن، قلنا هذا الأمر كان باقيا الى ظهور محمد ﷺ، وكانوا في أقطار العرب ذوي حصون وأملاك غير مطيعين لأحد مثل يهود خيبر وغيرهم، كما يشهد به التواريخ، وبعد ظهور محمد ﷺ ضُربت عليهم

الذلة والمسكنة وصاروا في كل اقليم مطيعين للغير . فالاليق أن يكون المراد بشيلوه النبي ﷺ لا مسيح اليهود ولا عيسى عليه السلام.

البشارة السادسة : الزبور الخامس والأربعون هكذا : « فاض قلبي كلمة صالحة. انا أقول أعمالي للملك ١ لساني قلم كاتب سريع الكتابة ٢ بهي في الحسن أفضل من بني البشر ٣ انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله الى الدهر ٤ تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك ٥ أستله وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق، وتهديك بالعجب يمينك ٦ نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك، الشعوب تحتك يسقطون ٧ كرسيك، يا الله، الى دهر الداهرين، عصا الاستقامة عصا ملكك ٨ أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك ٩ المر والميعة والسليخة من ثيابك، من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك ١٠ بنات الملوك في كرامتك، قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى ١١ اسمعي يا بنت وانظري وانصتي بأذنيك وانسي شعبك وبنت أبيك ١٢ فيشتهي الملك حسنك لأنه هو الرب الهك وله تسجدين ١٣ بنات صور يأتينك بالهدايا، لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب ١٤ كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى ١٥ يبلغن الى الملك عذارى في أثرها قريباتها اليك يقدمن ١٦ يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك ١٧ ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض ١٨ سأذكر اسمك في كل جيل وجبل، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب الى الدهر، والى دهر الداهرين ». وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب، أن داود عليه السلام يبشر في هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمانه، ولم يظهر الى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفا بالصفات المذكورة في هذا الزبور. ويدَّعي علماء پروتستنت أن هذا النبي عيسى عليه السلام. ويدَّعي أهل الإسلام سلفاً وخلفاً أن هذا النبي محمد ﷺ. فأقول أنه ذُكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشَّر به هذه الصفات : /١/ كونه حسنا. /٢/ كونه أفضل البشر. /٣/ كون النعمة منسكبة على شفتيه. /٤/ كونه مباركاً الى الدهر. /٥/ كونه متقلدا بالسيف. /٦/ كونه قويا. /٧/ كونه

ذا حق ودعة وصدق. /٨/ كونه هداية يمينه بالعجب. /٩/ كون نبله مسنونة. /١٠/ سقوط الشعب تحته. /١١/ كونه محبا للبر ومبغضا للإثم. /١٢/ خدمة بنات الملوك اياه. /١٣/ اتيان الهدايا اليه. /١٤/ انقياد كل أغنياء الشعب له. /١٥/ كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم. /١٦/ كون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل. /١٧/ مدح الشعوب اياه الى دهر الداهرين. وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد ﷺ على أكمل وجه.

أما الأول فلأن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ. كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدار ». وعن أم معبد رضي الله عنها قالت في بعض ما وصفته به : « أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ». **وأما الثاني** فلأن الله تعالى قال في كلامه المحكم ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾[1] الآية. وقال أهل التفسير : أراد بقوله (ورفع بعضهم درجات) محمدا ﷺ، أي رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة. وقد أشبع الكلام في تفسير هذه الآية الإمام الهمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير. وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ». أي لا أقول ذلك فخراً لنفسي، بل تحدثاً بنعمة ربي. **وأما الثالث** فغير محتاج الى البيان حتى أقر بفصاحته الموافق والمخالف. وقال الرواة في وصف كلامه أنه كان أصدق الناس لهجةً، فكان من الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل. **وأما الرابع** فلأن الله تعالى قال : ﴿ **انَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ** ﴾[2] وألوف ألوف من الناس يصلون عليه في الصلوات الخمس. وأما الخامس فظاهر. وقد قال هو بنفسه « أنا رسول الله بالسيف ». **وأما السادس** فكانت قوّته الجسمانية على الكمال، كما ثبت أن ركانة خلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم،

(١) سورة البقرة (٢٥٣).

(٢) سورة الاحزاب (٥٦).

فقال : يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ فقال : لو أعلم والله ما تقول حقا لاتبعتك. فقال : أرأيت أن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم. فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئاً، ثم قال : يا محمد عُدْ. فصرعه أيضا. فقال يا محمد ان ذا لعجبٌ. فقال ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت ان أريكه، ان اتقيت الله وتبعت أمري. قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة. فدعاها، فاقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ، فقال لها : ارجعي مكانك. فرجع ركانة الى قومه، فقال يا بني عبد مناف، ما رأيت أسحر منه. ثم أخبرهم بما رأى. وركانة هذا كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين. وأما شجاعته فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ ». وقال علي كرم الله وجهه : « وإنّا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه. ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأسا ». **وأما السابع** فلأن الامانة والصدق من الصفات الجبلية له ﷺ، كما قال النضر بن الحرث لقريش : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر. لا والله ما هو بساحر ». وسأل هرقل عن حال النبي ﷺ أبا سفيان، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا. **وأما الثامن،** فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه، فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلا وأسراً. فامثال هذه من عجيب هداية يمينه. **وأما التاسع،** فلأن كون أولاد اسمعيل أصحاب النبل في سالف الزمان غير محتاج الى البيان. وكان هذا الأمر مرغوباً له، وكان يقول « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسهمه ». ويقول : « ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا ». ويقول عليه السلام « مَنْ تعلّم الرمي ثم تركه فليس منا ». **وأما العاشر،** فلأن الناس دخلوا أفواجاً أفواجاً في دين الله في مدة حياته. **وأما الحادي عشر،** فمشهور يعترف به المعاندون أيضا، كما عرفتَ في المسلك الثاني. **وأما الثاني عشر،** فقد

صارت بنات الملوك والأمراء خادمة للمسلمين في الطبقة الأولى، ومنها شهربانو بنت يزدجرد كسرى فارس، كانت تحت الإمام الهمام الحسين رضي الله عنه. **وأما الثالث عشر والرابع عشر** فلأن النجاشي ملك الحبشة ومنذر بن ساوي ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا، وهرقل قيصر الروم أرسل اليه بهدية، والمقوقس ملك القبط أرسل اليه ثلاث جوارٍ وغلاماً أسود وبغلة شهباء وحماراً أشهب وفرسا وثيابا وغيرها. وأما **الخامس عشر**، فقد وصل من أبناء الإمام الحسن رضي الله عنه الى الخلافة وألوف في أقاليم مختلفة من الحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها وفازوا بالسلطنة والإمارة العلية. والى الآن أيضا في ديار الحجاز واليمن وفي غيرهما توجد الامراء والحكام من نسله ﷺ. وسيظهر إن شاء الله المهدي رضي الله عنه من نسله، ويكون خليفة الله في الأرض، ويكون الدين كله لله في عهده الشريف. **وأما السادس عشر والسابع عشر** فلأنه ينادي ألوف ألوف جيلاً بعد جيل في الأوقات الخمسة بصوت رفيع في أقاليم مختلفة : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ». ويصلي عليه في الأوقات المذكورة الغير المحصورين من المصلين، والقراء يحفظون منشوره، والمفسرون يفسرون معاني فرقانه، والوعاظ يبلغون وعظه، والعلماء والسلاطين يصلون الى خدمته ويسلمون عليه من وراء الباب ويمسحون وجوههم بتراب روضته ويرجون شفاعته. ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام، كما يدعيه علماء بروتستنت ادعاءً باطلا، لأنهم يدّعون أن الخبر المندرج في الباب الثالث والخمسين من كتاب أشعيا في حق عيسى عليه السلام، ووقع في هذا الخبر في حقه هكذا : « ليس له منظر وجمال ورأيناه، ولم يكن له منظر واشتهيناه مهانا، وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبر بالأمراض، وكان مكتوما وجهه ومزدولا، ولم نحسبه ونحن حسبناه كأبرص، ومضروبا من الله ومخضوعا والرب شاء أن يستحقه ». وهذه الأوصاف ضد الأوصاف التي في الزبور المذكور، فلا يصدق عليه كونه حسنا ولا كونه قويا، وكذا لا يصدق عليه كونه متقلدا بالسيف، ولا كون نبله مسنونة، ولا انقياد الأغنياء، ولا إرسالهم إليه الهدايا، بل هو على زعم النصارى أخذوه وأهانوه واستهزؤا به

وضربوه بالسياط، ثم صلبوه. وما كان له زوجة ولا ابن فلا يصدق دخول بنات الملوك في بيته، ولا كون أبنائه بدل آبائه ورؤساء الأرض[1].

البشارة السابعة : في الزبور المائة والتاسع والأربعين هكذا : « سبحوا الرب تسبيحاً جديداً، سبحوه في مجمع الأبرار ٢ فليفرح اسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم ٣ فليسبحوا اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار ويرتلوا له ٤ لأن الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص ٥ تفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ٦ ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في أياديهم ٧ ليصنعوا انتقاما في الأمم وتوبيخات في الشعوب ٨ ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بأغلال من حديد ليضعوا بهم حِكما مكتوما ٩ هذا المجد يكون لجميع الأبرار ». ففي هذا الزبور عبّر عن المبشَّر به بالملك، وعن مطيعه بالأبرار، وذكر من أوصافهم افتخارهم بالمجد، وترفيع الله في حلوقهم وكون سيوف ذات فمين في أياديهم وانتقامهم من الأمم وتوبيخاتهم للشعوب وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والاغلال من حديد،

---

(١) ترجمة الآية الثامنة التي نقلتها مطابقة للترجمة الفارسيّة للزبور التي كانت عندي ولتراجم أردو للزبور، وموافقة لنقل مقدسهم بولس. لانه نقل هذه الآية في الباب الأول من رسالته العبرانية هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ : « أحببت البر وأبغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك ». والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١، وتراجم أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١، مطابقة للتراجم العربية فالترجمة التي تكون مخالفة لما نقلتُ تكون غير صحيحة ويكفي لردها الزاماً كلام مقدسهم، وقد عرفتَ في مقدمة الباب الرابع ان اطلاق لفظ الإله والرب وأمثالهما جاء على العوام، فضلا عن الخواص. والآية السادسة من الزبور الثاني والثمانين هكذا : « انا قلت انكم آلهة وبنو العلي كلكم ». فلا يرد ما قال صاحب مفتاح الأسرار انه وقع في الآية المذكورة هكذا : « أحببت البر وأبغضت الشر من أجل ذلك يا الله، مسح الهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك ». ولا يقال لشخص غير المسيح يا الله مسح الهك الخ. لانا لا نسلم أولا صحة ترجمته، لكونها مخالفة لكلام مقدسهم، وثانيا لو قطعنا النظر عن عدم صحتها، أقول ادعاؤه صريح البطلان لان لفظ الله ههنا بالمعنى المجازي لا الحقيقي، ويدل عليه قوله الهك. لأن الإله الحقيقي لا إله له. فاذا كان بالمعنى المجازي يصدق في حق محمد ﷺ كما يصدق في حق عيسى عليه السلام.

فأقول المبشَّر به محمد ﷺ وأصحابه. وليس المبشَّر به سليمان عليه السلام، لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه، على زعم أهل الكتاب، ولأنه صار مرتداً عابد الأصنام في آخر عمره على زعمهم ولا عيسى بن مريم عليهما السلام، لأنه بمراحل عن الأوصاف المذكورة فيه، لأنه أسر ثم قتل على زعمهم، وكذا أسر أكثر حواريه بالقيود والأغلال ثم قتلوا بايدي الملوك والأشراف والكفار.

البشارة الثامنة : في الباب الثاني والأربعين من كتاب أشعيا هكذا : « ٩ التي قد كانت أولاها قد أتت، وأنا مخبر أيضا بأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم اياها ١٠ سبحوا للرب تسبيحة جديدة. حمده من أقاصي الأرض راكبين في البحر وملؤه الجزائر وسكانهن ١١ يرتفع البرية ومدتها في البيوت نحل قيدار. سبحوا يا سكان الكهف من رؤس الجبال يصيحون ١٢ يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به في الجزائر ١٣ الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة، يصوت ويصيح، على أعدائه يتقوى ١٤ سكتُّ دائما صمتُ صبرتُ صبرا فاتكلمُ مثل الطائفة ما بدد وابتلع معا ١٥ اخرب الجبال والآكام وكل بناتهن اجفف، وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات اجففهن ١٦ وأقيد العمي في طريق لم يعرفوها، والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها أصير امامهم الظلمة نورا، والعقب سهلا. هذا الكلام صنعته لهم ولا أخذلهم ١٧ اندبروا الى ورائهم والمتكلمون على المنحوتة القائلون للمسبوكة انكم آلهتنا ليخزون خزيا » والآية السابعة عشر في الترجمة الفارسية هكذا : (كسانيكه برشكل تراشيده توكل دارند هزيمت وبشيمان تمام خواهند يافت). وظهر من الآية التاسعة ان أشعيا عليه السلام أخبر أولا عن بعض الأشياء، ثم يخبر عن الأخبار الجديدة الآتية في المستقبل. فالحال الذي يخبر عنه من هذه الآية الى آخر الباب غير الحال الذي أخبر عنه قبلها. ولذلك قال في الآية الثالثة والعشرين هكذا : « من هو نبيكم أن يسمع هذا يصغي ويسمع الآية ». والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري اشارة الى عموم نبوّته ﷺ. ولفظ (قيدار) أقوى اشارة اليه. لأن

محمدا ﷺ في أولاد قيدار بن اسمعيل. وقوله (من رؤس الجبال يصيحون) اشارة الى العبادة المخصوصة التي تؤدي في أيام الحج يصيح ألوف ألوف من الناس بلبيك اللهم لبيك. وقوله (حمده يخبرون به في الجزائر) اشارة الى الأذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم في الأوقات الخمسة بالجهر. وقوله (الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة) يشير الى مضمون الجهاد اشارة حسنة بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره خاليا عن حظوظ الهوس النفسانية. ولذلك عبر الله عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروجه. وبيَّن في الآية الرابعة عشر سبب مشروعية الجهاد، وأشار في الآية السادسة عشر الى حال العرب لأنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله، وكانوا يعبدون الأصنام وكانوا مبتلين بأنواع الرسوم القبيحة الجاهلية، كما قال الله تعالى في حقهم : ﴿ **وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[1] وقوله (لا أخذلهم) اشارة الى كون أمته مرحومة ﴿ **غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[2] والى تأبيد شريعته وقوله (والمتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة أنكم آلهتنا ليخزون خزيا) وَعْدٌ بأن عابدي الأصنام والأوثان كمشركي العرب وعابدي الصليب وصور القديسين يحصل لهم الخزي والهزيمة التامة. ووفى بما وعد فإن مشركي العرب وهرقل عظيم الروم وكسرى فارس ما قصروا في اطفاء النور الأحمدي، لكنهم ما حصل لهم سوى الخزي التام. وعاقبة الأمر لم يبق أثر الشرك في اقليم العرب، وزالت دولة كسرى مطلقا، وزالت حكومة أهل الصليب من الشام مطلقا. وأما في الأقاليم الأخر فمن بعضها انمحى أثره مطلقا كبخارى وكابل وغيرهما، ومن بعضها قلَّ كالهند والسند وغيرهما، وانتشر التوحيد شرقا وغربا.

البشارة التاسعة : في الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا : « ١ سبحي أيتها العاقر التي لست تلدين، انشدي بالحمد، وهللي التي لم

---

(١) سورة آل عمران (١٦٤).

(٢) سورة الفاتحة (٧).

تلدي من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من بني ذات رجل، يقول الرب ٢ أوسعي موضع خيمتك وسرادق مضاربك، ابسطي لا تشفقي طول حبالك، ثبتي أوتادك ٣ لأنك تنفذين يمنة ويسرة، وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن المخربة ٤ لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلين، فإنك لا تستحيين من أجل أنك خزي صبائك تنسين، وعار ترمُّلك لا تذكرين أيضا ٥ فإنه يتولى عليك الذي صنعك رب الجنود اسمه، وفاديك قدوس اسرئيل اله جميع الأرض يُدعى ٦ انما الرب دعاك مثل الامرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ الصبا مرذولة، قال الهك ٧ لساعة في قليل تركتك، وبرحمات عظيمة أجمعك ٨ في ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهي عنك، وبالرحمة الأبدية رحمتك، قال فاديك الرب ٩ مثلما في أيام نوح لي هذا الذي حلفت له أن لا أصب مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك ١٠ فان الجبال ترتجف، والتلال تزلزل، ورحمتي لا تزول عنك، وعهد سلامي لا يتحرك، قال رحيمك الرب ١١ فقيرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية، هاأناذا أبلط بالرتبة حجارتك وأوئسك بالسفير ١٢ وأجعل يسبا محاضك، وأبوابك حجارة منقوشة وجميع حدودك لاحجار مشتهية ١٣ جميع بنيك متعلمين من الرب، وكثرة السلام لبنيك ١٤ وبالبر تؤسسين فابتعدي في الظلم لأنك لا تخافين، ومن الهيبة لأنها لا تقرب منك ١٥ ها يأتي الجار الذي لم يكن معي والذي قد كان قريبا يقترب اليك ١٦ هاأناذا خلقتُ صائغا الذي ينفخ في النار جمراً ويخرج اناء لعمله، وأنا خلقت قتولا للاهلاك ١٧ كل اناء مجبول ضدك لا ينجح، وكل لسان يخالفك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وعدلهم عندي يقول الرب ». فأقول : المراد بالعاقر في الآية الأولى مكة المعظمة، لأنها لم يظهر منها نبي بعد اسمعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحي بخلاف أورشليم، لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون، وكثر فيها نزول الوحي. وبنو الوحشة عبارة عن أولاد هاجر، لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت، ساكنة في البر، ولذلك وقع في حق اسمعيل في وعد الله هاجر « هذا سيكون انسانا وحشيا »، كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر التكوين. وبنو ذات رجل عبارة

عن أولاد سارة، فخاطب الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر لأجل أن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها. ووفى بما وعد بأن بعث محمدا ﷺ رسولاً أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر. وهو المراد بالصائغ الذي ينفخ في النار جمراً، وهو القتول الذي خلق لإهلاك المشركين وحصل لها السعة بواسطة هذا النبي، وما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا، إذ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد ﷺ الى هذا الحين. والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة من مدة ألف ومائتين وثمانين لم يحصل لبيت المقدس إلا مرتين، مرة في عهد سليمان عليه السلام، لما فرغ من بنائه، ومرة في السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا. ويبقى هذا التعظيم لمكة الى آخر الدهر إن شاء الله، كما وعد الله بقوله لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلين لأنك لا تستحين، وبقوله برحمات عظيمة أجمعك وبالرحمة الأبدية رحمتك، وبقوله حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبِّخك، وبقوله رحمتي لا تزول عنك وعهد سلامي لا يتحرك. وملك زرعها شرقا وغربا، وورثوا الأمم وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة. ومثل هذه الغلبة في مثل هذه المدة القليلة لم يسمع من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد ﷺ لمن يدَّعي الدين الجديد. وهذا مفاد قول الله وزرعك يرث الامم ويعمر المدن الخربة. سلاطين الإسلام سلفا وخلفا اجتهدوا اجتهادا تاما في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان غفر الله لأسلافهم ورضي الله عنهم. وزاد الله إقبال أخلافهم ووسع مملكتهم في الجهات، ووفقهم للعدل والحسنات، فهم خدموا ويخدمون الحرمين المعظمين أدام الله شرفهما من هذه المدة الى هذا الحين، كما هي حتى صار لقب خادم الحرمين الشريفين عندهم أشرف الألقاب وأعزها، والغرباء يحبون مجاورتها من ظهور الإسلام الى هذا الحين، سيما في هذا الزمان وألوف من الناس يصلون اليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة. ووفى بما وعد بقوله كل إناء مجبول

بضدك لا ينجح، لأن كل شخص من المخالف قام بضدها أذلّه الله، كما وقع باصحاب الفيل. رُوي أن ابرهة بن الصباح الأشرم لما ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف اليها الحاج وحلف أن يهدم الكعبة. فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قويا عظيماً وأفيال أخرى. فخرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل. فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح، واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول. فارسل الله طيراً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرّ ميتاً بين يديه. وقد أخبر الله عن حال هؤلاء في سورة الفيل. وبحسب الوعد المذكور لا يدخل الأعور الدجال مكة ويرجع خائبا، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

البشارة العاشرة : في الباب الخامس والستين من كتاب اشعيا هكذا : « ١ طلبني الذين لم يسألوني قبل، ووجدني الذين لم يطلبوني. قلت هانذا الى الأمة الذين لم يدعوا باسمي ٢ بسط يدي طول النهار الى شعب غير مؤمن الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ٣ الشعب الذي يغضبني أمام وجهي دائما، الذين يذبحون في البساتين ويذبحون على اللبن ٤ الذين يسكنون في القبور في مساجد الأوثان يرقدون، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس في آنيتهم ٥ الذين يقولون أبعد عني لا تقرب مني لأنك نجس، هؤلاء يكونون دخانا في رجزي نارا متقدة طول النهار ٦ ها مكتوب قدامي لا أسكت، بل أردُّ وأُكافىءُ جزاء في حضنهم ». فالمراد بالذين لم يسألوني والذين لم يطلبوني، العرب. لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه، فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له، كما قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ**

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] ولا يجوز أن يراد بهم اليونانيون، كما عرفت في البشارة الثانية. والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة يُصدقُ على كل واحد من اليهود والنصارى، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى، كما أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود، فردَّهم الباري واختار الأمة المحمدية.

البشارة الحادية عشر : في الباب الثاني من كتاب دانيال في حال الرؤيا التي رآها بختنصر ملك بابل ونسي، ثم بين دانيال عليه السلام بحسب الوحي، تلك الرؤيا وتفسيرها : « ٣١ فكنت أنت الملك ترى وإذ تمثال واحد جسيم، وكان التمثال عظيماً ورفيع القامة واقفا قبالك ومنظره مخوفا ٣٢ رأس هذا التمثال هو من ذهب ابريز، والصدر والذراعان من فضة، والبطن والفخذان من نحاس ٣٣ والساقان من حديد، والقدمان قسم منهما من حديد وقسم منها من خزف ٣٤ فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لابيدين، وضرب التمثال في قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما ٣٥ فانسحق حينئذ مع الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب، وصارت كغبار البيدر في الصيف، فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان والحجر الذي قد ضرب التمثال صار جبلا عظيماً وملأ الأرض بأسرها ٣٦ فهذا هو الحلم، وتنبيء أيضا قدامك يا أيها الملك بتفسيره ٣٧ أنت هو ملك الملوك، وإله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد ٣٨ وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل، وأعطى بيدك طير السماء أيضا، وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك، فانت هو الرأس من الذهب ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس وتتسلط على جميع الأرض ٤٠ والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد، كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع، هكذا هي تسحق وتكسر جميع هذه ٤١ اما فيما رأيت قسم

---

(١) سورة آل عمران (١٦٤).

القدمين وأصابعهما من الخزف الفاخوري، وقسما من حديد، تكون المملكة مفترقة، وان كان يخرج من نصبة الحديد حسبما رأيت الحديد مختلطاً بالخزف من طين ٤٢ وأصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف، فتكون المملكة بقسم صلبة وبقسم مسحوقة ٤٣ فيما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين إنهم يختلطون بزرع بشري، بل لا يتلاصقون مثل ما ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف ٤٤ فاما في أيام تلك الممالك يبعث اله السماء مملكة وهي لن تنقضي قط، ملكها لا يُعطى لشعب آخر، وهي تسحق وتفني جميع هذه الممالك أجمعين، وهي تثبت الى الأبد ٤٥ وكما رأيت أن من جبل انقطع حجر لابيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب، فالإله العظيم أظهر للملك ما سيأتي من بعد. والحلم هو حقيقي وتفسيره صحيح ». فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بختنصر، وبالمملكة الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر، كما هو مصرح به في الباب الخامس من الكتاب المذكور، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة الى سلطنة الكلدانيين. والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين، لأن قورش ملك ايران الذي هو بزعم القسيسين كيخسر وتسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة، فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض. والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلبوس الرومي الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلثمائة وثلاثين سنة. فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك، فبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور الساسانيين، ثم صارت قوية بعد ظهورهم، فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة. وتولد في عهد أنو شروان محمد بن عبدالله ﷺ وأعطاه السلطنة الظاهرية والباطنية. وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقا وغربا، وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها. فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي، وملكها لا يُعطى لشعب آخر، وسيظهر كمالها عن قريب في زمان الإمام الهمام المهدي رضي الله عنه. لكن الوهن والضعف يقع قبل ظهوره بمدة قليلة، كما يشاهد بعض علاماته الآن ثم

يزول بظهوره، ويكون الدين كله لله. فهذا الحجر الذي انقطع لابيدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيماً وملأ الأرض بأسرها هو محمد ﷺ.

البشارة الثانية عشر : نقل يهوذا الحواري في رسالته الخبر الذي تكلم به اخنوخ الرسول الذي كان سابعاً من آدم عليه السلام ومن عروجه الى ميلاد المسيح مدة ثلاثة آلاف وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخيهم، وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ : « الرب قد جاء في ربواته المقدسة ليدائن الجميع ويبكت جميع المنافقين على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها، وعلى كل الكلام الصعب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون ». وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع ان استعمال للفظ الرب بمعنى المخدوم والمعلم شائع، فلا حاجة الى الاعادة. وأما لفظ المقدس أو القديس فيُطلق في العهدين على المؤمن الموجود في الأرض اطلاقا شائعا : /١/ الآية الأولى من الباب الخامس من سفر أيوب هكذا : « فادع الآن ان كان لك مجيب والى أحد من القديسين التفت ». فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون على الأرض. اما عند علماء پروتستنت فظاهر، واما عند علماء كاتلك فلأن مطهرهم الذي هو موضع آلام أرواح الصالحين الى أن يحصل لها النجاة بمغفرة البابا، وجد بعد المسيح عليه السلام، ولم يكن في زمن أيوب. /٢/ والآية الثانية من الباب الأول من الرسالة الأولى الى أهل قورنيثوس هكذا : « الى جماعة الله التي بقورنثية المقدسين بيسوع المسيح المدعوين قديسين ». الخ. فالمراد بالمقدسين والقديسين المؤمنون بالمسيح الموجودون في قورنثية. /٣/ والآية الثالثة عشر من الباب الثاني عشر من الرسالة الرومية هكذا : « مشاركين لحاجة القديسين ». الخ. /٤ و٥/ في الباب الخامس عشر منها هكذا : « ٢٥ ولكن الآن أنا ذاهب الى أورشليم لأخدم القديسين ٢٦ لأن أهل مكدونية واحائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعا لفرقاء القديسين الذين في أورشليم ». فالمراد بالقديسين في الموضعين المؤمنون الموجودون في أورشليم. /٦/ والآية الأولى من الباب الأول من الرسالة الى أهل فيلبسيوس هكذا : « من بولس وطيماثاوس عبدي يسوع المسيح الى جميع

القديسين بيسوع المسيح بفيلبسيوس ». الخ. فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون بفيلبسيوس. /٧/ ووقع في الآية العاشرة من الباب الخامس من الرسالة الأولى الى طيموثاوس في حال الشماسات هكذا : « غسلت أرجل القديسين ». فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون على الأرض بوجهين : **الأول**، أن القديسين الموجودين في السماء أرواح ليس لهم أرجل. **والثاني**، أن الشماسات لا يمكنهن العروج الى السماء. واذا عرفت استعمال لفظ الرب والمقدس أو القديس، فأقول أن المراد بالرب محمد ﷺ، وبالربوات المقدسة الصحابة. والتعبير عن مجيئه بقد جاء لكونه أمرا يقينياً. فجاء محمد ﷺ في ربواته المقدسة، فدان الكفار وبكت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله، فبكت المشركين لعدم تسليم توحيد الله ورسالة رسله مطلقا وعبادتهم الأصنام والأوثان، وبكت اليهود على تفريطهم في حق عيسى ومريم عليهم السلام وبعض عقائدهم الواهية، وبكت أهل التثليث مطلقا على تفريطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى عليه السلام، وبكت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهية.

البشارة الثالثة عشر : في الباب الثالث من انجيل متى هكذا : « ١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية ٢ قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ». وفي الباب الرابع من انجيل متى هكذا : « ١٢ ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف الى الجليل ١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت. الخ ». وفي الباب السادس من انجيل متى في بيان الصلاة التي علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « ليأت ملكوتك ». ولما أرسل الحواريين الى البلاد الاسرائيلية للدعوة والوعظ، وصاهم بوصايا منها هذه الوصية أيضا : « وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات ». كما هو مُصرح به في الباب العاشر من انجيل متى. ووقع في الباب التاسع من انجيل لوقا هكذا : « ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوّة وسلطانا على جميع

الشياطين وشفاء أمراض ٢ وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، يشفوا المرضى ». وفي الباب العاشر من انجيل لوقا هكذا : « وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم الخ. فقال لهم الخ. ٨ وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم ٩ واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله ١٠ وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا ١١ حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم، ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله ». فظهر أن كلا من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السموات، وبشر عيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشر بها يحيى عليه السلام. فعُلم أن هذا الملكوت، كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام، فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام، ولا في عهد الحواريين والسبعين، بل كلٌّ منهم مبشِّر به، ومخبرٌ عن فضله، ومترجٍّ لمجيئه. فلا يكون المراد بملكوت السموات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام. وإلا لما قاله عيسى عليه السلام والحواريون والسبعون، أن ملكوت السموات قد اقترب. ولما علَّم التلاميذ أن يقولوا في الصلاة (وليأت ملكوتك) لأن هذه طريقة قد ظهرت بعد ادِّعاء عيسى عليه السلام النبوّة بشريعته، فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ. فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة. ولفظ ملكوت السموات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنى قوانينه لا بدّ أن يكون كتاباً سماوياً. وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية. وما قال العلماء المسيحية ان المراد بهذا الملكوت شيوع الملة المسيحية في جميع العالم واحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام، فتأويل ضعيف خلاف الظاهر، ويرده التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام. وفي الباب الثالث عشر من انجيل متى مثلا قال : « يشبه ملكوت السموات انسانا زرع زرعاً جيداً في حقله ». ثم قال : « يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في حقله ». ثم قال : « يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في

ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ». فشبه ملكوت السموات بانسان زارع لا بنمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق. وكذا يرد هذا التأويل قول عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول في الباب الحادي والعشرين من انجيل متى هكذا : « لذلك أقول ان ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لامة تعمل أثماره ». فان هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السموات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها في جميع العالم واحاطتها كل العالم. وإلا لا معنى لنزع الشيوع والاحاطة من قوم واعطائهما لقوم آخرين. فالحق أن المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال عليه السلام في الباب الثاني من كتابه. فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوّة محمد ﷺ. والله أعلم وعلمه أتمّ.

البشارة الرابعة عشر : في الباب الثالث عشر من انجيل متى هكذا : « ٣١ قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في حقله ٣٢ وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتأوي في أغصانها ». فملكوت السماء طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ لأنه نشأ في قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادي غالبا وغير واقفين على العلوم والصناعات محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنيوية، سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر. فبعث الله منهم محمدا ﷺ فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، لكنها لعمومها نمت في مدة قليلة وصارت أكبرها وأحاطت شرقا وغربا حتى أن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيل شريعته.

البشارة الخامسة عشر : في الباب العشرين من انجيل متى هكذا : « ١ فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه ٢ فاتفق مع العملة على دينار في اليوم وأرسلهم الى كرمه ٣ ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما في السوق بطالين ٤ فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا ٥ وخرج أيضا نحو الساعة

السادسة والتاسعة وفعل كذلك ٦ ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين، فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ٧ قالوا له لأنهم لم يستأجرنا أحد. قال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ٨ فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين الى الأولين ٩ فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارا ديناراً ١٠ فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا ١١ وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت ١٢ قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ١٣ فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار ١٤ فخذ الذي لك واذهب فاني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك ١٥ أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي، أم عينك شريرة لأني أنا صالح ١٦ هكذا يكون الآخرون أوّلين والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون ». فالآخرون أمة محمد ﷺ، فهم يقدمون في الأجر وهم الآخرون الأولون، كما قال النبي ﷺ « نحن الآخرون السابقون ». وقال : « ان الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي ».

البشارة السادسة عشر : في الباب الحادي والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٣٣ اسمعوا مثلا آخر : كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر ٣٤ ولما قرب وقت الثمار، أرسل عبيده الى الكرامين وسافر ليأخذ أثماره ٣٥ فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ٣٦ ثم أرسل أيضا عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ٣٧ فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلا يهابون ابني ٣٨ وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ٣٩ فاخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ٤٠ فمتى جاء صاحب الكرام ماذا يفعل باولئك الكرامين ٤١ قالوا له أولئك الارديباء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها ٤٢ قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه

البناؤن هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا ٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ٤٥ ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ». أقول ان رب بيت كناية عن الله، والكرم كناية عن الشريعة، واحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي، وأن الكرامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن كناية عن عيسى عليه السلام. وقد عرفت في الباب الرابع أنه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه، وقد قتله اليهود أيضا في زعمهم. والحجر الذي رفضه البناؤن كناية عن محمد ﷺ، والأمة التي تعمل اثماره كناية عن أمته ﷺ، وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه يترضض وكلم من سقط هو عليه سحقه. وما ادعى العلماء المسيحية بزعمهم أن هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام، فغير صحيح لوجوه : **الأول**، أن داود عليه السلام قال الزبور المائة والثامن عشر هكذا : « ٢٢ الحجر الذي رذله البناؤن هو صار رأسا للزاوية ٢٣ من قبل الرب كان هذه، وهي عجيبة في أعيننا ». فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود عليه السلام، فأي عجب في أعين اليهود عموما لكون عيسى عليه السلام رأس الزاوية سيما في عين داود عليه السلام خصوصا. لأن مزعوم المسيحيين أن داود عليه السلام يعظم عيسى عليه السلام في مزاميره تعظيما بليغاً ويعتقد الألوهية في حقه بخلاف آل اسمعيل لأن اليهود كانوا يحقرون أولاد اسمعيل غاية التحقير، وكان كون أحد منهم رأسا للزاوية عجيباً في أعينهم. **والثاني**، أنه وقع في وسط هذا الحجر من سقط على هذا الحجر يترضض وكل من سقط هو عليه سحقه. ولا يصدق هذا الوصف على عيسى عليه السلام لأنه قال : « وان سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم ». كما هو في الباب الثاني عشر من انجيل يوحنا، وصدقه على محمد ﷺ غير محتاج الى البيان، لأنه كان مأموراً بتنبيه الفجار

الأشرار، فإن سقطوا عليه ترضضوا، وإن سقط هو عليهم سحقهم. **الثالث،** قال النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل ». ولما ثبتت نبوته بالأدلة الأخرى، كما ذكرتُ نبذاً منها في المسالك السابقة، فلا بأس بأن استدل في هذه البشارة بقوله أيضا. **والرابع،** أن المتبادر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن.

البشارة السابعة عشر : في الباب الثاني من المشاهدات هكذا : « ٢٦ ومن يغلب ويحفظ أعمالي الى النهاية فسأعطيه سلطانا على الأمم ٢٧ فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف، كما أخذت أيضا من عند أبي ٢٨ وأعطيه كوكب الصبح ٢٩ من له أذن فليسمع ما يقول الروح بالكنائس ». فهذا الغالب الذي أُعطي سلطاناً على الأمم ويرعاهم بالقضيب من حديد هو محمد ﷺ، كما قال الله في حقه : ﴿ **وَيَنْصُرُكَ اللهُ نَصْرَاً عَزِيزاً** ﴾[1] وقد سماه سطيح الكاهن صاحب الهراوة. رُوِيَ أن ليلة ولادته ﷺ انشق ايوان كسرى أنو شروان وسقط من ذلك أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة، ورأى الموبذان في نومه ان ابلاً صعاباً تقود خيلا عراباً فقطعت دجلة وانتشرت في بلادها. فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور وأرسل عبد المسيح الى سطيح الكاهن الذي كان في الشام، ولما وصل عبد المسيح اليه وجده في سكرات الموت، فذكر هذه الأمور عنده، فأجاب سطيح : « إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح مناما. يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ». ثم مات سطيح من ساعته ورجع عبد المسيح، فاخبر أنو شروان بما قال سطيح. قال كسرى : الى أن يملك أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور. فملك منهم

---

(١) سورة الفتح (٣).

عشرة في أربع سنين، وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه، فهلك آخرهم يزدجرد في خلافته. والهراوة بكسر الهاء العصا الضخمة. وكوكب الصبح عبارة عن القرآن. قال الله في سورة النساء : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورَاً مُبِيناً** ﴾[1] وفي سورة التغابن : ﴿ **فَآمِنُواْ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنْزَلْنَا** ﴾[2] قال صاحب صولة الضيغم بعد نقل هذه البشارة : « قلت للقسيسين ويت ووليم عند المناظرة ان صاحب هذا القضيب من حديد محمد ﷺ ، فاضطربا لسماع هذا الأمر، وقالا أن عيسى عليه السلام حكم بهذا الكنيسة ثياثيرا فلا بدّ أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك، ومحمد ﷺ ما راح هناك. قلت هذه الكنيسة في أية ناحية كانت ؟ فراجعا الى كتب اللغة وقالا كانت في أرض الروم قريبة من استانبول. قلت راح أصحاب محمد ﷺ في خلافة الفاروق الأعظم عمر رضي الله عنه الى هذه البلاد وفتحوها، وبعد الصحابة رضي الله عنهم كان المسلمون أيضا متسلطين عليها في أكثر الأوقات، ثم تسلط سلاطين آل عثمان أدام الله سلطنتهم من المدة المديدة، وهم متسلطون الى هذا الحين. فهذا الخبر الصريح في حق محمد ﷺ ». انتهى كلامه. قلت : الفاضل عباس علي الجاجموي الهندي صنف أولا كتابا كبيرا في رد أهل التثليث وسماه صولة الضيغم على أعداء ابن مريم، ثم ناظر هو رحمه الله ويت ووليم القسيسين في البلد كانفور من بلاد الهند وألزمهما، ثم اختصر كتابه وسمى المختصر خلاصة صولة الضيغم. ومناظرته كانت قبل أن ناظر صاحب ميزان الحق في أكبر آباد بمقدار اثنتين وعشرين سنة.

البشارة الثامنة عشر : وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب انجيل يوحنا. وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ في بلدة لندن، فأقول في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ١٥ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ١٦ وأنا أطلب من الاب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبد ١٧ روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه

---

(١) سورة النساء (١٧٤).

(٢) سورة التغابن (٨).

ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ٢٦ والفارقليط روح القدس الذي يرسله الاب باسمي، هو يعلمكم كل شي، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ٣٠ والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون ». وفي الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٢٦ فاما اذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق هو يشهد لأجلي ٢٧ وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء ». وفي الباب السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٧ لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فاما ان انطلقت أرسلته اليكم ٨ فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيةٍ وعلى برٍ وعلى حكم ٩ اما على الخطية فلانهم لم يؤمنوا بي ١٠ واما على البر فلأني منطلق الى الأب ولستم ترونني بعد ١١ وأما على الحكم فان أركون هذا العالم قد دِينَ ١٢ وإن لي كلاما كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ١٣ وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي ١٤ وهو يمجدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم ١٥ جميع ما هو للأب فهو لي. فمن أجل هذا قلت ان مما هو لي يأخذ ويخبركم ». وأنا أقدم، قبل بيان وجه الاستدلال بهذه العبارات، أمرين:

الأمر الأول : انك قد عرفتَ في الأمر السابع أن أهل الكتاب سلفا وخلفا عادتهم أن يترجموا غالباً الأسماء، وأن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني. فاذاً لا يبقى شك في أن الانجيلي الرابع ترجم اسم المبشَّر به باليوناني بحسب عادتهم. ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليوناني بفارقليط، وقد وصلتُ الى رسالة صغيرة في لسان أردو من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة وكانت هذه الرسالة طُبعت في كلكته، وكانت في تحقيق لفظ فارقليط، وادَّعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ فارقليط. وكان ملخص كلامه « ان هذا اللفظ معرَّب من اللفظ اليوناني. فان قلنا ان هذا اللفظ اليوناني الأصل پاراكلي طوس فيكون بمعنى المعزي والمعين والوكيل. وان قلنا أن اللفظ الاصل پيركلو طوس يكون قريبا من معنى محمد وأحمد. فمن

استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصل پيركلو طوس. ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد، فادَّعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد. لكن الصحيح أنه پارا كلي طوس ». انتهى ملخصا من كلامه. فأقول ان التفاوت بين اللفظين يسير جدا، وان الحروف اليونانية كانت متشابهة. فتبدل پيركلوطوس بيارا كلي طوس في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس. ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الاخر. ومَنْ تأمل في الباب الثاني من هذا الكتاب، والأمر السابع من هذا المسلك السادس بنظر الانصاف، اعتقد يقيناً بان مثل هذا الأمر من أهل الديانة من أهل التثليث ليس ببعيد، بل لا يبعد أن يكون من المستحسنات.

والأمر الثاني، أن البعض ادّعوا قبل ظهور محمد ﷺ أنهم مصاديق لفظ فارقليط. مثلا منتنس المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد وكان مرتاضاً شديداً واتقى عهده، ادّعى في قرب سنة ١٧٧ من الميلاد في آسيا الصغرى الرسالة، وقال اني هو الفارقليط الموعود به الذي وعد بمجيئه عيسى عليه السلام، وتبعه أناس كثيرون في ذلك، كما هو مذكور في بعض التواريخ. وذكر وليم ميور حاله وحال متبعيه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه بلسان اردو المطبوع سنة ١٨٤٨ من الميلاد هكذا : « أن البعض قالوا انه ادَّعى أني فارقليط، يعني المعزي روح القدس، وهو كان أتقى ومرتاضاً شديداً، ولأجل ذلك قبله الناس قبولا زائدا ». انتهى كلامه. فعُلم أن انتظار فارقليط كان في القرون الأولى المسيحية أيضا. ولذلك كان الناس يدعون أنهم مصاديقه، وكان المسيحيون يقبلون دعاويهم. وقال صاحب لب التواريخ « ان اليهود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنبيٍّ، فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم لأنه ادّعى أني هو ذاك المنتظر ». انتهى ملخص كلامه. فيُعلم من كلامه أيضا أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي ﷺ. وهو الحق لأن النجاشي ملك الحبشة لما وصل اليه كتاب محمد ﷺ فقال : « أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب ». وكتب الجواب، وكتب في الجواب : « أشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي

طالب وأسلمت على يديه لله رب العالمين ». وهذا النجاشي قبل الاسلام كان نصرانياً. وكتب المقوقس ملك القبط في جواب كتاب النبي ﷺ هكذا : « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك. أما بعد فقد قرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرت فيه وما تدعو اليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك ». والمقوقس هذا، وإن لم يسلم، لكنه أقرَّ في كتابه أني قد علمت أن نبياً قد بقي وكان نصرانياً. فهذان الملكان ما كانا يخافان في ذلك الوقت من محمد ﷺ لأجل شوكته الدنيوية. وجاء الجارود بن العلاء في قومه الى رسول الله ﷺ فقال : « والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق. والذي بعثك بالحق نبياً، لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشَّر بك ابن البتول، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين، مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ». ثم آمن قومه. وهذا الجارود كان من علماء النصارى. وقد أقرَّ بأنه قد بشَّر بك ابن البتول أي عيسى عليه السلام. فظهر أن المسيحيين أيضا كانوا منتظرين لخروج نبيّ بشَّر به عيسى عليه السلام.

فاذا علمت ذلك، فأقول ان اللفظ العبراني الذي قاله عيسى عليه السلام مفقود، واللفظ اليوناني الموجود ترجمة. لكني أترك البحث عن الأصل وأتكلم على هذا اللفظ اليوناني وأقول : إن كان اللفظ اليوناني الأصل پيركلوطوس، فالأمر ظاهر وتكون بشارة المسيح في حق محمد ﷺ بلفظ هو قريب من محمد وأحمد. وهذا وان كان قريب القياس بلحاظ عاداتهم، لكني أترك هذا الاحتمال لأنه لا يتمّ عليهم الزاماً. وأقول انْ كان اللفظ اليوناني الأصل پارا كلي طوس، كما يدعون، فهذا لا ينافي الاستدلال أيضا لأن معناه المعزي والمعين والوكيل على ما بين صاحب الرسالة أو الشافع، كما يوجد في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦. وهذه المعاني كلها تصدق على محمد ﷺ. وأنا أبين الآن **أولاً** أن المراد بفارقليط النبي المبشَّر به أعني محمداً ﷺ لا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذي جاء ذكره في الباب الثاني من كتاب الأعمال. وأذكر **ثانياً** شبهات العلماء المسيحية وأجيب عنها. فأقول :

[في أن الفارقليط المبشَّر به هو محمد ﷺ]

أما **الأول** فيدل عليه أمور : /١/ أن عيسى عليه السلام قال : « أولا إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ». ثم أخبر عن فارقليط. فمقصوده عليه السلام أن يعتقد السامعون بأن ما يُلقى عليهم بعد ضروريٌّ واجب الرعاية. فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة الى هذه الفقرة. لأنه ما كان مظنونا أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى، لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضا، بل لا مجال للاستبعاد أيضا. لأنه اذا نزل على قلب أحد وحلّ فيه يظهر أثره لا محالة ظهوراً بيناً. فلا يتصوّر إنكار المتأثر منه، وليس ظهوره عندهم في صورة يكون فيه مظنة يكون الاستبعاد، فهو عبارة عن النبي المبشَّر به. فحقيقة الأمر أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة وبنور النبوّة أن الكثيرين من أمته ينكرون النبي المبشَّر به عند ظهوره، فأكَّد أولا بهذه الفقرة ثم أخبر عن مجيئه. /٢/ ان هذا الروح متحد بالأب مطلقا وبالابن نظرا الى لاهوته اتحادا حقيقياً. فلا يصدق في حقه فارقليط آخر، بخلاف النبي المبشِّر. فانه يصدق هذا القول في حقه بلا تكلف. /٣/ إن الوكالة والشفاعة من خواص النبوّة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله. فلا يصدقان على الروح ويصدقان على النبي المبشَّر به بلا تكلف. /٤/ ان عيسى عليه السلام قال : « هو يذكركم كل ما قلته لكم ». ولم يثبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام، وهذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم اياه. /٥/ ان عيسى عليه السلام قال : « والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون ». وهذا يدل على أن المراد به ليس الروح. لأنك قد عرفتَ في الأمر الأول أنه ما كان عدم الايمان مظنوناً منهم وقت نزوله، بل لا مجال للاستبعاد أيضا. فلا حاجة الى هذا القول وليس من شأن الحكيم العاقل أن يتكلّم بكلام فضول فضلا عن شأن النبي العظيم الشأن فلو أردنا به النبي المبشَّر به يكون هذا الكلام في محله وفي غاية الاستحسان لأجل التأكيد مرة ثانية. /٦/ إن

عيسى عليه السلام قال: « هو يشهد لأجلي ». وهذا الروح ما شهد لأجله بين يدي أحد، لأن تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين الى الشهادة لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضا. فلا فائدة للشهادة بين أيديهم. والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة فهذا الروح ما شهد بين أيديهم. بخلاف محمد ﷺ، فانه شهد لأجل المسيح عليه السلام وصدقه وبرأه عن ادعاء الألوهية الذي هو أشد أنواع الكفر والضلال، وبرأ أمه عن تهمة الزنا. وجاء ذكر براءتهما في القرآن في مواضع متعددة في الأحاديث في مواضع غير محصورة. /٧/ أن عيسى عليه السلام قال « وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء ». وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا: « وتشهدون أنتم أيضا لأنكم كنتم معي من الابتداء ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا: « وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء ». فيوجد في هذه التراجم الثلاث لفظ أيضا. وكذا يوجد في التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١. وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤ ترجمة لفظ أيضا. فلفظ أيضا سقط من التراجم التي نقلت عنها عبارة يوحنا سهوا أو قصدا. فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط. فلو كان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد مغايرة الشهادتين لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين، بل شهادة الحواريين هي شهادته بعينها. لأن هذا الروح، مع كونه الها متحداً بالله اتحاداً حقيقياً بريأً من النزول والحلول والاستقرار والشكل التي هي من عوارض الجسم والجسمانيات، نزل مثل ريح عاصفة وظهر في أشكال السنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم يوم الدار، فكان حالهم كحال من عليه أثر الجن. فكما ان قول الجن يكون قوله في تلك الحالة، فكذلك كانت شهادة الروح هي شهادة الحواريين. فلا يصح هذا القول بخلاف ما إذا كان المراد به النبي المبشَّر به، فان شهادته غير شهادة الحواريين. /٨/ أن عيسى عليه السلام قال: « إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط. فاما ان انطلقت أرسلته اليكم ». فعلق مجيئه بذهابه. وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لما

أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية. فنزوله ليس بمشروط بذهابه. فلا يكون مراداً بفارقليط، بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده، وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام. ومحمد ﷺ كان كذلك، لأنه جاء بعد ذهاب عيسى عليه السلام، وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام، لأن وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير جائز، بخلاف ما إذا كان الآخر متبعاً لشريعة الأول، أو يكون كل من الرسل متبعاً لشريعة واحدة. لأنه يجوز في هذه الصورة وجود اثنين أو أكثر في زمان واحد ومكان واحد، كما ثبت وجودهم ما بين زمان موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام. /٩/ ان عيسى عليه السلام قال: « يوبخ العالم ». فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ لأنه وبخ العالم، سيما اليهود، على عدم ايمانهم بعيسى عليه السلام توبيخاً لا يشك فيه الا معاند بحت. وسيكون ابنه الرشيد محمد المهدي رفيقاً لعيسى عليه السلام في زمان قتل الدجال الأعور ومتابعيه. بخلاف الروح النازل يوم الدار، فإن توبيخه لا يصح على أصول أحد. وما كان التوبيخ منصب الحواريين بعد نزوله أيضا، لأنهم كانوا يدعون الى الملة بالترغيب والوعظ. وما قال رانكين في كتابه المسمى بدافع البهتان الذي هو بلسان اردو في رده على خلاصة صولة الضيغم: « أن لفظ التوبيخ لا يوجد في الانجيل ولا في ترجمة من تراجم الانجيل. وهذا المستدل أورد هذا اللفظ ليصدق على محمد صدقاً بينا لأجل ان محمدا ﷺ وبخ وهدد كثيراً، إلا أن مثل هذا التغليط ليس من شأن المؤمنين والخائفين من الله ». انتهى كلامه. فمردود. وهذا القسيس إما جاهل غالط أو مغلط ليس له ايمان ولا خوف من الله. لأن هذا اللفظ يوجد في التراجم العربية المذكورة التي نقلت عنها عبارة يوحنا وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ في الرومية العظمى وعبارة الترجمة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ هكذا: « ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية الخ. ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١ يوجد لفظ الالزام. ولفظ التبكيت والالزام أيضا قريبان من التوبيخ، لكن لا شكاية منه لأن مثل هذا

الأمر من عادات علماء پروتستنت. ولذلك ترى أن مترجمي الفارسية واردو تركوا لفظ فارقليط لشهرته عند المسلمين في حق محمد ﷺ ومترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ فان هؤلاء أسلافه أيضا حيث أرجع الى الروح ضمائر المؤنث ليحصل الاشتباه للعوام أن مصداق هذا اللفظ مؤنث وليس بمذكر. /١٠/ قال عيسى عليه السلام: « اما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي ». وهذا يدل على أن فارقليط يكون ظاهراً على منكري عيسى عليه السلام موبخا لهم على عدم الايمان به. والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهرا على الناس موبخاً لهم. /١١/ قال عيسى عليه السلام: « ان لي كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ». وهذا ينافي ارادة الروح النازل يوم الدار، لأنه ما زاد حكم على أحكام عيسى عليه السلام، لأنه على زعم أهل التثليث كان أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله. فأي أمر حصل لهم أزيد من أقواله التي قال لهم الى زمان صعوده ؟ نعم بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة التي هي ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج، وحللوا جميع المحرمات. وهذا الأمر لا يجوز في حقه أن يقال أنهم ما كانوا يستطيعون حمله لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة الذي كان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحاً موعودا به لأجل عدم مراعاته هذا الحكم. فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم. نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الإيمان وضعف القوة الى زمان صعوده، كما يعترف به علماء پروتستنت، كان خارجا عن استطاعتهم. فظهر أن المراد بفارقليط نبي تزاد في شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء وهو محمد ﷺ. /١٢/ أن عيسى عليه السلام قال: « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ». وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل. فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقه. فقال هذا القول. ولا مجال لمظنة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار، على أن هذا الروح عندهم عين الله فلا معنى لقوله بل يتكلم بما يسمع. فمصداقه محمد ﷺ، فانه كان في حقه مظنة التكذيب

وليس هو عين الله، وكان يتكلم بما يوحي اليه كما قال الله تعالى ﴿ **وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوْحَى** ﴾[1] وقال (ان أتبع إلا ما يوحى الي). /١٣/ ان عيسى عليه السلام قال : « أنه يأخذ مما هو لي ». وهذا لا يصدق على الروح لأنه عند أهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال منتظر، بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل. فلا بدّ أن يكون الموعود به من الجنس الذي يكون له كمال منتظر. ولما كان هذا الكلام موهما أن يكون هذا النبي متبعا لشريعته دفعه بقوله فيما بعد « جميع ما للأب فهو لي. فلأجل هذا قلت مما هو لي يأخذ ». يعني أن كل شيء يحصل لفارقليط من الله، فكأنه يحصل مني، كما اشتهر مَنْ كان لله كان الله له. فلأجل هذا قلتُ إن مما هو لي يأخذ.

[في أن شبهات پروتستنت ادِّعاءات باطلة]

وأما **الثاني** أعني الشبهات التي تورد علماء يروتستنت فخمسة :

الشبهة الأولى : جاء في هذه العبارة تفسير فارقليط بروح القدس وروح الحق، وهما عبارتان عن الاقنوم الثالث. فكيف يصح أن يُراد بفارقليط محمد ﷺ ؟ **أقول** في الجواب أن صاحب ميزان الحق يدّعي في تأليفاته كون ألفاظ روح الله، وروح القدس، وروح الحق، وروح الصدق، وروح فم الله، بمعنى واحد. قال في الفصل الأول من الباب الثاني من مفتاح الأسرار في الصفحة ٥٣ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « إن لفظ روح الله ولفظ روح القدس في التوراة والانجيل بمعنى واحد ». انتهى. فادّعى أن

---

(١) سورة النجم (٣).

هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد في العهدين. وقال في حل الاشكال في جواب كشف الاستار : « مَنْ له شعور ما بالتوراة والانجيل فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله. فلذلك ما رأيت اثباته ضروريا ». انتهى. فاذا عرفتَ هذا القول، نحن نقطع النظر عن صحة ادعائه وعدم صحته ههنا، ونسلم ترادف هذه الألفاظ على زعمه. لكنا ننكر أن استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث. ونقول قولا مطابقا لقوله « مَنْ له شعور ما بكتب العهدين يعرف ان هذه الألفاظ تستعمل في غير الأقنوم الثالث كثيراً. في الآية الرابعة عشر من الباب السابع والثلاثين من كتاب حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال عليه السلام هكذا : « فاعطي فيكم روحي ». ففي هذا القول روح الله بمعنى النفس الناطقة الانسانية، لا بمعنى الأقنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا ترجمة عربية سنة ١٧٦٠ : « ١ أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله لأن الأنبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم ٢ بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فهو من الله ٦ نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال ». وهذه الجملة الواقعة في الآية الثانية (بهذا تعرفون روح الله) وفي التراجم الأخر هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ (وبهذا يعرف روح الله) ترجمة عربية سنة ١٨٢٥ (فانكم تميزون روح الله) ولفظ (روح الله) في الآية الثانية ولفظ (روح الحق) في الآية السادسة بمعنى الواعظ الحق لا بمعنى الأقنوم الثالث. ولذلك ترجم مترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٤٥ لفظ (كل روح) بكل واعظ ولفظ (الأرواح) بالواعظين، في الآية الأولى. ولفظ (روح) في الآية الثانية بالواعظ من جانب الله، ولفظ (روح الحق) في الآية السادسة بالواعظ الصادق، وترجم لفظ (روح الضلال) بالواعظ المضل. وليس المراد (بروح الله وروح الحق) الأقنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم، وهو ظاهر. فتفسير فارقليط

بروح القدس وروح الحق لا يضرنا، لأنهما بمعنى الواعظ الحق. كما أن لفظ (روح الحق وروح الله) بهذا المعنى في الرسالة الأولى ليوحنا فيصح اطلاقهما على محمد ﷺ بلا ريب.

الشبهة الثانية : ان المخاطبين بضمير (كم) الحواريون. فلا بدّ أن يظهر فارقليط في عهدهم. ومحمد ﷺ لم يظهر في عهدهم. **أقول** هذا أيضا ليس بشيء لأن منشأه ان الحاضرين وقت الخطاب لا بدّ أن يكونوا مرادين بضمير الخطاب. وهو ليس بضروري في كل موضع ألا ترى أن قول عيسى عليه السلام في الآية الرابعة والستين من الباب السادس والعشرين من إنجيل متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع هكذا : « وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء ». وهؤلاء المخاطبون قد ماتوا، ومضت على موتهم مدة هي أزيد من ألف وثمانمائة سنة، وما رأوه آتياً على سحاب السماء. فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء، فكذلك فيما نحن فيه المراد الذين يوجدون وقت ظهور فارقليط.

الشبهة الثالثة: انه وقع في حق فارقليط أن العالم لا يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه. وهو لا يصدق على محمد ﷺ، لأن الناس رأوه وعرفوه. **أقول** هذا أيضا ليس بشيء وهم أحوج الناس تأويلا في هذا القول بالنسبة الينا. لأن روح القدس عين الله عندهم، والعالم يعرف الله أكثر من معرفة محمد ﷺ. فلا بدّ أن نقول ان المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة. ففي صورة التأويل لا اشتباه في صدق هذا القول على محمد ﷺ. ويكون المقصود أن العالم لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة، وأنتم تعرفونه معرفة حقيقية كاملة. والمراد بالرؤية المعرفة. ولذا لم يعد عيسى عليه السلام لفظ (الرؤية) بعد لفظ (أنتم) بل قال (وأنتم تعرفونه). ولو حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفي الرؤية محمولا على ما هو المراد في قول الانجيلي الأول في الباب الثالث عشر من انجيله. وأنقل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ : « ١٣ فلذلك أضرب لهم الأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون، ويسمعون ولا يستمعون ولا يفهمون ١٤ وقد كمل فيهم تنبأ اشعيا حيث قال

أنكم تستمعون سمعا ولا تفهمون، وتنظرون نظرا ولا تبصرون ». فلا اشكال أيضا. وأمثال هذين الأمرين، وإن كانت معاني مجازية، لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية، ووقعت في كلام عيسى عليه السلام كثيرا. في الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي عشر من انجيل متى هكذا : « وليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومَنْ أراد الابن أن يعلن له ». وفي الآية الثامنة والعشرين من الباب السابع من انجيل يوحنا هكذا : « الذي أرسلني حق الذي أنتم لستم تعرفون ». وفي الباب الثامن من انجيل يوحنا هكذا : « ١٩ لستم تعرفوني أنا ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضا ٥٥ ولستم تعرفونه أي الله ». الخ. وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « أيها الآب إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك ». وفي الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٧ لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ٨ قال له فيلبس يا سيد أرنا الاب وكفانا ٩ قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدتي ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الأب. فكيف تقول أنت أرنا الاب ». فالمراد في هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة. وإلا لا تصح هذه الأقوال يقينا. لأن العوام من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام، فضلا عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايخ والحواريين، ورؤية الله بالبصر في هذا العالم ممتنعة عند أهل التثليث أيضا.

الشبهة الرابعة : انه وقع في حق فارقليط « أنه مقيم عندكم وثابت فيكم ». ويظهر من هذا القول أن فارقليط كان في وقت الخطاب مقيما عند الحواريين وثابتا فيهم. فكيف يصدق على محمد ﷺ ؟ **أقول** ان هذا القول في التراجم الأخرى هكذا ترجمة عربية سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ « لأنه مستقر معكم وسيكون فيكم ». والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٤١، وترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٣٩، كلها مطابقة لهاتين الترجمتين، وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ماكث معكم ويكون فيكم ». فظهر أن المراد بقوله ثابت فيكم الثبوت الاستقبالي يقيناً. فلا اعتراض به لوجه من الوجوه. وبقي

قوله مقيم عندكم. فأقول لا يصح حمل هذا القول على معنى (هو مقيم عندكم الآن) لأنه ينافي قوله : « أنا أطلب من الاب فيعطيكم فارقليط آخر ». وقوله « قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون ». وقوله « ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ». واذا أُوِّل نقول انه بمعنى الاستقبال. كما أن القول الذي بعده بمعنى الاستقبال. ومعناه يكون مقيما عندكم في الاستقبال. فلا خدشة في صدقه أيضا على محمد ﷺ. والتعبير عن الاستقبال بالحال بل بالماضي في الأمور المتيقنة كثير في العهدين.ألا ترى أن حزقيال عليه السلام أخبر أولا عن خروج يأجوج ومأجوج في الزمان المستقبل واهلاكهم حين وصولهم الى جبال اسرائيل، ثم قال في الآية الثامنة من الباب التاسع والثلاثين من كتابه هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الرب الإله : هذا هو اليوم الذي قلت عنه ». فانظروا الى قوله (ها هو جاء وصار) وهذا القول في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩ هكذا (ابنك رسيد وبوقوع يبوست). فعبر عن الحال المستقبل بالماضي لكونه يقينا لا شك فيه. وقد مضت مدة أزيد من ألفين وأربعمائة وخمسين سنة ولم يظهر خروجهم. وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب الخامس من انجيل يوحنا هكذا : « الحق الحق أقول عليكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون ». فانظروا الى قوله (وهي الآن) وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمانمائة ولم تجيء هذه الساعة، والى الآن أيضا مجهولة لا يعرف أحد متى تجيء.

الشبهة الخامسة : في الباب الأول من كتاب الأعمال هكذا : « ٤ وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب الذي سمعتموه مني ٥ لأن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير ». وهذا يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار، لأن المراد بوعد الاب هو فارقليط. **أقول** الادعاء بان المراد بموعد الاب هو فارقليط، ادعاء محض، بل هو غلط، لثلاثة عشر وجها. وقد عرفتها. بل الحق أن الاخبار عن فارقليط شيء، والوعد بانزال الروح عليه مرة أخرى شيء آخر، وقد وفى الله بالوعدين وقد عبر بالوعد الأول بمجيء

فارقليط، وههنا بموعد الاب. غاية الأمر أن يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون، ولوقا نقل موعد نزول الروح الذي نزل يوم الدار، ولم ينقله يوحنا، ولا بأس فيه. فانهم قد يتفقون في نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب الى أورشليم، اتفق على نقله الأربعة. وقد يتخالفون في نقل الأحوال العظيمة. ألا ترى أن لوقا انفرد بذكر احياء ابن الارملة من الأموات في نايين، وبذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذا، وبذكر ابراء عشرة برص، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الانجيليين، مع أنها من الحالات العظيمة. وأن يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس في قانا الجليل، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمرا، وهذه المعجزة أول معجزاته وسبب ظهور مجده وايمان التلاميذ به، وبذكر ابراء السقيم في بيت صيدا في أورشليم، وهذه ايضا معجزة عظيمة، والمريض كان مريضا من ثمان وثلاثين سنة، وبذكر قصة امرأة أخذت في زنا، وبذكر ابراء الاكمه، وهذا أيضا من أعظم معجزاته، وهي مصرحة بها في الباب التاسع، وبذكر احياء العازار من بين الأموات، ولم يذكرها أحد من الانجيليين، مع أنها حالات عظيمة. وهكذا حال متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات التي لم يذكرهما غيرهما.

ولما طال البحث في هذا المسلك[1]، فلنقتصر على هذا القدر من البشارات التي نقلتها عن كتبهم المعتبرة عندهم في زماننا. وأما البشارات التي توجد في كتب أخرى هي ليست معتبرة عندهم في زماننا، فما نقلتها. وبعدما فرغتُ أنقل عنها بشارة واحدة أيضا على سبيل الانموذج. فأقول.

القسيس سيل نقل في مقدمة ترجمته للقرآن المجيد من انجيل برنابا بشارة محمدية هكذا : « اعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزي الله عليه، لأن الله غير راض عن الذنب، ولما اجتنى أمي وتلاميذي لأجل الدنيا سخط الله لأجل هذا الأمر، وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه

(١) أي : المسلك السادس والاخير من هذا الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.

العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم، ولا يكون لهم أذية هناك. واني وان كنت بريأ لكن بعض الناس لما قالوا في حقي أنه الله وابن الله، كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة عليّ ولا يستهزؤن بي، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا. ويظن كل شخص أني صلبت. لكن هذه الاهانة والاستهزاء تبقيان الى أن يجيء محمد رسول الله. فاذا جاء في الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس ». انتهت ترجمة كلامه. **أقول** : هذه البشارة عظيمة. وان اعترضوا أن هذا الانجيل رده مجالس علمائنا السلف، **أقول** : لا اعتبار لردهم وقبولهم، كما علمت بما لا مزيد عليه في الباب الأول. وهذا الانجيل من الأناجيل القديمة، ويوجد ذكره في كتب القرن الثاني والثالث، فعلى هذا كتب هذا الانجيل قبل ظهور محمد ﷺ بمئين سنة. ولا يقدر أحد أن يخبر بغير الالهام بمثل هذا الأمر قبل وقوعه بمئين سنة. فلا بدّ أن يكون هذا قول عيسى عليه السلام. وان قالوا ان أحدا من المسلمين حرف هذا الانجيل بعد ظهور محمد ﷺ، قلت هذا الاحتمال بعيد جدا لأن المسلمين ما التفتوا الى هذه الأناجيل الأربعة أيضا، فكيف الى انجيل برنابا. ويبعد أن يؤثر تحريف أحد من المسلمين في انجيل برنابا تأثيراً يتغير به النسخ الموجودة عند المسيحيين أيضا. وهم يزعمون أن علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أسلموا نقلوا عن كتب العهدين البشارات المحمدية وحرفوها. فعلى زعمهم أقول : ان هؤلاء العلماء الكبار حرفوا على زعمهم، ولم يؤثر تحريف هؤلاء في كتبهم التي كانت موجودة عندهم في مواضع هذه البشارات. فكيف أثر تحريف بعض المسلمين في انجيل برنابا في النسخ التي كانت عندهم ؟ فهذا الاحتمال واهٍ ضعيف جدا واجب الرد[1]. وقال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه

(١) نقلنا هذا الاخبار أولاً في الكتاب الاعجاز العيسوي عن الترجمة المطبوعة سنة ١٨٥٠ من الميلاد، وطبع هذا الكتاب سنة ١٢٧١ من الهجرة وسنة ١٨٥٤ من الميلاد، واشتهر في أقطار الهند. وتراجمهم وكتبهم تتغير في الطبع المتأخر بالنسبة الى الطبع المتقدم تغيرا ما، كما قد نبهتّ في مقدمة

المسمى بخلاصة سيف المسلمين الذي هو بلسان أردو في الصفحة ٦٣ و٦٤ : « ان القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب اشعيا باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبع انتوني پورتولي. ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة سبحوا الله تسبيحاً جديداً وأثر سلطنة على ظهره واسمه أحمد. انتهت. وهذه الترجمة موجودة عند الأرامن. فانظروا فيها ». انتهى كلامه. **أقول** : هذه الترجمة لم تصل اليَّ وما اطلعت عليها. لكن هذا الفاضل لعله رآها واطلع عليها. ولا شك أن هذه الفقرة عظيمة النفع، وان لم تكن هذه الترجمة معتبرة عند علماء پروتستنت. ومن أسلم من علماء اليهود والنصارى في القرن الأول شهد بوجود البشارات المحمدية في كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام وابني سعية وبنيامين ومخيريق وكعب الاحبار وغيرهم من علماء اليهود، ومثل بحيرا ونسطور الحبشي وضفاطر وهو الأسقف الرومي الذي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه، والجارود والنجاشي والقسوس والرهبان الذين جاؤا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرهم من علماء النصارى وقد اعترف بصحة نبوّته وعموم رسالته هرقل قيصر الروم ومقوقس صاحب مصر وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب وغيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء ولم يسلموا. ورُويَ أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم أنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام : ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجة أن أُباهلكم. فقالوا : يا أبا القاسم بل نرجع، فننظر في أمرنا ثم نأتيك. فلما رجعوا قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم : ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم نبوّته، وقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، وإن أبيتم إلا ألف دينكم فوادعوا

=الكتاب أيضا. فان لم يجد الناظر هذه البشارة في بعض نسخ الترجمة المذكورة المطبوعة في سنة غير السنة المذكورة لا يقع فيَّ شك، سيما اذا كان هذا البعض من النسخ المطبوعة في سنة متأخرة عن ألف وثمانمائة وأربع وخمسين من الميلاد. لان علماء پروتستنت لو أسقطوا في طبعهم هذه البشارة من الترجمة المذكورة، فلا يستبعد من عادتهم التي صارت بمنزلة الأمر الطبيعي لهم.

الرجل وانصرفوا. فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسين وآخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول : اذا أنا دعوت فامنوا. فقال أسقفهم : يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا. فأذعنوا لرسول الله ﷺ، وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد. فقال عليه الصلاة والسلام لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارا، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر. وهذه الواقعة دلت على نبوّته بوجهين : **الأول**، انه عليه الصلاة والسلام خوّفهما بنزول العذاب عليهم. ولو لم يكن واثقا بذلك لكان ذلك منه سعياً في اظهار كذب نفسه. لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه. ومعلوم انه كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملا يفضي الى ظهور كذبه. فلما أصر على ذلك علمنا أنه انما أصر عليه لكونه واثقاً بوعد الله. **والثاني**، ان القوم كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول ﷺ. فلو لم يعرفوا أنه نبي لما تركوا مباهلته.

الفصل الثاني

في دفع المطاعن

اعلم، ارشدك الله تعالى، أن المسيحيين يدَّعون ان الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط، تقريراً كان أو تحريراً. وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين، لا قبل النبوَّة ولا بعدها. فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً، فضلًا عن الخطأ والنسيان. فيصدر عنهم الزنا بالمحارم، فضلًا عن الأجنبيات، ويصدر عنهم عبادة الاوثان وبناء المعابد لها، ولا يخرج عندهم نبي من ابراهيم الى يحيى عليهما السلام لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا ــ أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الانبياء عليهم السلام ــ وقد عرفت، في الامر السابع من مقدمة الكتاب، وفي الفصل الثالث والرابع من الباب الاول، وفي المقصد الاول من الباب الثاني، أن ادّعاءهم العصمة في التبليغ أيضاً ادّعاء باطل لا أصل له على أصولهم. ويصدر هذا الادّعاء عنهم لتغليط العوام. فمطاعنهم على محمد ﷺ، في بعض الامور التي يفهمونها ذنوباً في زعمهم الفاسد، لا تقدح في نبوّته على أصولهم. واني وان كنت أستكره أن أنقل ذنوب الانبياء والكفريات المفتريات عن كتبهم، ولو الزاماً، ولا أعتقد في حضرات الانبياء اتِّصافهم بهذه الذنوب والكفريات ــ حاشا وكلا ــ لكني لما رأيت علماء پروتستنت أطالوا ألسنتهم إطالة فاحشة في حق محمد ﷺ في الامور الخفيفة، وجعلوا الخردلة جبلًا لتغليط العوام الغير

الواقفين على كتبهم، وكان مظنة وقوع السذج في الاشتباه بتمويهاتهم الباطلة، نقلت بعضها الزاماً، وأتبرأ عن اعتقادها بألف لسان. وليس نقلها الا كنقل كلمات الكفر، ونقل الكفر ليس بكفر. وقدمتُ نقلها على نقل مطاعنهم في حق محمد ﷺ والجواب عنها. وكتب القسيس وليم اسمت من علماء پروتستنت كتاباً في لسان أردو وطبعه في البلد مرزابور من بلاد الهند في سنة ١٨٤٨ من الميلاد، وسمَّاه طريق الاولياء، وكتب فيه حال الانبياء من آدم الى يعقوب عليهم السلام، ناقلًا عن سفر التكوين وتفاسيره المعتبرة عند علماء پروتستنت. فانقل في بعض المواضع عن هذا الكتاب أيضاً.

القسم الأول

[في أن الذنوب المذكورة في كتبهم لم تقدح في نبوَّة انبيائهم]

١ ــ قصة آدم عليه السلام عندهم مشهورة، في الباب الثالث من سفر التكوين مسطورة، وهم يعترفون انه أذنب عمداً ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله، ولم تثبت توبته عندهم الى آخر حياته. في الصفحة ٢٣ من طريق الاولياء: « يا أسفي على انه لم تثبت توبته، وعلى انه ما استغفر الله لذنبه مرة واحدة أيضاً ». انتهى.

٢ ــ في الباب التاسع من سفر التكوين هكذا: « ١٨ فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافث وحام أبو كنعان ٢٠ وبدا نوح رجل فلاح يحرث في الارض وغرس كرماً ٢١ وشرب خمراً فسكر وتكشف في خبا ٢٢ فلما نظر حام أبو كنعان ذلك، أي عورة أبيه انها مكشفة، أخبر اخوته خارجاً ٢٤ فلما استيقظ نوح من الخمر وعلم بما عمل به ابنه الاصغر

٢٥ فقال ملعون كنعان فيكون عبد العبيد لاخوته ». ففيه تصريح بأن نوحاً شرب الخمر وسكر وصار عرياناً. والعجب ان المذنب بالنظر الى عورة أبيه هو حام أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، وأُخذ الابن بذنب الاب خلاف العدل. قال حزقيال في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه: « النفس التي تخطىء فهي تموت، والابن لا يحمل اثم الاب، والاب لا يحمل اثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه ». ولو فرضنا انه حمل اثم الاب على الابن خلاف العدل، فما وجه تخصيص كنعان ؟ لان أبناء حام كانوا أربعة : كوش ومصرايم وفوط وكنعان، كما هو مُصرَّح به في الباب العاشر.

٣ ــ في الصفحة ٧٤ من طريق الاولياء في حال ابراهيم هكذا: « لا يعلم حاله الى سبعين سنة من عمره وهو تربى في الوثنيين ومضى أكثر عمره فيهم. ويُعلم أن أبويه ما كانا يعرفان الاله الحق. ويحتمل أن ابراهيم أيضاً كان يعبد الاصنام ما لم يظهر الله عليه، ثم ظهر عليه وانتخبه من أبناء العالم وجعله عبداً خاصاً ». انتهى. فظهر أن المظنون عند المسيحيين أن ابراهيم الى سبعين سنة من عمره كان يعبد الاصنام. أقول كونه عابد الاصنام الى أن بلغ سبعين سنة قريب اليقين، نظر الى أصولهم لأن أهل العالم في هذا الوقت عندهم كانوا وثنيين وهو تربى فيهم، وأبواه أيضاً كانا منهم. ولم يظهر عليه الرب الى ذلك الوقت، والعصمة عن عبادة الاوثان ليست بشرط بعد النبوَّة، فضلًا عن أن تكون شرطاً قبل النبوَّة. واذا ظهر حال أبي الانبياء هذا الى سبعين سنة من عمره قبل النبوَّة، فأنقل حاله بعد النبوَّة.

٤ ــ في الباب الثاني عشر من سفر التكوين هكذا: « ١١ فلما قرب أن يدخل الى مصر قال لسارة زوجته اني علمت انك امرأة حسنة ١٢ ويكون اذا رآك المصريون فانهم سيقولون انها امرأته ويقتلوني ويستبقونك ١٣ والآن أرغب منك، فقولي انك أختي ليكون لي خير بسببك، وتحيي نفسي من أجلك ». فسبب الكذب ما كان مجرَّد الخوف، بل رجاء حصول الخير أيضاً، بل الخير كان أقوى. ولذلك قدَّمه، وقال ليكون لي خير بسببك وتحيى

نفسي من أجلك. وحصل له الخير أيضاً، كما هو مُصرَّح به في الآية السادسة عشر، على أن خوفه من القتل مجرد وهم، لا سيما اذا كان راضياً بتركها، فانه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلًا. وكيف يجوز العقل أن يرضى ابراهيم بترك حريمه وتسليمها ولا يدافع دونها ولا يرضى بمثله مَنْ له غيرة ما، فكيف يرضى مثل ابراهيم الغيور ؟

٥ ــ في الباب العشرين من سفر التكوين هكذا: « ١ وارتحل ابراهيم من هناك الى أرض التيمن وسكن بين قادس وسور والتجى في جرارا ٢ قال عن سارة امرأته انها أختي، ووجه أبي مالك ملك جرارا وأخذها ٣ فجاء الله الى أبي مالك في الحلم بالليل، وقال له هوذا أنت تموت من أجل الامرأة التي أخذتها انها ذات بعل ٤ ولم يكن أبو مالك قرَّبها فقال يا رب أتهلك شعباً بارًّا لا علم له ٥ أليس هو القائل انها أختي، وهي قالت أنه أخي ». كذب هناك ابراهيم وسارة مرة ثانية. ولعل السبب القوي ههنا ــ ما عدا الخوف أيضاً ــ كان حصول المنفعة، وقد حصلت، كما هي مصرَّحة بها في الآية الرابعة عشر على أنه لا وجه للخوف اذا كان راضياً بتسليمها بدون المقاتلة في الصفحة ٩٩ من طريق الاولياء هكذا : « لعل ابراهيم لما أنكر كون سارة زوجة له في المرة الاولى، عزم في قلبه انه لا يصدر عنه مثل هذا الذنب، لكنه وقع في شبكة الشيطان السابقة مرة أخرى بسبب الغفلة ». انتهى.

٦ ــ في الصفحة ٩٢ و٩٣ من طريق الاولياء: « لا يمكن أن يكون ابراهيم غير مذنب في نكاح هاجر. لانه كان يعلم جيداً قول المسيح المكتوب في الانجيل ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ». وقال: « مِنْ أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً ». انتهى. أقول كما لا يمكن هذا، فكذا لا يمكن أن يكون غير مذنب في نكاح سارة. لانه كان يعلم جيداً قول موسى المكتوب في التوراة: « لا تكشف أختك من أبيك كانت أو من أمك التي ولدت في البيت أو خارجاً من البيت ». وكذا قوله: « أي رجل تزوَّج أخته ابنة أبيه، أو أخته ابنة أمه، ورأى عورتها، ورأت عورته، فهذا عار شديد، فيقتلان أمام شعبهما. وذلك لانه كشف عورة أخته، فيكون إثمهما في رأسهما ». وكذا قوله: « يكون

ملعوناً من يضاجع أخته من أبيه أو أمه ». كما عرفت في الباب الثالث من هذا الكتاب. ومثل هذا النكاح مساوٍ للزنا عند علماء پروتستنت. فيلزم أن يكون ابراهيم عليه السلام زانياً قبل النبوَّة وبعدها، ويكون أولاده كلهم من سارة أولاد الزنا. ولو جوز نكاح الأخت في شريعته لزم عليهم تجويز تعدُّد النكاح أيضاً في تلك الشريعة. فلا اعتراض باعتبار هاجر ولا باعتبار سارة، وهو الحق عندنا. لكنه يلزم على أصلهم الفاسد أن هذا النبي أبا الانبياء، كما كان كاذباً، فكذا كان زانياً من أول عمره الى آخره. ومع هذا كان خليل الله. أيكون خليل الله مثله ؟

٧ ــ في الباب التاسع عشر من سفر التكوين هكذا: « ٣٠ فصعد لوط من صاغر وسكن الجبال وابنتاه معه وخاف أن يسكن صاغر، وأوى الى كهف هو وابنتاه معه ٣١ فقالت الكبرى منهما للصغرى: ان أبانا قد شاخ وليس رجل على الارض يستطيع يدخل علينا كالمرسوم لكل الارض ٣٢ فهلمِّي نسقيه خمراً ونضطجع معه ونقيم من أبينا خلفاً ٣٣ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أبيه، وهو لم يعلم عند انضجاع ابنته ولا نهوضها ٣٤ ولما كان الغد، قالت الكبرى للصغرى: هوذا قد اضطجعت البارحة مع أبي، فلنسقه خمراً في ليلتنا هذه أيضاً وادخلي فاضطجعي معه، فنقيم نسلاً من أبينا ٣٥ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أبيها، ولم يعلم عند انضجاعها ولا نهوضها ٣٦ فحملت ابنتا لوط من أبيهما ٣٧ وولدت الكبرى ابناً ودعت اسمه مواب، وهو أبو الموابيين الى يومنا هذا ٣٧ وولدت الصغرى أيضاً ابناً ودعت اسمه عمان أي ابن جنسي، فهو أبو العمانيين الى اليوم ». وفي الصفحة ١٢٨ من طريق الاولياء بعد نقل هذا الحال هكذا: « حاله حري أن يُبكي عليه ونحن بعد التأسف والخوف والخشية على أنفسنا، نتعجَّب منه أهو الذي بقي نقي الثوب عن جميع شرور سادوم، وكان قوياً في السلوك على صراط الله وبعيداً عن جميع نجاسات تلك البلدة، وغلب عليه الفسق بعدما خرج الى البر. فأي شخص يكون مأموناً في بلدٍ أو برٍ أو كهف ». انتهى كلامه. فلما بكى القسيسون على حاله فلا حاجة لنا الى الاطالة. وبكاؤهم

يكفي. غير اني أقول ان مواب وعمان اللذين تولدا بالزنا ما قتلهما الله. وقتل الولد الذي تولد بزنا داود عليه السلام بامرأة أوريا. لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات عندهم. بل هم كانا من المقبولين عند الله. أما مواب فلأن عوبيد جدّ داود عليه السلام اسم أمه راعوث. كما هو مصرح به في الباب الاوَّل من انجيل متى، وراعوث هذه كانت موابية من أولاد مواب فهي من جدّات داود وسليمان وعيسى عليهم السلام. وداود ابن الله البكر، وسليمان أيضاً ابن الله، وعيسى ابن الله الوحيد، بل الله على زعم المسيحيين. وأما عمان فلأن رحبعام ابن سليمان من أجداد عيسى عليه السلام، كما هو مُصرح به في الباب الاوَّل من انجيل متى أيضاً. وأمه كانت عمانية من أولاد عمان، كما هو مُصرح به في الباب الرابع عشر من سفر الملوك الاوَّل فهي أيضاً من جدَّات ابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم. والآية التاسعة عشر من الباب الثاني من سفر الاستثناء هكذا: « وتدنو الى قرب بني عمان. احذر تقاتلهم ولا تحترك الى محاربتهم. فاني لا اعطيك شيئاً من أرض بني عمان. اني أعطيتها بني لوط ميراثاً ». فأي شرف لمواب وعمان ولدَي الزنا أزيد من ان بعض بنات الاول صارت جدَّة معظمة لابناء الله، بل الله على زعمهم. وبعض بنات الثاني صارت جدَّة لابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم، وان الله منع بني اسرائيل الذين كانوا أبناء الله بنص التوراة عن توريث أرض أولاده. لكنه بقيت خدشة وهي، انه اذا وصل نسب عيسى عليه السلام باعتبار هاتين الجدَّتين المعظمتين الى مواب وعمان، صار موابياً وعمانياً، وما كان للعمانيين والموابيين ان يدخلوا جماعة الرب الى الابد. الآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب الاستثناء هكذا: « والعمانيون والموابيون بعد عشر احقاب أيضاً لا يدخلون جماعة الرب الى الابد ». فكيف دخل عيسى عليه السلام جماعة الرب، بل صار رئيسهم، بل ابن الله على زعمهم ؟ وان قيل ان اعتبار النسب بالآباء لا بالامهات، فلا يكون عيسى عليه السلام عمانياً ولا موابياً. قلت لو كان كذا، يلزم ان لا يكون اسرائيلياً يهوداوياً داودياً سليمانياً أيضاً، إذ حصول هذه الاوصاف له أيضاً من جانب الام لا الاب. فلا يكون مسيحاً موعوداً به. واعتبار هذه الاوصاف باعتبار الام وعدم اعتبار كونه عمانياً

وموابياً من جهة الجدَّات ترجيح بلا مرجح. وهذا وارد على داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. لكني لا أطيل الكلام في هذا، وارجع الى أصل القصة؛ وأقول: ان لوطاً عليه السلام، هذا الذي حاله حريّ بأن يُبكى عليه عند القسيسين، لا شك انه بحكم الانجيل بارّ قديس، لم يقع الوهن عندهم في قديسيته بعد هذه الحركة الشنيعة التي لم يسمع مثلها في الاراذل الذين يكونون مخمورين أكثر الاوقات، لانهم يميزون في حال الخمر أيضاً بناتهم عن الاجنبيات. واذ سقط الامتياز بين البنات وغيرها لشدَّة الخمر، لا يبقى السكران في هذا الوقت قابلًا للجماع كما شهد به المولعون بشرب الخمر. وما سمعنا الى الآن في الهند ان رذيلًا من الاراذل فعل هذا الامر في الخمر ببنته أو بأمه. فاذا كان الخمر موصلًا الى هذه الرتبة فوا أسفي على حال أهل أوروبا من المسيحيين. كيف يرجى نجاة أمهاتهم وبناتهم واخواتهم من أيدي الابناء والآباء والاخوة ؟ لأنهم في أغلب الاوقات يكونون سكرانين، رجالهم ونساؤهم. سيما اذا قسنا الحال بالنسبة الى أراذلهم. والعجب أن هذا القديس، كما ابتُلي في اليلة الاولى، ابتُلي في الليلة الثانية. الا ان يقال ان هذا الامر كان أمراً مقضياً ليتولد أبناء الله، بل الله من بعض بناته، ويدخل هو في سلسلة نسب ابن الله الوحيد. ومثل هذا لو وقع لبعض آحاد الناس ضاقت عليه الارض بما رحبت حزناً وهماً. فالعجب من لوط، أعوذ بالله من هذه الخرافات. وأقول ان هذه القصة الكاذبة من المفتريات. في الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « ٧ وأنقذ لوطا البار مغلوباً من سيرة الاردياء في الدعارة ٨ اذا كان البار بالنظر والسمع وهو الساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالافعال الأثيمة ». فاطلق بطرس لفظ البار على لوط عليه السلام ومدحه. فأنا أشهد أيضاً انه كان باراً برياً مما نسبوه اليه.

٨ ــ في الباب السادس والعشرين من سفر التكوين هكذا: « ٦ فمكث اسحق في جرارة ٧ وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته، فقال: هي أختي. لانه خاف أن يقول انها زوجته لئلا يقتلوه من أجل حسنها ». فكذب اسحق عمداً أيضاً مثل أبيه وقال لزوجته انها اخته. في الصفحة ١٦٨ من طريق الاولياء: « زل ايمان اسحق، لانه قال لزوجته انها أخته ». ثم في الصفحة

١٦٩: « يا أسفي انه لا يوجد كمال في أحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير. والعجب أن شبكة الشيطان التي وقع فيها ابراهيم وقع فيها اسحق أيضاً، وقال عن زوجته انها أخته. فيا أسفي ان أمثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون الى الوعظ ». انتهى كلامه. ولما تأسف القسيسون تأسفاً بليغاً على مزلّة ايمانه وعدم وجود كمال فيه ووقوعه في شبكة الشيطان التي وقع فيها ابراهيم عليه السلام وكونه محتاجاً الى الوعظ، فلا نطيل الكلام فيه.

٩ ــ في الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين هكذا: « ٢٩ فطبخ يعقوب طبيخاً ولما جاء عيسو اليه تعبان من الحقل ٣٠ فقال له اطعمني من هذا الطبيخ الاحمر فاني تعبان جداً، ولهذا السبب دُعي اسمه أدوم ٣١ فقال له يعقوب بِعْ لي بكوريتك ٣٢ فأجاب وقال هوذا أنا أموت، فماذا تنفعني البكورية ٣٣ فقال له يعقوب احلف لي، فحلف له عيسو، وباع البكورية ٣٤ فقدَّم يعقوب لعيسو خبزاً ومأكولًا من العدس، فأكل وشرب ومضى، وتهاون في أنه باع البكورية ». فانظروا الى ديانة عيسو الذي هو الولد الاكبر لاسحق عليه السلام انه باع البكورية التي كان بها استحقاق منصب النبوَّة والبركة بالخبز ومأكول من العدس. لعل النبوَّة والبركة عنده ما كانا في رتبة هذا الخبز والادام من العدس. وكذا انظروا الى محبة يعقوب عليه السلام والى وجوده، أنه ما اعطى للاخ الاكبر الجائع التعبان هذا المأكول الا بالبيع، وما راعى المحبة الاخوية والاحسان بلا عوض.

١٠ ــ مَنْ طالع الباب السابع والعشرين من سفر التكوين، علم يقيناً أن يعقوب عليه السلام كذب ثلاث مرات، وخادع أباه. وخداعه، كما أثر عند اسحق عليه السلام، أثر عند الله أيضاً. لأن اسحق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعياً لعيسو لا ليعقوب عليه السلام. فكما لم يميز اسحق بين الاخوين في الدعاء، فكذا لم يميز الله بينهما عند اجابة الدعاء. فالعجب ان ولاية الله والنبوَّة والصلاح تحصل بالمحال. وأنا تذكرت قصة مناسبة لهذا المقام، وهي : ان فاجراً من فرقة بانو طلب حشيشاً من الحمار لأجل حصانه، وما أعطاه الحمار. فقال إن لم تعطني أدعُ على حمارك، فيموت الليلة. وراح

فمات حصانه في تلك الليلة. فلما استيقظ ووجد حصانه ميتاً حرَّك رأسه متعجباً، فقال : يا عجبا يا عجبا، انه مضى مليونات من السنين على ألوهية إلهنا ولا يميز الحصان من الحمار الى هذا الحين. دعوتُ على الحمار وأهلك حصاني. ولو كان حال ديانة أبي الانبياء الاسرائيلية هكذا، أو حال علم الله هكذا، فللمنكر أن يقول يجوز أن يكون مبنى معاملات الانبياء الاسرائيلية مع الله أيضاً على الخداع كأبيهم الاعلى، ويجوز أن يكون عيسى عليه السلام وعد الله أن تعطيني قدرة الكرامات ادعُ الخلق الى توحيدك وربوبيتك. لكن الله ما ميَّز الصدق عن الكذب، فأعطاه القدرة. فدعا الى ربوبية نفسه وبغى على الله. أعوذ بالله من هذه الامور الواهية. وأنقل بعض فقرات طريق الاولياء من الصفحة ١٧٩ و١٨٠ و١٨١. قال أولًا: « هذا مقام غاية الخوف أن مثل هذا الشخص تفوَّه بكذب بعد كذب وأشرك اسم الله في خداعه ». ثم قال ثانياً: « قال يعقوب قولًا هو نهاية الكفران. ارادة الله كانت اني وجدت الصيد سريعاً ». ثم قال ثالثاً: «نحن لا نعتذر من جانب يعقوب في هذا الامر بعذر ما، وليتنفَّر كل صالح، وليفرّ عن مثل هذا الامر. ثم قال رابعاً: « خلاصة الكلام انه أساء ليحصل الخير. وفي الانجيل يجب الجزاء على مثله ». ثم قال خامساً: « كما أذنب يعقوب أذنبت أمه أزيد منه، لانها كانت بانية هذا الفساد، وهي أمرت يعقوب بفعل هذه الامور الخادعة ». انتهى.

١١ ــ في الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا: « ١٥ ثم قال ليعقوب لعل انك أخي مجاناً تخدمني، أخبرني ما أجرتك ١٦ فكانت له ابنتان اسم الكبرى ليا، واسم الصغرى راحيل ١٧ وكان بعيني ليا استرخاء، وراحيل جميلة الوجه وحسنة المنظر ١٨ فأحب يعقوب راحيل. وقال أنا أتعبَّد لك براحيل ابنتك الصغرى سبع سنين ١٩ فقال له لا بأن أنت أحق بها من غيرك فأقم عندي ٢٠ وتعبد يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت عنده مثل أيام قليلة لما دخله من محبتها ٢١ فقال للابان أعطني امرأتي لاني قد أكملت الايام لكي أدخل اليها ٢٢ فجمع لابان جمعاً كثيراً من المحبين وصنع عرساً ٢٣ ولما كان المساء أدخل ابنته ليا على يعقوب ٢٤ وأعطى لابان أمة اسمها زلفا لابنته ودخل عليها يعقوب كالعادة. ولما كان الصبح رآها انها ليا ٢٥

فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي، ألم أتعبَّد لك براحيل ؟ فلِمَ خدعتني ؟ ٢٦ أجاب لابان ليس في أرضنا عادة ان تزوج الصغرى قبل الكبرى ٢٧ فأكمل الاسبوع هذه، فأعطيك الاخرى عوضاً عن العمل الذي تعمل لي سبع سنين أخرى ٢٨ ففعل يعقوب هكذا. وبعدما دخل الاسبوع تزوج براحيل ٢٩ ودفع لابان الى ابنته راحيل أمة اسمها بلها ٣٠ فدخل على راحيل وأحبها أكثر من ليا، وتعبَّد له وخدمه سبع سنين أخرى ». ويرد عليه ثلاثة اعتراضات: **الأول**، أن يعقوب عليه السلام كان يقيم في بيت لابان، وكان يرى ليا علامة بينة هي استرخاء العينين. فالعجب كل العجب أن تكون ليا في فراشه جميع الليل ويراها ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها إلا أن يقولوا أنه كان سكرانا كلوط عليه السلام، فكما لم يميز لوط عليه السلام، فكذا هو. **والثاني**، أنه أحبّ راحيل وخدم لأجلها أباها أولا سبع سنين، وكانت عنده مثل أيام قليلة لأجل عشقها وفرط محبتها. ثم لما خادع لابان وزوجه بنته الكبرى خاصمه يعقوب وأخذ راحيل بخدمة سبع سنين أخرى. وهذه الأمور على زعم المسيحيين لا تناسب رتبة النبوة. وكما خادع يعقوب أباه خودع من صهره. **والثالث**، أنه ما اكتفى على زوجة واحدة، ولا يجوز نكاح امرأتين سيما أختين على زعم المفاسد. واعتذر صاحب طريق الأولياء في الصفحة ١٨٩ من كتابه هكذا : « الظاهر أن يعقوب لم يخادعه لابان لم يتزوج غير راحيل. ولا يستدل بها على جواز تعدد الزوجات، لأنه ما كان بحكم الله ولا برضا يعقوب ». انتهى. أقول هذا العذر بارد لا يسمن ولا يغني، ولا يحصل النجاة ليعقوب عليه السلام عن الحرمة. لأنه ما كان مكرها ومجبورا على النكاح الثاني. وكان عليه أن يكتفي بزوجة واحدة. وأقول، كما قال هذا المعتذر في طعن ابراهيم عليه السلام، أن يعقوب عليه السلام كان يعلم جيدا قول المسيح المكتوب في الانجيل الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى الخ، وكذا كان يعلم جيدا قول موسى عليه السلام أن الجمع بين الاختين حرام قطعا، كما علمتَ في الباب الثالث. فاحد النكاحين باطل. والامرأة التي كان نكاحها باطلا يلزم أن يكون أولادها وأولاد أولادها أولاد زنا. فيلزم على كلا التقديرين كون كثير من الأنبياء الاسرائيلية كذلك، والعياذ بالله. فانظروا الى

ديانة المسيحيين، انهم لأجل صيانة أصولهم الفاسدة، كيف يتهمون الأنبياء وينسبون القبائح اليهم. على أن هذا العذر الأعرج لا يمشي في زلفا وبلها اللتين تزوّجهما يعقوب باشارة ليا وراحيل، كما هو مُصرح به في الباب الثلاثين من سفر التكوين، وأولادهما كافة تكون أولاد الزنا على أصولهم.

١٢ ـــ في الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ١٩ وقد كان لابان ذهب ليجز غنمه، وراحيل سرقت أصنام أبيها ٢٠ فكتم يعقوب عليه السلام أمره عن حميه، ولم يعلمه أنه هارب ٢١ وهرب هو وجميع ما كان له، وعبر النهر، وتوجه نحو جبل جلعاد ٢٢ وبلغ لابان في اليوم الثالث أن يعقوب قد هرب ٢٣ فاخذ لابان اخوته وتبعه مسيرة سبعة أيام ولحقه في جبل جلعاد ٢٩ وقال ليعقوب لماذا فعلت هكذا وسقت بناتي خفيا عني مثل مَنْ قد سبى بالسيف ٣٠ والآن قد انطلقت، وانما حملك على ذلك الشهوة ان تمضي الى بيت أبيك، فلم سرقت آلهتي ٣١ أجاب يعقوب الخ ٣٢ واما ما توبخني به في سرقته، فمن وجدت عنده آلهتك يقتل قدام اخوتنا الخ ٣٣ فدخل لابان الى خباء يعقوب وليا والامتين فلم يجدها، ولما دخل الى خباء راحيل ٣٤ فهي أسرعت وخبت الأصنام تحت حداجة جمل وجلست عليها، ففتش لابان الخباء كله ولم يجد شيئاً ٣٥ وقالت لا تؤاخذني يا سيدي اني لا استطيع النهوض نحوك، لأني في علة النساء. وفتش لابان جميع ما في البيت فلم يجد ». فانظروا الى راحيل كيف سرقت أصنام أبيها، وكيف كذبت والظاهر أنها سرقت لعبادتها، كما يدل عليها ظاهر عبارة الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين، كما ستعرف في الشاهد الآتي، ولأنها كانت من بيت الوثنيين، وأن أباها كان وثنياً يعبد الأصنام، كما دلّت عليه الآية الثلاثون والثانية والثلاثون، والظاهر أنها تكون على دين أبيها. فهذه الزوجة المحبوبة ليعقوب عليه السلام كانت سارقة كاذبة عابدة للأصنام.

١٣ ـــ في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٢ وقال يعقوب لأهله وجميع من معه اعزلوا الآلهة الغرباء من بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ٤ فدفعوا له جميع الآلهة الغرباء التي كانت في أيديهم والأقرطة التي كانت في آذانهم، فدفنها تحت البطمة التي عند شخيم ». والظاهر من هذه

العبارة أن أهل بيت يعقوب عليه السلام ومَنْ معه الى هذا الحين كانوا يعبدون الأصنام وهذا الأمر بالنظر الى بيته شنيع جداً. أما ما نهاهم قبل هذا عن عبادة الأوثان ؟ واذا دفعوا اليه جميع الآلهة الغرباء، فالظاهر أن راحيل أيضا دفعت الآلهة المسروقة أيضا. فكان على يعقوب عليه السلام أن يرسلها الى لابان، لا أن يدفنها تحت البطمة التي عند شخيم ويعذر راحيل على سرقتها.

١٤ ــ في الباب الرابع والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ١ وخرجت دينا ابنة ليا لتنظر الى بنات ذلك البلد ٢ فنظرها شخيم بن حمور الحاوي رئيس الأرض، فأحبها، فأخذها وضاجعها وذلها ٣ وتعلقت نفسه بها، وأحبها وكلمها بما وافقها ووقع بقلبها ٤ فقال شخيم لحمور أبيه خذ هذه الجارية لي زوجة ٨ فكلمهم حمور الخ ١٣ فاجاب بنو يعقوب الخ ١٤ لا نستطيع أن نصنع ما تطلبان، ولا نعطي أختنا لرجل أغلف، فان ذلك عار علينا ١٥ بهذا نشبهكم اذا ما صرتم مثلنا لكي تختنوا كل ذكوركم ٢٤ فارتضى جميعهم، واختتن كل مَنْ كان منهم ذكرا ٢٥ فلما كان اليوم الثالث، وقد بلغ منهم الوجع جدا أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوي، أخوا دينا، كل واحد منهما سيفه، ودخلا المدينة على طمأنينة وقتلا كل ذكر ٢٦ وحمور وشخيم ابنه وأخذا دينا أختهما من بيت شخيم ٢٧ وخرجا. ودخل بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة التي فضحت فيها دينا اختهم ٢٨ وأخذوا غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في البيوت وكل ما في الحقل، وسبوا صبيانهم ونساءهم ». فانظروا الى عصمة دينا بنت يعقوب. انها زنت وتعشقت بشخيم، كما يدل عليه قوله ووقع بقلبها، وانظروا الى ظلم أبناء يعقوب أنهم قتلوا ذكور أهل البلدة كلهم وسبوا نساءهم وصبيانهم ونهبوا جميع أموالهم. فخطؤهم وظلمهم ظاهر. وخطأ يعقوب عليه السلام أنه لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها. وما أخذ القصاص منهم، وما رد النساء والصبيان والأموال المسلوبة، وان كان غير قادر على منعهم، ورد هذه الأشياء، وأخذ القصاص. فكان عليه أن يترك رفاقة هذه الظلمة على أنه يبعد كل البعد أن يقتل رجلان أهل البلدة كلهم، ولو فرضنا أنهم كانوا في وجع الختان.

١٥ ــ في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « مضى

روبيل وضاجع بلها سرية أبيه، فسمع اسرائيل ». فانظروا الى روبيل، الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام، أنه زنى بزوجة أبيه. والى يعقوب أنه ما أجرى الحد أو التعزيرلا على ابنه ولا على هذه الزوجة. والظاهر أن حدّ الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار، كما يفهم من الآية الرابعة والعشرين من الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين. ودعا على هذا الابن في آخر حياته، كما هو مُصرح به في الباب التاسع والأربعين من هذا السفر.

١٦ ــ في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين: «٦ وان يهوذا زوج ابنه بكره عير امرأة اسمها تامار ٧ وكان عير بكر يهوذا رديئاً بين أيدي الرب فقتله الرب ٨ وقال يهوذا لأبنه أونان أدخل على امرأة أخيك، وكن معها، وأقم زرعا لأخيك ٩ فلما علم أونان أن الخلف لغيره، كان اذا دخل الى امرأة أخيه يفسد على الأرض لئلا يكون زرعا لأخيه ١٠ فظهر ذلك منه سوء أمام الرب لفعله ذلك، وقتله الرب ١١ فقال يهوذا لثامار كنته اجلسي أرملة في بيت أبيك، حتى يكبر شيلا ابني الخ ١٣ فاعلموا تامار قائلين هوذا حموك صاعد الى تمنت ليجز غنمه ١٤ فطرحت عنها ثامار ثياب الترمل، وأخذت رداء، وتزينت وجلست في قارعة الطريق الخ ١٥ فلما رآها يهوذا ظن أنها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها لئلا تعرف ١٦ ودخل عندها وقال لها دعيني أدخل اليك، لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت له ماذا تعطيني حتى تدخل اليّ ١٧ فقال لها أنا أرسل لك جدياً ماعزاً من القطان، وهي قالت له أعطني رهناً حتى ترسله ١٨ فقال يهوذا أي شيء أعطيك رهنا. فقالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك. فاعطاها لها ودخل عليها فحبلت منه ١٩ وقامت فمضت وطرحت عنها لبسها ورداءها ولبست ثياب ترمّلها ٢٤ فلما كان بعد ثلاثة أشهر أخبروا يهوذا قائلين زنت ثامار كنتك وهوذا قد حبلت من الزنا. فقال يهوذا أخرجوها لتحرق ٢٥ واذا هم أخرجوها أرسلت الى حميها قائلة من الرجل الذي هذه له حبلت أنا، فاعرف لمن هو الخاتم والعمامة والعصا ٢٦ فعرفها يهوذا وقال تبررت هي أكثر مني لموضع أني لم أعطها لشيلا ابني، ولكنه لم يعد يعرفها بعد ذلك ٢٧ وكان لما دنا وقت الولادة، وإذا توأم في بطنها فعند طلقها الواحد سبق وأخرج يده فأخذت القابلة قرمزاً وربطته في يده قائلة هذا يخرج

أولا ٢٩ فها ضم يده اليه للوقت وخرج أخوه، فقالت هي لماذا من أجلك انقطع السياج، ولذلك دعت اسمه فارض ٣٠ وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعت اسمه زارح ». ههنا أمور : **الأول** أن الرب قتل عير لكونه رديئا، ورداءته لم تبين، أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير حيث زنا بزوجة أبيه، ومن رداءة عميه الآخرين شمعون ولاوي، حيث قتلا ذكور أهل البلدة كلهم، ومن رداءة أبيه وجميع أعمامه حيث نهبوا أموال تلك البلدة وسبوا نساءها وأطفالها، ومن رداءة أبيه حيث زنى بزوجته بعد موته. أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل، وكان عير قابلا للقتل فقتله الرب ؟ **والثاني** العجب أن الرب قتل أونان على خطأ عزل المني وما قتل أعمامه وأباه على الخطيآت المذكورة. أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطيآت ؟ **والثالث** أن يعقوب لم يجر الحد ولا التعزير على هذا الولد العزيز، ولا على هذه الامرأة الفاجرة، بل لم يثبت من هذا الباب ولا من باب اخر أنه تنغص لأجل هذا الأمر من يهوذا. والباب التاسع والأربعون من سفر التكوين شاهد صدق على عدم تكدره، حيث ذم روبيل وشمعون ولاوي على ما صدر عنهم، وما ذم يهوذا على ما صدر عنه، بل سكت عما صدر عنه ومدحه مدحا بليغا ودعا له دعاء كاملا ورجحه على اخوته. **والرابع** أن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدة البر، فسبحان الله، نعم البار ونعمت البارة الفائقة في البر من البار المذكور. كيف لا تكون بارة شديدة حيث لم تكشف عورتها إلا لأبي زوجها ؟ وما زنت إلا بحميها أو حصلت منه بهذا الزنا الواحد ابنين كاملين ؟ **والخامس** ان داود سليمان وعيسى عليهم السلام كلهم في أولاد فارض الذي حصل بالزنا، كما هو مصرح به في الباب الأول من انجيل متى. **والسادس،** ان الله ما قتل فارض وزارح مع كونهما ولدي الزنا، بل أبقاهما كابني لوط اللذين كانا ولدي الزنا، وما قتلهما، كما قتل ولد داود عليه السلام الذي تولد بزناه بامرأة أوريا. لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بزوجة الابن.

١٨ ــ في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « ١ ورأى الشعب أن موسى قد تأخر أن يهبط من الجبل، فاجتمع الشعب الى هرون

وقالوا له قم فاجعل لنا آلهة يسيرون أمامنا من أجل أن موسى، هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا ندري ماذا أصابه ٢ فقال لهم هرون انزعوا اقرطة الذهب التي في آذان نسائكم وأبنائكم وبناتكم وائتوني بها ٣ فنزع الشعب الأقرطة التي في آذانهم وأتوا بها الى هرون ٤ فأخذها منهم وصيرها عجلا سبيكا، وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ٥ فلما نظر هرون ذلك بنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال غدا عيد للرب ٦ فقاموا بالغداة وقربوا وقودا وذبائح مسلمة، وجلس الشعب يأكلون ويشربون وقاموا يلعبون ». فظهر من هذه العبارة أن هرون صنع عجلاً وبنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال غدا عيد للرب. فعبد العجل وأمر بني اسرائيل بعبادته، فقربوا وقودا وذبائح، ولا شك أنه رسول. كتب القسيس اسمت في القسم الأول من كتابه المسمى بتحقيق الدين الحق المطبوع سنة ١٨٤٢ في الصفحة ٤٢ « كما أنه لم يكن بينهم — أي بين بني اسرائيل — سلطان، لم يكن بينهم نبي غير موسى وهرون وسبعين من المعينين ». انتهى. ثم قال : « لم يكن غير موسى وهرون ومعينيهما نبياً لهم ». انتهى. فظهر أن هرون نبي عند المسيحيين. ولا بدّ أن يعلم الناظر اني نقلت هاتين العبارتين من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٢. وكتبتُ الرد على هذه النسخة، وسميته تقليب المطاعن. ورد صاحب الاستفسار أيضا على هذه النسخة. وسمعت أن هذا القسيس بعد الرد حرف كتابه فزاد في بعض المواضع، ونقص في البعض، وبدل البعض، كما فعل صاحب ميزان الحق في نسخة الميزان مثله. فلا أعلم أن هذا القسيس ألقى هاتين العبارتين في النسخة الأخيرة المحرفة أم لا. وعبارات العهد العتيق تدل على نبوّته أيضا. وكونه متبعا لشريعة موسى عليه السلام لا ينافي نبوّته، كما لا ينافي في هذا الأمر نبوّة يوشع وداود وأشعيا وارمياء وحزقيال وغيرهم من الأنبياء الاسرائيلية الذين كانوا ما بين زمان موسى وعيسى عليهم السلام. في الآية السابعة والعشرين من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « فقال الرب لهرون اذهب وتلق موسى الى البرية. فمضى وتلقى به الى جبل الله وقبله ». وفي الباب الثامن عشر من سفر العدد هكذا : « ١ وقال الرب لهرون الخ ٨ ثم كلم الرب هرون وقال له الخ. ٢٠ ثم قال

الرب لهرون الخ. » وفي هذا الباب من الأول الى الآخر هو المخاطب حقيقة، وفي الباب الثاني والرابع والرابع عشر والسادس عشر والتاسع عشر توجد هذه العبارة « ولكم الرب موسى وهرون وقال لهما » في ستة مواضع. وفي الآية الثالثة عشر من الباب السادس من سفر الخروج هكذا : « فكلم الرب موسى وهرون وأوصاهما وأرسلهما الى بني اسرائيل والى فرعون ملك مصر ليخرجا بني اسرائيل من مصر ». فظهر من هذه العبارات أن الله أوحى الى هرون عليه السلام منفردا، وبشركة موسى عليه السلام، وأرسله الى بني اسرائيل وفرعون، كما أرسل موسى عليه السلام. ومَنْ طالع كتاب الخروج يظهر له أن المعجزات التي صدرت في مقابلة فرعون ظهر أكثرها على يد هرون عليه السلام. وكانت مريم أخت موسى وهرون عليهما السلام أيضا نبيئة، كما هو مصرح به في الآية العشرين من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « وأخذت مريم النبيئة أخت هرون دفاً في يدها ». الخ. والآية السادسة والعشرون من الزبور المائة والخامس هكذا : « أرسل موسى عبده وهرون الذي انتخبه ». والآية السادسة عشر من الزبور المائة والسادس هكذا : « وأغضبوا موسى في المعسكر، وهرون قديس الرب ». فانكار صاحب ميزان الحق نبوّة هرون في الصفحة ١٠٥ من كتابه المسمى بحل الاشكال المطبوع سنة ١٨٤٧ ليس بشيء. في الباب الثاني من سفر الخروج هكذا : « ١١ وفي تلك الأيام لما شب موسى، خرج الى اخوته وأبصر تعبدهم، ورأى رجلاً من أهل مصر يضرب رجلا من اخوته العبرانيين ١٢ فالتفت الى الجانبين فلم ير أحدا. فقتل المصري ودفنه ». فقتل موسى عليه السلام بعصبية قومه المصري.

١٩ — في الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « فقال موسى أرغب اليك يا رب اني لست برجل فصيح الكلام من أمس ولا من أول منه أيضا ولا من حين خاطبت عبدك، اني ألثغ وثقيل اللسان ١١ فقال له الرب مَنْ الذي خلق فم الانسان أو مَنْ صنع الأخرس والأصم والبصير والأعمى ؟ أليس أنا ١٢ فاذهب، وأنا أكون في فيك وأعلمك ما تتكلم ١٣ فاما هو فقال أرغب اليك يا رب أن ترسل من أنت ترسل ٢٤ فاشتد غضب الرب على موسى ».

الخ. فاستعفى موسى عليه السلام عن النبوّة. وقد كان الرب وعده وجعله مطمئنا فاشتد عليه غضب الرب.

٢٠ ـــ في الآية التاسعة عشر من الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « فلما دنا من المحلة وأبصر العجل وجوق المغنين، فاشتد غضب موسى ورمى باللوحين من يده فكسرهما في أسفل الجبل ». وهذان اللوحان كانا من عمل الله وخط الله، كما هو مصرح به في هذا الباب. فكسرهما خطأ. ولم يحصل بعد ذلك مثلهما، لأن اللوحين الذين حصلا بعدهما كانا من عمل موسى ومن خطه، كما هو مصرح به في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج.

٢١ ـــ الآية الثانية عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « وقال الرب لموسى وهرون من أجل انكما لم تصدّقاني وتقدساني قدام بني اسرائيل، من أجل ذلك لا تدخلان أنتم بهذه الجماعة الى الأرض التي وهبت لهم ». وفي الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا : « ٤٨ وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له ٤٩ ارق هذا الجبل عبريم، وهو جبل المجازاة، الى جبل نابو الذي في أرض مواب تلقاء أريحاء، ثم انظر الى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني اسرائيل ليرثوها، ثم مت في الجبل ٥٠ الذي تصعد اليه، ويجتمع اليّ شعوبك، كما مات أخوك هرون في هور الطور واجتمع الى شعبه ٥١ على أنكما عصيتماني في بني اسرائيل عند ماء الخصام في قادس برية صين، ولم تطهراني في بني اسرائيل ٥٢ فانك ستنظر الى الأرض التي أنا أعطيها بني اسرائيل من تلقائها. وأما أنت فلا تدخلها ». ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهرون عليهما السلام، بحيث صارا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله زاجرا انكما لم تصدقاني وتقدساني وأنكما عصيتماني.

٢٢ ـــ زنى شمسون الرسول بامرأة زانية كانت في غزة، ثم تعشق امرأة اسمها دليلى التي كانت من أهل وادي شوراق، وكان يدخل اليها. فأمرها كفار فلسطين أن تسأله كيف يقدر الفلسطانيون عليه ويوثقونه ولا يقدر هو

على كسر الوثاق، ووعدوا العطية الجزيلة. فسألته، فكذب ثلاث مرات. فقالت له هذه الفاجرة : كيف تقول أنك تحبني وقلبك ليس معي، وقد كذبتني ثلاث دفعات ؟ وضيقت عليه بكلامها أياما كثيرة، فاطلعها على كل شيء، وقال : ان حلقوا شعر رأسي زالت عني قوتي، وصرت كواحد من الناس. فلما رأت أنه قد أظهر ما في قلبه، فدعت رؤساء أهل فلسطين، وأنامته على ركبتها ودعت الحلاق، فحلق سبع خصال شعر رأسه، فزالت عنه قوّته فأسروه وقلعوا عينيه وحبسوه في السجن، ثم استشهد هناك. وهذه القصة مُصرح بها في الباب السادس عشر من سفر القضاة وشمسون نبي وتدلّ على نبوّته الآية ٥ و٢٥ من الباب الثالث عشر، والآية ٦ و١٩ من الباب الرابع عشر، والآية ١٤ و١٨ و١٩ من الباب الخامس عشر من السفر المذكور، والآية الثانية والثلاثون من الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية.

٢٣ ــ في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول في حال داود، لما فر من خوف شاوول ملك اسرائيل ووصل الى نوبا عند أخيملك الكاهن هكذا : « وأتى داود الى نوبا أخيملك الحبر، فتعجب أخيملك من اتيان داود. وقال له لماذا جئت وحدك وليس معك أحد ؟ ٢ فقال داود لاخيملك الكاهن ان الملك أمرني بشيء، وقال لي لا يعلم أحد بهذا فيما أبعثك وأمرتك، فاما الفتيان فقد فرضت لهم ذلك الموضع وذلك ٣ والآن ان كان شيء تحت يدك أو خمسة من الخبز فادفع اليَّ أو مهما وجدت ٦ وأعطاه الخبز خبز القدس الخ ٨ وقال داود لاخيملك أهنا تحت يدك سيف أو حربة، لأن سيفي وحربتي لم آخذ معي، لأن كان أمر الملك مسرعاً ». فكذب داود عليه السلام كذبا بعد كذب. وصارت ثمرة هذا الكذب أن شاوول السفاك ملك بني اسرائيل قتل أهل نوبا كلهم ذكورهم ونساءهم وأطفالهم ودوابهم من البقر والغنم والحمر، وقتل في هذه الحادثة خمسة وثمانون كاهنا. ونجا في هذه الحادثة ابن لاخيملك اسمه ابيثار، وفر ووصل الى داود عليه السلام، وأقر داود عليه السلام بأني سببٌ لقتل أهل بيتك كلهم، كما هو مُصرح به في الباب الثاني والعشرين من السفر المذكور.

٢٤ ــ في الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « قام داود

عليه السلام من فراشه بعد الظهر يتمشى على سطح مجلس ملكه، فابصر امرأة تغتسل على سطحها. وكانت جميلة جدا. فأرسل داود عليه السلام، وسأل عن الامرأة، وقالوا له أنها بنت شباع امرأة أوريا. فأرسل داود رسلا وأخذها ونام معها، ثم رجعت الى بيتها فحبلت، وأخبرته، وقالت اني قد حبلت. فارسل داود عليه السلام الى يواب قائلا له : أرسل اليَّ اوريا. فأرسل يواب أوريا. وسأل داود عليه السلام أوريا عن سلامة يواب وعن سلامة الشعب وعن الحرب، ثم قال : انزل الى بيتك. فخرج أوريا فرقد بباب بيت الملك ولم ينحدر الى بيته. وأخبروا داود عليه السلام أن أوريا لم ينزل الى بيته. فقال داود عليه السلام : لماذا لم تنحدر الى بيتك ؟ فقال أوريا تابوت الله واسرائيل ويهوذا في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي في القفر وأنا انطلق الى بيتي وآكل وأشرب وأنام مع امرأتي ؟ لا وحياتك وحياة نفسك اني لا أفعل هذا. وقال داود عليه السلام : أقم اليوم أيضا ههنا، واذا كان الغد ارسلك. وبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم، وفي اليوم الآخر دعاه داود عليه السلام ليأكل قدامه ويشرب، فسكره وخرج وقت المساء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ولم ينحدر الى بيته. فلما كان الصباح كتب داود عليه السلام صحيفة الى يواب وأرسلها بيد أوريا، وقال : صيروا أوريا في أول الحرب، واذا اشتبك الحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل. فلما نزل يواب حول القرية أقام أوريا في المكان الذي يعلم أن الرجال الشجعان هناك، فخرج أهل القرية فقاتلوا يواب فسقط من الشعب قوم من عبيد داود عليه السلام وأوريا فمات. وأرسل يواب الى داود عليه السلام وأخبره. وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات، فناحت عليه. فلما انقضت أيام مناحتها أرسل داود عليه السلام فادخلها بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابنا وأساء هذا الفعل الذي فعل داود أمام الرب ». انتهى ملخصا. وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني حكم الرب لداود على لسان ناثان النبي عليهما السلام هكذا : « ٩ ولماذا أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمام عيني وقتلت أوريا الحيتاني في الحرب، وامرأته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف بني عمون ؟ ١٤ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعلة، فالابن الذي ولد لك موتاً يموت ». فصدر عن

داود ثمانية خطيئات : **الأولى،** أنه نظر الى امرأة اجنبية بنظر الشهوة، وقد قال عيسى عليه السلام أن كُل مَنْ ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، كما هو مصرح به في الباب الخامس من انجيل متى. **والثانية،** أنه ما اكتفى على نظر الشهوة، بل طلبها وزنى بها وحرمة الزنا قطعية. ومن الأحكام العشرة المشهورة، كما قال الله في التوراة، لا تزن. **والثالثة،** ان هذا الزنا كان بزوجة الجار، وهذا أشدّ أنواع الزنا وذنب آخر، كما هو مصرح به في الأحكام العشرة المشهورة. **والرابعة،** ما أجرى حد الزنا لا على نفسه ولا على هذه الامرأة، والآية العاشرة من الباب العشرين من سفر الأحبار هكذا : « ومن زنى بامرأة صاحبه، أو زنى بامرأة لها رجل، فليقتل الزاني والزانية ». والآية الثانية والعشرون من الباب الثاني والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « إن اضطجع رجل مع امرأة غيره فكلاهما يموتان، الزاني والزانية، وارفع الشر من اسرائيل ». **والخامسة،** إن داود عليه السلام طلب أوريا من العسكر وأمره أن يذهب الى بيته، وجلّ غرض داود عليه السلام أن يلقي على عيبه ستراً. ويكون هذا الحبل منسوبا الى أوريا. ولما لم يذهب لأجل ديانته، وحلف أنه لا يروح فاقامه داود عليه السلام اليوم الثاني وجعله سكران يُسقى الخمر الكثير ليروح الى بيته في حالة الخمار. لكنه لم يرح في هذه الحالة أيضا مراعياً لديانته، ولم يلتفت الى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلا. فسبحان الله العزيز، حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في ترك الأمر الجائز لأجل الديانة هكذا، وحال ديانة الأنبياء الإسرائيلية في ارتكاب الفواحش هكذا. **والسادسة،** انه لما لم تحصل ثمرة مقصودة على اسكار أوريا عزم داود عليه السلام على قتله، فقتله بسيف بني عمون. وفي الآية السابعة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج : « لا تقتل البار الزكي ». **والسابعة،** أنه لم ينتبه على خطئه ولم يتب ما لم يعاتبه ناثان النبي عليه السلام. **والثامنة،** أنه قد وصل اليه حكم الله بأن هذا الولد الذي تولّد بالزنا يموت، ومع هذا دعا لأجل عافيته وصام وبات على الأرض.

٢٥ ـــ في الباب الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني أن حمنون الولد الأكبر لداود زنى بثامار قهراً، ثم قال لها أخرجي. ولما امتنعت عن الخروج

أمر خادمه فأخرجها، وأغلق الباب خلفها. فخرجت صارخة. وسمع داود عليه السلام هذه الأمور وشقت عليه، لكنه لم يقل لحمنون شيئاً لمحبته له، ولا لثامار. وكانت ثامار هذه أختاً لأبي شالوم بن داود عليه السلام يقيناً. ولذلك بغض أبيشالوم حمنون وعزم على قتله، ولما قدر عليه قتله.

٢٦ ــ في الآية الثانية والعشرين من الباب السادس عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « فضربوا لأبيشالوم خيمة على السطح ودخل على سراري أبيه تجاه جميع اسرائيل »، ثم حارب أبيشالوم الأب حتى قتل في تلك المحاربة عشرون ألفا من بني اسرائيل، كما هو مصرح به في الباب الثامن عشر. فابن داود عليه السلام هذا فاق روبيل الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه : **الأول**، أنه زنى بجميع سراري أبيه بخلاف روبيل، فانه زنى بسرية واحدة. **والثاني**، انه زنى تجاه جميع اسرائيل علانية بخلاف روبيل، فانه زنى خفية. **والثالث**، أنه حارب أباه حتى قُتل عشرون ألفا من بني اسرائيل. وداود عليه السلام مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السوء كان وصى رؤساء العسكر أن لا يقتله أحد. لكن يواب خالف أمره وقتل هذا الخلف السوء. ولما سمع داود عليه السلام بكى بكاءً شديداً وحزن عليه. وأنا لا أتعجب من هذه الأمور، لأن أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء، بل الأنبياء، ليست عجيبة، على حكم كتبهم المقدسة. بل أتعجب أن زناه بسراري أبيه كان بعدل الرب، وهو كان هيج هذا الزاني لأنه كان وعده على لسان ناثان النبي عليه السلام، لما زنى داود عليه السلام بامرأة أوريا. في الباب الثاني عشر من السفر المذكور هكذا : « ١١ فهذا ما يقول الرب هوذا أنا مثير عليك شراً من بيتك، وآخذ نساءك عيان، فاعطي صاحبك، فينضجع مع نسائك عيان هذا الشمس ١٢ فانك أنت فعلت هذا خفياً وأنا أجعل هذا الكلام أمام جميع اسرائيل ومقابل الشمس ». فوفى الله بما وعد.

٢٧ ــ في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول هكذا : « ١ وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرة غريبة وابنة فرعون ونساء من بنات الموابيين ومن بنات عمون ومن بنات أدوم ومن بنات الصيدانيين ومن بنات الحيثانيين ٢ من الشعوب الذين قال الرب لبني اسرائيل لا تدخلوا اليهم ولا

يدخلوا اليكم، لئلا يميلوا قلوبكم الى آلهتهم، وهؤلاء التصق بهم سليمان بحب شديد ٣ وصار له سبعمائة امرأة حرة، وثلثمائة سرية وأغوت نساءه قلبه ٤ فلما كان عند كبر سليمان أغوت نساؤه قلبه الى آلهة أخر، ولم يكن قلبه سليماً لله ربه مثل قلب داود أبيه ٥ وتبع سليمان عستروت اله الصيدانيين وملكوم صنم بني عمون ٦ وارتكب سليمان القبح أمام الرب، ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود ابيه ٧ ثم نصب سليمان نصبة لكاموش صنم مواب في الجبل الذي قدام أورشليم، ولملكوم وثن بني عمون ٨ وكذلك صنع لجميع نسائه الغرباء وهن يبخرن ويذبحن لآلهتهن ٩ فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله اسرائيل الذي ظهر له مرتين ١٠ ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء، ولم يحفظ ما أمره به الرب ١١ فقال الرب لسليمان أنك فعلت هذا الفعل، ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن، أشق شقا ملكك وأصيره الى عبدك ». فصدر عن سليمان عليه السلام خمس خطيئات : **الأولى**، وهي أعظمها أنه ارتد في آخر عمره الذي هو حين التوجه الى الله، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم ولو كان نبياً ذا معجزات، كما هو مصرح به في الباب الثالث عشر والسابع عشر من سفر الاستثناء. ولا يعلم من موضع من مواضع التوراة أنه يقبل توبة المرتد. ولو كان توبة المرتد مقبولة لما أمر موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل حتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على خطأ عبادته. **والثانية**، أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم. وهذه المعابد كانت باقية مئتي سنة حتى نجسها وكسر الأصنام يوسنا بن آمون ملك يهوذا في عهده بعد موت سليمان عليه السلام بأزيد من ثلثمائة وثلاثين سنة، كما هو مُصرح به في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني. **والثالثة** أنه تزوّج نساء من سفر الشعوب التي كان الله منع من الالتصاق بهم. في الباب السابع من الاستثناء هكذا : « ولا تجعل معهم زيجة، فلا تعط ابنتك لأبنه، ولا تتخذ ابنته لابنك ». **والرابعة**، تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على مَنْ يكون سلطان بني اسرائيل. في الآية السابعة عشر من الباب السابع عشر من سفر الاستثناء هكذا : « ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه ». **والخامسة**، أن نساءه كن يبخرن ويذبحن للأوثان،

وقد صُرح في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج « من يذبح للأوثان فليقتل ». فكان قتلهن واجباً. وأيضا انهن أغوين قلبه، فكان رجمهن واجباً، على ما هو مُصرَّح به في الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء. وهو ما أجرى عليهم الحدود الى آخر حياته. فالعجب أن داود وسليمان عليهما السلام ما أجريا حدود التوراة على أنفسهما، ولا على أهل بيتهما. فأية مداهنة أزيد من هذا ؟ أهذه الحدود فرضها الله للاجراء على المساكين المفلوكين فقط ؟ ولم تثبت توبة سليمان عليه السلام من موضع من مواضع العهد العتيق، بل الظاهر عدم توبته. لأنه لو تاب لهدم المعابد التي بناها، وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم تلك النساء المغويات. على أن توبته ما كانت نافعة، لأن حكم المرتد في التوراة ليس إلا الرجم. وما ادَّعى صاحب ميزان الحق في الصفحة الخامسة والخمسين من طريق الحياة المطبوعة سنة ١٨٤٧ من توبة آدم وسليمان عليهما السلام فادِّعاء بحت وكذب صرف.

٢٨ ـــ قد عرفتَ في الأمر السابع من مقدمة الكتاب أن النبي الذي كان في بيت ايل كذب في تبليغ الوحي، وخدع لأجل الله المسكين، وألقاه في غضب الرب وأهلكه.

٢٩ ـــ في الباب العاشر من سفر صموئيل الأول في حق شاوول ملك اسرائيل السفاك المشهور هكذا : « ١٠ وأتوا الى الرابية، واذا صف من الأنبياء استقبله، وحل عليه روح الرب فتنبأ بينهم ١١ وحينما نظره الذين يعرفونه من أمس وقبل من الأمس، فاذا هو مع الأنبياء متنبي. قال كل امرىء منهم لصاحبه : ما هذا الذي أصاب ابن قيس، ان شاوول في الأنبياء ١٢ فاجاب بعضهم البعض وقالوا مَنْ أبوهم ؟ من أجل هذا صار مثلا هل أيضا شاوول في الأنبياء ١٣ وفرغ مما تنبأ فأتى الى الخضيرة ». والآية السادسة من الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فاستقام روح الله على شاوول حين سمع هذا القول واحتمى غضبه جدا ». يُعلم من هذه العبارات أن شاوول كان مستفيضاً بروح القدس، وكان يخبر عن الحالات المستقبلة. وفي الباب السادس عشر من السفر المذكور : « وابتعد روح الله

من شاوول وصار روح ردي يعذبه بأمر الرب ». ويعلم منه أن هذا النبي سقط عن درجة النبوّة، فابتعد عنه روح الله، وتسلط عليه روح الشيطان. وفي الباب التاسع عشر من السفر المذكور هكـذا : « ٢٣ فانطلق شاوول الى نويت التي في الرامة وحلت عليه أيضا روح الرب، فجعل يسير ويتنبأ حتى انتهى الى نويت في الرامة ٢٤ وخلع هو ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل، وسقط عريان نهاره ذلك كله وليلته تلك كلها. فصار مثلا هل شاوول في الأنبياء ؟ فحصل لهذا النبي الساقط عن درجة النبوّة هذه الدرجة العليا مرة أخرى، ونزل عليه روح القدس نزولا قويا بحيث رمى ثيابه وصار عريانا. وكان على هذه الحالة يوما بليلته. فهذا النبي الجامع بين الروح الشيطاني والرحماني كان مجمع العجاب. فمن شاء فلينظر حال ظلمه وعتوه في السفر المذكور.

٣٠ ــ يهوذا الاسخريوطي كان أحد الحواريين، وكان مستفيضاً بروح القدس وممتلئا عنه صاحب الكرامات، كما هو مصرح به في الباب العاشر من انجيل متى. وهذا النبي باع دينه بدنياه، وسلم عيسى عليه السلام بأيدي اليهود بطمع ثلاثين درهما، ثم خنق نفسه ومات، كما هو مصرح به في الباب السابع والعشرين من انجيل متى وشهد يوحنا في الباب الثاني عشر من انجيله انه كان سارقا، وكان الكيس عنده، وكان يحمل ما يلقى فيه. أيكون النبي مثل هذا السارق البائع دينه بدنياه ؟

٣١ ــ فر الحواريون الذين هم في زعمهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية عليهم السلام في الليلة التي أخذ اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه في أيدي الأعداء. وهذا ذنب عظيم. وإن قيل إنّ هذا الأمر، إن صدر عنهم لجبنهم، والجبن أمر طبعي، أقول : لو سلم هذا فلا عذر لهم في شيء آخر هو كان أسهل الأشياء، وهو أن عيسى عليه السلام كان في غاية الاضطراب في هذه الليلة، وقال لهم ان نفسي حزينة جدا امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلا للصلاة، ثم جاء اليهم فوجدهم نياما، فقال لبطرس : أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا. فمضى مرة ثانية للصلاة، ثم جاء فوجدهم نياما، فتركهم ومضى. ثم جاء الى

تلاميذه وقال لهم : ناموا واستريحوا، كما هو مُصرح به في الباب السادس والعشرين من انجيل متى. ولو كان لهم محبة ما لما فعلوا هذا الأمر. ألا ترى أن العصاة من أهل الدنيا إذا كان مقتداهم أو قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب أو المرض الشديد في ليلة لا ينامون في تلك الليلة، ولو كانوا أفسق الناس ؟

٣٢ ـــ إن بطرس الحواري الذي هو رئيس الحواريين وخليفة عيسى عليه السلام، على ادعاء فرقة كاتلك، وإن كان متساوي الأقدام في الأمر المتقدم مع الحواريين الباقين، لكنه حصل له الفضل بأن اليهود لما أخذوا عيسى عليه السلام تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة، فجلس خارج الدار، فجاءت جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي. فأنكر قدام الجميع. ثم رأته أخرى وقالت للذين هناك : هذا كان مع يسوع الناصري. فانكر أيضا يقسم أني لست أعرف هذا الرجل وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضا منهم. فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف اني لا أعرف هذا الرجل. وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام عيسى عليه السلام أنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من انجيل متى. وقد قال المسيح عليه السلام له : اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من انجيل متى. وكتب مقدسهم بولس في الباب الثاني من رسالته الى أهل غلاطية هكذا : « ١١ ولكن لما أتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما ١٢ لأنه قبل ما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم. ولكن لما أتوا كان يؤخر نفسه خائفاً من الذين هم من أهل الختان ١٣ ورأى معه باقي اليهود أيضا حتى أن برنابا أيضا انقاد الى ريائهم ١٤ لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل، قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت، وأنت يهودي، تعيش أمميا فلماذا تلزم الامم أن يتهودوا ». وكان بطرس يتقدم على الحواريين في القول. لكنه في بعض الأوقات لا يدري ما يقول، كما صرح به في الآية الثالثة والثلاثين من الباب التاسع من انجيل لوقا. وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة

المطبوعة سنة ١٨٤٩ في بيروت في الصفحة ٦٠ « ان أحد الآباء يقول انه كان شديد اداء التجبر والمخالفة ». يوحنا فم الذهب مقالة ٨٢ و٨٣ في متى. ثم في الصفحة ٦١ : « يقول فم الذهب أنه كان ضعيفا متخلخل العقل، والقديس اغوستينوس يقول عن بطرس انه كان غير ثابت، لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً، وتارة يعرف أن المسيح غير مائت وتارة يخاف أن يموت، وكان المسيح يقول له مرة طوبى لك، وأخرى يقول له يا شيطان ». انتهى بلفظه. فهذا الحواري عندهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية. فاذا كان حال الأفضل من موسى كما علمت، فماذا يُعتقد في حق المفضولين ؟

٣٣ ــ كان رئيس الكهنة قيافا نبياً بشهادة يوحنا في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا قوله في حق قيافا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا : « ولم يقل هذا من نفسه لكن من أجل أنه كان عظيم الكهنة في تلك السنة، فتنبأ أن يسوع كان مزمعا أن يموت بدل الأمة ». فقوله تنبأ يدل على نبوّته. وهذا النبي أفتى بقتل عيسى عليه السلام وكفره وأهانه. فلو كانت هذه الأمور بالنبوّة والإلهام فعيسى عليه السلام واجب الرد، والعياذ بالله. وإن كانت باغواء الشيطان فأي ذنب أكبر من هذه ؟ وأكتفي على هذا القدر وأقول أن الذنوب المذكورة وأمثالها مصرح بها في كتب العهدين، ولم تقدح هذه الذنوب في نبوّة أنبيائهم أفلا يستحيون أن يعترضوا على محمد ﷺ في أمور خفيفة.

القسم الثاني

[في نَقْلِ مطاعن القساوسة والرد عليها]

واذا عرفت هذا فالآن أشرع في نقل مطاعنهم والجواب عنها وأقول :

المطعن الأول : مطعن الجهاد. وهو من أعظم المطاعن في زعمهم. ويقررونه في رسائلهم بتقريرات عجيبة مموهة منشؤها العناد الصرف. وأنا أمهد قبل تحرير الجواب أموراً خمسة :

الأمر الأول : ان الله يبغض الكفر ويجازي عليه في الآخرة يقيناً. وكذا يبغض العصيان. وقد يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا أيضا. فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما، كما في عهد نوح عليه السلام، فانه أهلك كل ذي حياة غير أهل السفينة بالطوفان، وتارة بالاغراق خصوصاً كما في عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده، وتارة بالإهلاك مفاجأة، كما أهلك أكبر الأولاد لكل انسان وبهيمة من أهل مصر في ليلة خرج بنو اسرائيل فيها من مصر، كما هو مصرح به في الباب الثاني عشر من سفر الخروج، وتارة بامطار الكبريت والنار من السماء وقلب المدن كما في عهد لوط عليه السلام، فانه أهلك سادوم وعمورة ونواحيهما بامطار الكبريت والنار وقلب المدن، وتارة باهلاكهم بالأمراض كما أهلك الأسدوديين بالبواسير، كما هو مصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول، وتارة بارسال الملك لأهلاكهم، كما فعل بعسكر الآثوريين حيث أرسل ملكاً فقتل منهم في ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانين ألفا، كما هو مُصرح به في الباب التاسع عشر من سفر الملوك الثاني، وتارة يكون بجهاد الأنبياء ومتبعيهم، كما ستعرف في الأمر الثاني. وكذا يعاقب العصاة ايضا وتارة بالخسف والنار، كما أهلك قورح وداثان وأبيرم وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الأرض وابتلعت قورح وداثان وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم، ثم خرجت نار فأكلت مائتين وخمسين رجلا، كما هو مُصرح به في الباب السادس عشر من

سفر العدد. وتارة بالاهلاك مفاجأة، كما أهلك أربعة عشر ألفا وسبعمائة لما خالف بنو اسرائيل في غد هلاك قورح وغيره. ولو لم يقم هرون عليه السلام بين الموتى والأحياء ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بغضب الرب في هذا اليوم، كما هُو مصرح به في الباب المذكور. وكما أهلك خمسين ألفا وسبعين رجلا من أهل بيت الشمس على أنهم رأوا تابوت الله، كما هو مصرح به في الباب السادس من سفر صموئيل الأول. وتارة بإرسال الحياة المؤذية، كما أن بني اسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة أخرى، أرسل الله عليهم الحيات المؤذية فجعلت تلدغهم فمات كثير منهم، كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر العدد. وتارة بارسال الملك كما أهلك سبعين الفا في يوم واحد على أن داود عليه السلام عد بني اسرائيل، كما هو مُصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني. وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا. ألا ترى أن الحواريين، على زعم المسيحيين، كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيلية ومن تابوت الله، وإن قاتليهم عند المسيحيين أسوأ من كفار عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام، وقتل نيرو الظالم المشرك الذي كان ملك ملوك الروم بطرس الحواري وزوجته وبولس وكثيرا من المسيحيين بأشدّ أنواع القتل، وكذا أكثر الكفار والحواريين وتابعيهم، وما أهلكهم الله بالإغراق ولا بإمطار الكبريت والنار وقلب المدن، ولا بقتل أكبر أولادهم، ولا بابتلائهم بالأمراض، ولا بإرسال الملك، ولا بإرسال الحيَّات ولا بوجه آخر.

الأمر الثاني : أن الأنبياء السابقين أيضا قتلوا الكفار وسبوا نساءهم وذراريهم ونهبوا أموالهم. ولا تختص هذه الأمور بشريعة محمد ﷺ، كما لا يخفى على مَنْ طالع كتب العهدين. وله شواهد كثيرة اكتفي على إيراد بعضها. /١/ في الباب العشرين من كتاب الاستثناء هكذا : « ١٠ وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولا الى الصلح ١١ فان قبلت وفتحت لك الأبواب، فكل الشعب الذي بها يخلص، ويكونون لك عبيداً يعطونك الجزية ١٢ وإن لم ترد، تعمل معك عهدا، وتبتدىء بالقتال معك، فقاتلها أنت ١٣ وإذا سلمها الرب إلهك بيدك، اقتل جميع مَنْ بها من جنس الذكر بفم السيف ١٤ دون

النساء والأطفال والدواب وما كان في القرية غيرهم، وأقسم للعسكر الغنيمة بأسرها وكل من سلب أعدائك الذي يعطيك الرب الهك ١٥ وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جدا وليست من هذه القرى التي ستأخذها ميراثا ١٦ فاما القرى التي تعطى أنت اياها فلا تستحيي منها نفسا البتة ١٧ ولكن أهلكهم إهلاكاً كلهم بحدّ السيف الحيثي والأموري والكنعاني والفرزي والحوابي واليابوسي، كما أوصاك الرب إلهك ». فظهر من هذه العبارة أن الله أمر في حق القبائل الست، أعني الحيثانيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوايين واليابوسيين، ان يقتل بحدّ السيف كل ذي حياة منهم، ذكورهم وإناثهم وأطفالهم. وأمر فيما عداهم أن يدعوا إولاً الى الصلح، فإن رضوا به وقبلوا الاطاعة واداء الجزية، فبها، وإن لم يرضوا يحاربوا. فاذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف ويُسبى نساؤهم وأطفالهم وينهب دوابهم وأموالهم وتقسم على المجاهدين. وهكذا يفعل بكل القرى التي هي بعيدة من قرى الأمم الست. وهذه العبارة الواحدة تكفي في جوابهم عن تقريراتهم الواهية. وقد نقلها العلماء الاسلامية سلفا وخلفا في مقابلتهم، لكنهم يسكتون عنها كأنهم لم يروها في كلام المخالف، ولا يجيبونه عنها لا بالتسليم ولا بالتأويل. /٢/ في الباب الثالث والعشرين من سفر الخروح هكذا : « ٢٣ وينطلق ملاكي امامك فيدخلونك على الأموريين والحيثانيين والفرزانيين والكنعانيين والحوايين واليابوسانيين الذين أنا أخرجهم ٢٤ لا تسجدن لآلهتهم، ولا تعبدها، ولا تعمل كأعمالهم، ولكن خربهم تخريبا، واكسر أوثانهم ». /٣/ في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج في حق الأمم الست هكذا : « ١٢ فاحذر أن تعاهد البتة سكان تلك الأرض الذين تأتيهم لئلا يكونوا لك عثرة ١٣ ولكن اهدم مذابحهم، وكسر أصنامهم، واقطع أنساكهم ». /٤/ في الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد : « ٥١ مُرْ بني اسرائيل وقُلْ لهم إذا عبرتم الأردن وأنتم داخلون أرض كنعان ٢٥ فأبيدوا كل سكان تلك الأرض، واسحقوا مساجدهم، واكسروا أصنامهم المنحوتة جميعها، واعقروا مذابحها كلها ٥٥ ثم أنتم، إن لم تبيدوا سكان الأرض، فالذين يبقون منهم يكونون لكم كأوتاد في أعينكم ورماح في أجنابكم

ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنونها ٥٦ وما كنت عزمت أني أفعل بهم سأفعله بكم ». /٥/ في الباب السابع من سفر الاستثناء هكذا : « ١ اذا أدخلك الرب الهك الأرض التي تدخل لترثها وتبيد الشعوب الكثيرة من قدامك، الحيثي والجرجيثاني والاموراني والكنعاني والفرزاني والحوايي واليوساني سبعة أمم أكثر منكم عددا وأشد منكم ٢ وسلمهم الرب الهك بيدك، فاضربهم حتى أنك لا تبقي منهم بقية، فلا تواثقهم ميثاقا ولا ترحمهم ٥ ولكن فافعلوا بهم هكذا : خربوا مذابحهم، واكسروا أصنامهم، وقطعوا مناسكهم، وأوقدوا أوثانهم ». فعلم من هذه العبارات أن الله أمر بإهلاك كل ذي حياة من الأمم السبع، وعدم الرحمة عليهم، وعدم المعاهدة معهم، وتخريب مذابحهم، وكسر أصنامهم، وإحراق أوثانهم، وقطع مناسكهم، وشدد في إهلاكهم تشديداً بليغاً، وقال إن لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم. ووقع في حق هذه الأمم السبعة « أنهم أكثر منكم عددا وأشدّ منكم ». وقد ثبت في الباب الأول من سفر العدد أن عدد بني اسرائيل الذين كانوا صالحين لمباشرة الحروب، وكانوا أبناء عشرين سنة وما فوقها، كان ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلا، وأن اللاويين مطلقا ذكوراً كانوا أو إناثاً، وكذا أناث سائر الأسباط الإحدى عشرة مطلقا، وكذا ذكورهم الذين لم يبلغوا عشرين سنة، خارجون عن هذا العدد. ولو أخذنا عدد جميع بني اسرائيل وضممنا المتروكين والمتروكات كلهم بالمعدودين لا يكون الكل أقل من ألفي ألف وخمسمائة ألف أعني مليونين ونصف مليون. وهذه الأمم السبعة إذا كانت أكثر منهم عددا وأشدّ منهم فلا بدّ أن يكون عدد هذه الأمم أكثر من عددهم. وألّف القسيس دقتركيث كتابا باللسان الانكليزي في بيان صدق الإخبارات عن الحوادث المستقبلة المندرجة في كتبهم المقدسة، وترجمه القسيس مريك باللسان الفارسي وسماه كشف الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل. وهذه الترجمة طبعت في أدن برغ سنة ١٨٤٦ من الميلاد وسنة ١٢٦٢ من الهجرة. ففي الصفحة ٢٦ من هذه الترجمة : « علم من الكتب القديمة أن البلاد اليهودية كان فيها قبل خمسمائة وخمسين سنة من الهجرة ثمانية كرورات ــ أي ثمانون مليونا ــ من ذي

حياة ». انتهى. فالغالب أن هذه البلاد في عهد موسى عليه السلام كانت معمورة مثلها أو أزيد منها : فأمر الله بقتل ثمانين مليونات أو أكثر منها من ذي حياة. /٦/ في الآية العشرين من الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج هكذا : « من يذبح للأوثان فليقتل ». /٧/ من طالع الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء علم أن الداعي الى عبادة غير الله، ولو كان نبيا صاحب معجزات، واجب القتل. وكذا الداعي الى عبادة الأوثان واجب الرجم وإن كان من الأقارب أو من الأصدقاء، وإن عبدها أهل القرية يقتل هؤلاء كلهم ودوابهم بحدّ السلاح، وتحرق القرية ومتاعها وأموالها بالنار، وتجعل تلاثم لا تُبنى. /٨/ في الباب السابع عشر من سفر الاستثناء هكذا : « ٢ اذا وجد عندك جوأة أحد أبوابك التي يعطيك الرب الهك رجل أو امرأة تعمل سيئة قدام الرب الهك ويعدوا ميثاقه ٣ ليذهبوا ويعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا لها ويسجدوا للشمس والقمر ولكل أجناد السماء ما لم آمر به أنا ٤ وأنت أخبر بذلك وسمعت ذلك وفحصت عنه بحرص، فوجدت أن ذلك حق وأنها قد صنعت رجاسة. فأخرج الرجل الذي فعل الفعل السيء أو الامرأة الى أبواب قريتك وارجموه بالحجارة ». /٩/ في الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ٢١ وأعطى نعمة لهذا الشعب قدام المصريين، واذا ما أردتم الخروج فلا تخرجوا فارغين ٢٢ بل تسأل الامرأة من جارتها ومن التي هي ساكنة دارها أواني فضة وذهب وثيابا، وتصنعونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون مصر ». ثم في الباب الحادي عشر من السفر المذكور قول الله لموسى عليه السلام هكذا : « ١ فتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبتها أواني فضة وأواني ذهب ٣ والرب يعطي لشعبه نعمة قدام المصريين ». ثم في الباب الثاني عشر من السفر هكذا : « ٣٥ وفعل بنو اسرائيل، كما أمر موسى، واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئاً كثيرا من الكسوة ٣٦ فاما الرب أوهب نعمة لشعبه أمام المصريين أن يعيروهم، واستلبوا المصريين ». فاذا كان عدد بني اسرائيل كما علمت، واستعار رجالهم ونساؤهم من المصريين يكون ما استعاروه مالا غير محصور، كما وعد الله أولا بأنكم تسلبون مصر، ثم أخبر ثانيا واستلبوا المصريين، لكنه

أجاز لهم السلب بحيلة الاستعارة التي هي في الظاهر خديعة وغدر. /١٠/ في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج في حال عبادة العجل هكذا : « ٢٥ فنظر موسى عليه السلام الشعب أنه قد صار عريانا، إنما عرّاه هرون لعار النجاسة وجعله عريانا بين الاعداء ٢٦ فوقف في باب المحلة، وقال مَنْ كان من حزب الرب فليقبل اليّ. فاجتمع اليه جميع بني لاوي ٢٧ وقال لهم هذا ما يقول الرب اله اسرائيل : ليتقلد كل رجل منكم سيفه فجوزوا في وسط المحلة من باب الى باب وارتدوا، وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبه وقريبه ٢٨ فصنع بنو لاوي كما أمرهم موسى عليه السلام، فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل ». فقتل موسى عليه السلام على عبادة العجل ثلاثة وعشرين ألفا. واعلم أنه وقع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٤٨ التي نقلت عنها هذه العبارة لفظ ثلاثة وعشرين ألف رجل.. /١١/ في الباب الخامس والعشرين من سفر العدد أن بني اسرائيل، لما زنوا ببنات الموات وسجدوا لآلهتهن، أمر الرب بقتلهم. فقتل موسى أربعة وعشرين ألفا منهم. /١٢/ من طالع الباب الحادي والثلاثين من سفر العدد ظهر له أن موسى عليه السلام لما أرسل اثني عشر ألف رجل مع فنيحاس بن العازار لمحاربة أهل ميدان، فحاربوا وانتصروا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوكهم وبلعام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار، فلما رجعوا غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال لم استحييتم النساء ؟ ثم أمر بقتل كل طفل مذكر وكل امرأة ثيبة وابقاء الأبكار. ففعلوا كما أمر وكانت الغنيمة من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا، ومن البقر اثنين وسبعين ألفا، ومن الحمير أحدا وستين ألفا، ومن الأبكار اثنتين وثلاثين ألفا، وكان لكل مجاهد ما نهب من غير الدواب والانسان وما بين مقداره في هذا الباب. غير أن رؤساء الألوف والمئين أعطوا الذهب لموسى ولعازار ستة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين مثقالا. وإذا كان عدد النساء الأبكار اثنتين وثلاثين ألفا، فكم يكون مقدار المقتولين من الذكور مطلقا شيوخا كانوا أو شبانا أو صبيانا ومن النساء الثيبات. /١٣/ عمل يوشع عليه السلام بعد موت موسى عليه السلام على

الأحكام المندرجة في التوراة، فقتل المليونات الكثيرة. ومن شاء فليطالع هذا الحال في كتابه من الباب الأول الى الباب الحادي عشر. وقد صرح في الباب الثاني عشر من كتابه أنه قتل احدى وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار، وتسلط بنو اسرائيل على مملكتهم. /١٤/ في الباب الخامس عشر من سفر القضاة في حال شمشون هكذا: « ووجد فكا، أعني خد حمار، فمد يده وأخذه وقتل به ألف رجل. /١٥/ في الباب السابع والعشرين من سفر صموئيل الأول: « ٨ وصعد داود ورجاله وكانوا ينهبون أهل جاسور وجرز وعمالق، لأن هؤلاء كانوا سكان الأرض من الدهر من حد سورا حتى حد مصر ٩ وكان يخرب داود كل الأرض، ولم يكن يُبقي منهم رجلا ولا امرأة، ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والامتعة، وكان يرجع ويأتي الى أخيس ». انظروا الى فعل داود عليه السلام، أنه كان يخرب الأرض، وما يُبقي رجلا ولا امرأة من أهل جاسور وجرز وعمالق وينهب دوابهم وأمتعتهم. /١٦/ في الباب الثامن من سفر صموئيل الثاني: « ٢ وضرب الموابيين ومسحهم بالجبال، وأضجعهم على الأرض، ومسح حبلين للقتل، وكمل حبلا واحدا للاستحياء. وكان الموابيون عبيداً لداود يؤدون اليه الخراج ٣ وضرب داود أيضا هدر عازار بن راحوب ملك صوبا الخ ٥ فاتت ارام دمشق ليعينوا هدر عازار ملك صوبا، وضرب داود من ارام اثنين وعشرين ألف رجل ». فانظروا الى فعل داود عليه السلام بالموابيين وهدر عازار وجيشه وجيش ارام. /١٧/ الآية الثامنة عشر من الباب العاشر من سفر صموئيل الثاني هكذا: « وهرب السريانيون من بين يدي اسرائيل، وقتل داود من السريانيين سبعمائة مركب، وأربعين ألف فارس، وسوباك رئيس الجيش ضربه فمات في ذلك المكان ». /١٨/ وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا: « ٢٩ فجمع داود جميع الشعب وسار الى راية فحارب أهلها وفتحها ٣٠ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، وكان وزنه قنطارا من الذهب، وكان فيه جواهر مرتفعة ووضعوه على داود. وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جدا ٣١ والشعب الذي كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين وأجازهم بقمين الاجاجر. كذلك صنع بجميع قرى بني عمون.

ورجع داود وجميع الشعب الى أورشليم ». ونقلت هذه العبارة لفظا لفظا عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤. فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بني عمون قتلاً شنيعاً وأهلك جميع القرى بمثل هذا العذاب العظيم الذي لا يتصور فوقه. /١٩/ في الباب الثامن عشر من سفر الملوك الأول أن ايليا عليه السلام ذبح أربعمائة وخمسين رجلا من الذين يدعون أنهم أنبياء بعل. /٢٠/ لما فتح أربعة ملوك سادوم وعامورة، ونهبوا جميع أموال أهاليهما، وأسروا لوطا عليه السلام، ونهبوا ماله أيضا، ووصل هذا الخبر الى ابراهيم عليه السلام، خرج ابراهيم عليه السلام ليخلص لوطا عليه السلام. ففي بيان هذا الحال في الباب الرابع عشر من سفر التكوين هكذا : « ١٤ فلما سمع ابرام أن لوطا ابن أخيه سبي، فأحصى غلمانه أولاد بيته ثلثمائة وثمانية عشرة، وانطلق في أثرهم حتى أتى دان ١٥ وفرق ارفاقه ونزل عليهم ليلا وضربهم وطردهم الى حوبا التي هي من شمال دمشق ١٦ واسترد المقتنى كله ولوطا ابن أخيه وماله والنسوة أيضا والشعب ١٧ وخرج ملك سادوم للقائه بعدما رجع من قتل كدر لغمور والملوك الذين معه في وادي شوا الذي هو وادي الملك ». /٢١/ في الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « ٣٢ وماذا أقول أيضا لأنه يعوزني الوقت ان أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء ٣٣ الذين بالايمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود ٣٤ أطفؤا قوة النار، نجوا من حدّ السيف، تقووا من ضعف، صاروا اشدّاء في الحرب، هزموا جيوش غرباء ». فظهر من كلام مقدسهم بولس ان قهر هؤلاء الأنبياء ممالك واطفاءهم النار ونجاتهم من حدّ السيف وهزمهم جيوش الكفار كان من جنس البر لا من جنس الاثم، وكان منشؤها قوّة الايمان ونيل مواعد الرحمن، لا قساوة القلب والظلم. وإن كان أفعال بعضهم في صورة أشدّ أنواع الظلم، سيما في قتل الصغار الذين ما كانوا متدنسين بدنس الذنوب، وقد عد داود عليه السلام جهاداته من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر : « ٢٠ ويجازيني الرب مثل بري ومثل طهارة يدي يكافئني ٢١ لأني حفظت طرق الرب ولم أكفر بالهي ٢٢ لأن جميع أحكامه قدامي وعدله لم أبعده عني ٢٣ وأكون

طهارة يدي قدام عينيه ». وقد شهد الله أن جهاداته وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عند الله. في الآية الثامنة من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول قول الله هكذا : « داود عبدي الذي حفظ وصاياي وتبعني من كل قلبه وعمل بما حسن أمامي ». فما قال صاحب ميزان الحق وغيره من علماء پروتستنت أن جهادات داود عليه السلام كانت لأجل سلطنته ومملكته، فمنشؤه قلة الديانة. لأن قتل النساء والأطفال، وكذا قتل جميع أهل بعض البلاد، ما كان ضرورياً لأجل هذه المصلحة. على أنا نقول أنا لو فرضنا أن هذا القتل كان لأجل السلطنة، لكنه لا يخلو إما أن يكون مرضياً لله وحلالا له، أو يكون مبغوضا عند الله ومحرما عليه. فان كان الأول ثبت مطلوبنا. وان كان الثاني لزم كذب قوله وقول مقدسهم وكذب شهادة الله في حقه ولزوم أن يكون دماء ألوف من المعصومين وغير واجبي القتل في ذمته، ودم البريء الواحد يكفي للهلاك، فكيف تحصل له النجاة الاخروية ؟ في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا « وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه ». وفي الباب الحادي والعشرين من المشاهدات : « وأما الجبانون والكفار والمرذولون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وكل الكذابين يكون نصيبهم في البحيرة الموقدة بالنار والكبريت هذا هو الموت الثاني ». والعياذ بالله. وحذراً من التطويل أكتفي على هذا القدر.

الأمر الثالث : لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة باقية في الشريعة اللاحقة بعينها، بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية في شريعة واحدة من أولها الى آخرها، بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين. وقد عرفت هذه الأمور في الباب الثالث بما لا مزيد عليه. فكان الجهاد مشروعاً في الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكري النبوّة، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية. وما كان بنو اسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم عن مصر، وصاروا مأمورين به بعد خروجهم. وعيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله، كما هو مُصرح به في الباب الثاني من

الرسالة الثانية الى أهل تسالونيقي، والباب التاسع عشر من المشاهدات. وكذا لا يُشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والعصاة على طريقة واحدة، كما علمت في الأمر الأول. فلا يجوز لمن يعتقد النبوّة والوحي أن يعترض في مثل هذه الأمور على شريعة. فلا يجوز له أن يقول ان اهلاك كل ذي حياة غير أهل السفينة في طوفان نوح عليه السلام، وإهلاك أهل سادوم وعامورة ونواحيهما في عهد لوط عليه السلام، وإهلاك كل ولد أكبر من أولاد الانسان والبهيمة من أهل مصر ليلة خروج بني اسرائيل عنها في عهد موسى عليه السلام، كان ظلما سيما اهلاك الوف في حادثة الطوفان واهلاك ألوف في الحادثتين الاخيرتين من أولاد الانسان الصغار وأولاد البهيمة التي هي ما كانت مدنسة بذنب من الذنوب. وكذا لا يجوز أن يقول ان قتل الامم السبعة كلها بحيث لا تبقى منهم بقية ما، سيما قتل أولادهم الصغار الذين ما كانوا اقترفوا ذنبا، ظلم. أو أن يقول ان قتل الرجال وسبي الذراري ونهب الأموال من غير الأمم السبعة، وان قتل ذكور المديانيين كلهم حتى الطفل الرضيع، وكذا قتل نسائهم الثيبات كلها وإبقاء الأبكار لأجل أنفسهم ونهب الأموال والدواب، ظلم. أو أن يقول ان جهادات داود عليه السلام وجهادات سائر الأنبياء الاسرائيلية عليهم السلام، أو ان ذبح ايليا عليه السلام أربعمائة وخمسين رجلا من أنبياء بعل، أو ان قتل عيسى عليه السلام بعد نزوله الدجال وعسكره، ظلم. لا يجوّز العقل أن يفعل الله أو يأمر أحدا بامثال هذا الظلم. وكذا لا يجوز أن يقول ان قتل الذابح للأوثان، وكذا قتل مَنْ يرغب الى عبادة غير الله، وكذا قتل أهل القرية كلها اذا ثبت منهم الترغيب، وكذا قتل موسى عليه السلام ثلاثة وعشرين ألفا من عبدة العجل، وكذا قتل موسى عليه السلام أربعة وعشرين ألفا من الذين زنوا ببنات مواب وسجدوا لآلهتهن، ظلم شنيع. وفي هذه الأحكام اجبار بأن يثبت الانسان على الشريعة الموسوية لأجل خوف القتل والرجم. وظاهر أن الايمان القلبي لا يمكن أن يحصل بالاجبار، بل يستحيل أن يحصل للانسان محبة الله ايضا بالاجبار. فامثال هذه الأحكام لا تكون من جانب الله. نعم من لا يكون معتقداً بالنبوّة والشرائع، ويكون ملحداً وزنديقا وينكر أمثال هذه الأمور لم يستبعد منه، لكننا لا كلام لنا معه

في هذا الكتاب، بل كلامنا فيه مع المسيحيين عموما وعلماء پروتستنت خصوصا.

الأمر الرابع : إن علماء پروتستنت يدّعون كذبا أن دين الاسلام شاع بالسيف. وهذا الادعاء غير صحيح، كما علمت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب. وأفعالهم غير أقوالهم. فإنهم، وكذا أسلافهم من أهل التثليث، إذا تسلطوا تسلطا تاما اجتهدوا في امحاء المخالفين. وأنا أنقل بعض الحالات من كتبهم ورسائلهم. فانقل حالهم بالنسبة الى اليهود من كتاب كشف الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل الذي عرفته في بيان الأمر الثاني. فأقول : قال صاحبه في الصفحة ٢٧ : « القسطنطين الاعظم الذي كان قبل الهجرة بثلثمائة سنة تقريباً أمر بقطع آذان اليهود واجلائهم الى أقاليم مختلفة. ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون المسيحية باخراجهم من البلدة السكندرية التي كانت مأمنهم من مدة. وكانوا يجيئون اليها من كل جانب فيستريحون فيها. وأمر بهدم كنائسهم ومنع عبادتهم وعدم قبول شهادتهم وعدم نفاذ الوصية إن أوصى أحدٌ منهم لأحد في ماله. ولما ظهر منهم بغاوة ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم، وقتل كثيراً منهم، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الاقليم ». ثم قال في الصفحة ٢٨ : « ان يهود البلد انطيوح لما أُسِروا، بعدما صاروا مغلوبين، قطع أعضاء البعض وقتل البعض وأجلى الباقين منهم كلهم، وظلم ملك الملوك في جميع مملكته هؤلاء المشاركين بأنواع الظلم. ثم أجلاهم من مملكته آخر الأمر، وهيج ولاة الممالك الأخرى على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة. فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا الى أقصى حدّ أوروبا. ثم بعد مدة قليلة كلفوا في مملكة اسبنيول لقبول شرط من الشروط الثلاثة أن يقبلوا الملة المسيحية فان أبوا عن قبولها يكونون محبوسين، وان أبوا عن كليهما يجلون من أوطانهم. وصار مثل هذه المعاملة معهم في ديار فرانس. فهؤلاء المساكين كانوا ينتقلون من اقليم الى اقليم، ولا يحصل لهم موضع القرار، ولم يحصل لهم إلا من في آسيا الكبير أيضا بل قُتلوا في كثير من الأوقات، كما قتلوا في ممالك الفرنج ». ثم قال في الصفحة ٢٩ : « إن أهل ملة كاتلك كانوا يظلمون

باعتقاد أنهم كفار. وعظماء هذه الملة عقدوا مجلسا للمشورة وأجروا عليهم عدة أحكام. الأول من حمى يهوديا على ضد مسيحي يكون ذا خطأ ويخرج عن الملة. والثاني أنه لا يُعطى يهودي منصبا في دولة من الدول. والثالث لو كان مسيحي عبد يهودي فهو حر. والرابع لا يأكل أحد مع اليهودي ولا يعامله. والخامس أن ينزع الأولاد منهم وتُربى في الملة المسيحية. وهكذا كان أحكام أخر ». أقول : لا شك أن الحكم الخامس أشد أنواع الاكراه. ثم قال : « كانت عادة أهل البلدة نولوس من اقليم فرانس انهم كانوا يلطمون وجوه اليهود في عيد الفصح، وكان رسم البلدة بزيرس ان أهلها من أول يوم الأحد من أيام العيد الى يوم العيد كانوا يرمون اليهود بالحجارة. وكان يكثر القتل أيضا في هذا الرمي، وكان حاكم البلدة المسيحي المذهب يهيج أهلها على هذا الفعل ». ثم قال في الصفحة ٣٠ و٣١ : « دبر سلاطين فرانس في حق اليهود أمراً وهو أنهم كانوا يتركون اليهود الى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة، ثم يسلبون أموالهم. وبلغ هذا الظلم لأجل الطمع غايته. ثم لما صار فيليب اوغوست سلطاناً في فرانس أخذ أولا الخمس من ديون اليهود التي كانت على المسيحيين، وابرأ من الباقي ذمة المسيحيين. وما أعطى اليهود حبة. ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته. ثم جلس على سرير السلطنة سانت لويس وهو يطلب اليهود مرتين في مملكته، وأجلاهم مرتين. ثم أجلى شارل السادس اليهود من مملكة فرانس. وقد ثبت من التواريخ أن اليهود أجلوا من مملكة فرانس سبع مرات. وعدد اليهود الذين أخرجوا من مملكة اسبنيول، لو فرض في جانب القلة، لا يكون أقل من مائة ألف وسبعين ألف بيت. وفي مملكة نمسا قتل كثير منهم ونهب كثير منهم، ونجا منهم قليل وهم الذين تنصروا. ومات كثير منهم بأن سدوا أولا أبوابهم ثم أهلكوا أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم، اما بالاغراق في البحر أو بالاحراق بالنار. وقتل غير المحصورين منهم في الجهاد المقدس. وكان الانكليز اتفقوا على أن يظلموا اليهود، فلما حصل اليأس العظيم ليهود البلدة يرك، بسبب الظلم، قتل بعضهم بعضا. فقتل ألف وخمسمائة من الرجال والنساء والأطفال، وصاروا أذلاء في هذه المملكة بحيث اذا بغى الأمراء على السلطان قتلوا سبعمائة يهودي ونهبوا

أموالهم لأجل أن يظهروا شوكتهم على الناس. وسلب رجاردوجان وهنري الثالث من سلاطين انكلتره مراراً أموال اليهود ظلما، سيما هنري الثالث. فانه كانت عادته أنه كان ينهب اليهود بكل طريق على وجه الظلم وعدم الرحم. وكان جعل أغنياءهم الكبار فقراء. وظلمهم بحيث رضوا على الجلاء واستجازوا أن يخرجوا من مملكته. لكنه ما قبل هذا الأمر منهم أيضا. ولما جلس ادورد الأول على سرير السلطنة ختم الأمر بأن نهب أموالهم كلها، ثم أجلاهم من مملكته. فأجلي أزيد من خمسة عشر ألف يهودي في غاية العسر ». ثم قال في الصفحة ٣٢ : « نقل مسافر اسمه سوتي انه كان حال قوم برتكال قبل خمسين عاما أنهم كانوا يأخذون اليهودي ويحرقونه بالنار، ويجتمع رجالهم ونساؤهم يوم احراقه كاجتماع يوم العيد، وكانوا يفرحون، وكانت النساء يصحن وقت احراقه لأجل الفرح ». ثم قال في الصفحة ٣٣ : « ان الباب الذي هو عظيم فرقة كاتلك قرر عدة قوانين شديدة في حق اليهود ». انتهى كلام كشف الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل. وقال صاحب سير المتقدمين « ان السلطان السادس من قسطنطين الأول أمر بمشورة أمرائه في سنة ٣٧٩ أن يتنصر كل مَنْ هو في السلطنة الرومية، ويقتل من لم يتنصر ». انتهى. وأي اكراه أزيد من هذا ؟ ولطامس نيوتن تفسير على الأخبار عن الحوادث المستقبلة المندرجة في الكتب المقدسة، وطبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣ في البلد لندن. ففي الصفحة ٦٥ من المجلد الثاني في بيان تسلط أهل التثليث على أورشليم هكذا : « فتحوا أورشليم في الخامس عشر من شهر تموز الرومي سنة ١٠٩٩ بعدما حاصروا خمس اسبوعات، وقتلوا غير المسيحيين، فقتلوا أزيد من سبعين ألفا من المسلمين، وجمعوا اليهود وأحرقوهم، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة ». انتهى.

واذاعرفت حال ظلمهم في حق اليهود خصوصا، وفي حق رعية السلطنة عموما، وما فعلوا عند تسلطهم على أورشليم، فالآن أذكر نبذاً مما فعل كاتلك بالنسبة الى غيرهم من المسيحيين. وانقل هذه الحالات عن كتاب الثلاث عشرة رسالة الذي طبع في بيروت سنة ١٨٤٩ من الميلاد باللسان العربي فأقول : قال في الصفحة ١٥ و١٦ : « أما الكنيسة الرومانية فقد

استعملت مرات كثيرة الاضطهادات والطرد المزعج ضد البروتستانت أي الشهود أو بالحري الشهداء، وذلك في ممالك أوربا. ويظن أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفا من الذين آمنوا بيسوع دون البابا، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها هدى وارشاداً لايمانهم وأعمالهم. وقد قتلت أيضا منهم ألوف وربوات بحدّ السيف والحبوس والكلبتين — وهي آلة لتخليع المفاصل بالجذب — وأفظع العذابات المتنوعة. ففي فرنسا قُتل في يوم واحد ثلاثون ألف رجل، وذلك في اليوم الملقب بيوم مار برثولماوس. وعلى هذا الأسلوب أذيالها مختضبة بدماء القديسين ». انتهى كلامه بلفظه. وفي الصفحة ٣٣٨ في الرسالة الثانية عشر من الكتاب المذكور : « يوجد قانون وُضع في المجمع الملتم في توليد وفي سبانيا، يقول : اننا نضع قانوناً أن كل مَنْ يقبل الى هذه المملكة فيما بعد لا نأذن له أن يصعد الى الكرسي إن لم يحلف أولا أنه لا يترك أحداً غير كاثوليكي يعيش في مملكته، وإن كان بعدما أخذ الحكم يخالف هذا العهد فليكن محروما قدام الإله السرمدي، وليصر كالحطب للنار الأبدية ». مجموع المجامع من كارتر اوجه ٤٠٤ : « والمجمع اللاتراني يقول ان جميع الملوك والولاة وأرباب السلطنة، فليحلفوا أنهم بكل جهدهم وقلوبهم يستأصلون جميع رعاياهم المحكوم عليهم من رؤساء الكنيسة بأنهم أراتقة، ولا يتركون أحدا منهم في نواحيهم. وإن كانوا لا يحفظون هذه اليمين فشعبهم محلول من الطاعة لهم ». رأس ٣ : « وهذا القانون قد ثبت أيضا في مجمع قسطنطيا ». جلسة ٤٥ : « ومن رسم البابا مرتينوس الخامس عن ضلال فيكل، وفي اليمين التي حلفت بها الأساقفة تحت رياسة الباب يوليوس الثالث سنة ١٥٥١ يوجد هذا الكلام : ان الاراتقة وأهل الاراتقة وأهل الانشقاق والعصاة على سيدنا البابا وخلفائه، هؤلاء بكل قوّتي أطردهم وأبيدهم. والمجمع اللاتراني ومجمع قسطنطيا يقولون ان الذي يمسك الاراتقة له اذن وسلطة أن يأخذ منهم كل مالهم ويستعمله لنفسه من غير مانع ». مجمع لا تراني ٤ مجلد ٢ فصل ١ وجه ١٥٢ ومجمع قسطنطيا جلسة ٤٥ مجلد ٧ : « والباب اينوشنيسوس الثالث يقول ان هذا القصاص على الأراتقة نحن نأمر به كل الملوك والحكام ونلزمهم اياه تحت القصاصات

الكنائسية ». رسم ٧ كتاب ٥ : « وفي سنة ١٧٢٤ وضع الملك لويس الحادي عشر ثمانية عشر قانونا، أوّلها أننا نأمر أن الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونية في مملكتنا. وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى فليذهبوا الى الاعتقال طول حياتهم، والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن الى الموت. وثانيها أننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية، والذين عملوا أو مارسوا عبادة مخالفة لها يعاقبون بالموت. وفي مخاطبة الأساقفة في سبانيا للملك سنة ١٧٦٥ يقولون له أعط الرسوم كل قوتها والديانة كل مجدها لكي تسبب هذه المقالة منا تجديد قوانين سنة ١٧٢٤ ـــ المذكورة ـــ وكان من جملة رسوم انكلترا تحت رياسة البابا أن كل من يقول أنه لا يجوز أن يسجد للأيقونات يحبس في السجن الشديد حتى يحلف أنه يسجد لها. والأسقف أو القاضي الكنايسي له سلطان أن يحضر إليه أو يحبس كل من يقع عليه الشبهة انه اراتيكي. والاراتيكي العنيد فليحرق بالنار قدام الشعب. وجميع الحكام فليحلفوا أنهم يعينون هذا القاضي على استئصال الاراتقة الذين عندما تظهر ارتقتهم تسلب أموالهم ويسلمون اليه وتمحى خطاياهم بلهيب النار ». كوك فرائض عدد ٣ وجه ٤٠ و٤١ وأيضا عدد ٤ وجه ١٥ : « وبارونيوس يقول أن الملك كارلوس الخامس كان يظن برأيه الباطل أنه يستأصل الاراتقة ليس بالسيف بل بالكلام. وفي فهرس الكتاب المقدس المطبوع في رومية باللاتيني والعربي تحت حرف الهاء، يوجد هذا التعليم : ان الاراتقة ينبغي لنا أن نهلكهم. ويورد الاثبات على ذلك أن الملك ياهو قتل الكهنة الكذابة، وايليا ذبح كهنة باعل، وغير ذلك. فاذن هكذا ينبغي لاولاد الكنيسة أن يهلكوا والاراتقة ». ثم في الصفحة ٣٤٧ و٣٤٨ : « والمؤرخ منتوان المتقدم في رياسة الكرمليين مع غيره من المؤرخين يخبرنا عن كاروز بالانجيل معتبر يقال له ثوما من رودن أحرقه البابا بالنار، لأنه كرز ضد فسادات الكنيسة الرومانية. والمؤرخون يدعونه قديسا وشهيدا حقيقيا للمسيح ». وفي الصفحة ٣٥٠ الى ٣٥٥ : « في سنة ١١٩٤ أمر الديفونسو ملك اراغون في سبانيا بنفي الواضيين من بلاده لأنهم أراتقة. وفي سنة ١٢٠٦ رغما عن الامير رايمون، والى مدينة ثولوس، أرسل الباب قضاة بيت

التفتيش الى تلك المدينة، لأن الأمير المذكور كان قد أبى أن ينفي هؤلاء الواضيين. ثم بعد قليل أرسل ملك فرنسا بطلب البابا الى تلك المدينة ونواحيها عسكراً عدده ثلثمائة ألف، فحاصر الأمير رايمون في مدينته لأجل المحاماة عن نفسه ولكي يدافع القوة بالقوة. فانذبح في ذلك القتال ألف ألف، وانكسر أهل رايمون، وأحاط بهم كل صنف من الاهانات والعذابات. وكان البابا في حركة هذه الحروب يقول لقومه اننا نعظمكم ونحتم عليكم أن تجتهدوا في ملاشاة هذه الأراتقة الخبيثة أرتقة الالبجيين — أي الواضيين — وتطردوهم بيد قوية أشد مما يكون ضد الساراجين أي المسلمين. وفي سنة ١٤٠٠ في آخر شهر كانون الأول قام أهل البابا بغتة على الواضيين في أودياييت مونت بلاد ملك سردينيا، فهربوا من وجوههم بلا قتال. ولكن قتل منهم كثيرون بالسيف، وكثيرون ماتوا بالثلج. ثم ان البابا بعد ذلك بسبع وثمانين سنة كلف البرتوس ارشيديا كونوس في مدينة كريمونا أن يحارب الواضيين في النواحي القبلية من فرنسا، وفي أودياييت مونت حيث بقي البعض منهم من الذين رجعوا بعد الحرب في سنة ١٤٠٠. وهذا الرجل المذكور تقدم حالا ومعه ثمانية عشر ألف محارب، وأقام تلك الحرب التي استمرت نحو ثلاثين سنة على المسيحيين الذين قالوا نحن في كل وقت نكرم الملك ونؤدي الجزية، ولكن أرضنا وديانتنا التي ورثناها من الله ومن آبائنا لا نريد أن نتركها. وفي كالابريا من بلاد ايطاليا سنة ١٥٦٠ قتل ألوف ألوف من البروتستنتيين، بعضهم قتل من العسكر، وبعضهم من محكمة بيت التفتيش. قال أحد المعلمين الرومانيين : انني أرتعد كلما أفتكر بذلك الجلاد والخنجر الدموي بين أسنانه، والمنديل يقطر دما بيده، وهو متلطخ بيديه الى الاكارع، يسحب واحدا بعد واحد من السجن، كما يفعل الجزار بالغنم وفي سنة ١٦٠١ نفى دوك السافوي خمسمائة عيلة من الواضيين. وأيضا سنة ١٦٥٥ وسنة ١٦٧٦ تجددت الاضطهادات عليهم في أودياييدمونت لأن الملك لويس الرابع عشر باشارة من البابا تقدم اليهم بجيشه، وهم في بيوتهم بغاية الطمأنينة، فذبح العسكر خلقا كثيراً منهم ووضعوا في الحبس أكثر من عشرة آلاف. فمات كثير منهم من الزحام والجوع. والذين سلموا أخرجوهم لكي

ينزحوا من تلك البلاد. وكان ذلك اليوم شديد البرد، والأرض مغطاة بالثلج والجليد. فكان كثير من الأمهات وأولادهن في أحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد. وكارلوس الخامس سنة ١٥٢١ أخرج أمراً في طرد البروتستنتيين في بلاد فلامنك عن رأي البابا. وبسبب ذلك قتل خمسمائة ألف نفر. وبعد كارلوس تولى ابنه فيلبس. ولما ذهب الى اسبانيا سنة ١٥٥٩ استخلف الامير ألفا على طرد البروتستنتيين، والمذكور في أشهر قليلة قتل على يد الجلاد الملوكي الشرعي ثمانية عشر ألفا. وبعد ذلك كان يفتخر بأنه قتل في كل المملكة ستة وثلاثين ألفا. والقتيل الذي يذكره المعلم كين في عيد مار برثولماوس كان في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ في وقت السلامة الكاملة وكان الملك ــ ملك فرنسا ــ قد وعد بأخته لأمير نافار، وهو من علماء البروتستنتيين وأشرافهم، ثم اجتمع هو وأصدقاء أعيان كنيستهم في باريس لأجل استمام الوعد بالزواج. ولما ضربت النواقيس لأجل الصلاة الصباحية قاموا بغتة حسب اتفاقهم السابق على الأمير وأصحابه وعلى جميع البروتستنتيين في باريس فذبحوا منهم للوقت عشرة آلاف نفر. وهكذا جرى أيضا في روين وليون وأكثر المدن في تلك البلاد، حتى قال البعض من المؤرخين انه قتل نحو ستين ألفا. واستمر هذا الاضطهاد مدة ثلاثين سنة، لأن البروتستنتيين مسكوا سلاحهم لكي يدفعوا القوة بالقوة. ومات في هذا الحرب منهم تسعمائة ألف. ولما سمع في رومية فعل ملك فرنسا في عيد مار برثولماوس أطلقوا المدافع من الأبراج، وذهب البابا مع الكرديناليين ليرتل مزمور الشكر في كنيسة مار بطرس، وكتب شكراً وتعظيماً للملك على الخبر والجميل الذي صنعه مع الكنيسة الرومانية بهذا العمل. فلما جلس الملك هنري الرابع على كرسي فرنسا قطع هذا الاضطهاد سنة ١٥٩٣. ولكن يظن أنه قُتل لأجل عدم تسليمه بالاغتصاب في أمر الدين. ثم أنه في سنة ١٦٧٥ تجدد الاضطهاد. وبعدما قتل خلق كثير يقول المؤرخون ان خمسين ألفا اضطروا أن يتركوا بلادهم لكي ينجوا من الموت ». انتهى كلامه. ونقلتُ عبارة هذا الكتاب بألفاظها من الرسالة الثانية عشر.

واذا عرفتَ حال ظلم فرقة كاتلك، فاعلم أن حال ظلم فرقة پروتستنت

قريب منه. وأنقل هذا الحال عن كتاب مرآة الصدق الذي ترجمه القسيس طامس انكلس من علماء كاتلك من اللسان الانكليزي الى اردو، وطبع سنة ١٨٥١ من الميلاد. ويوجد هذا الكتاب عند أهل هذه الفرقة في الهند كثيراً. في الصفحة ٤١ و٤٢ : « سلب پروتستنت في ابتداء أمرهم ستمائة وخمسة وأربعين رباطا، وتسعين مدرسة وألفين وثلثمائة وستة وسبعين كنيسة، ومائة وعشر مارستانات من ملاكها، فباعوا بثمن بخس وقاسمها الأمراء فيما بينهم، وأخرجوا ألوفا من المساكين المفلوكين عريانين من هذه الأمكنة ». ثم قال في الصفحة ٤٥ : « امتد طمعهم أنهم ما تركوا الأموات أيضا : آذوا أجسادهم في نوم العدم وسلبوا أكفانهم ». ثم قال في الصفحة ٤٨ و٤٩ : « وضاعت في هذه الغنائم كتبخانات ذكرها جيء بيل متحسراً بهذه الألفاظ : أنهم سلبوا كتبا واستعملوا أوراقها في الشواء وفي تطهير الشمعدانات والنعال، وباعوا بعض الكتب على العطارين وباعة الصابون، وباعوا كثير منها ما وراء البحر على أيدي المجلدين. وما كانت هذه الكتب مائة أو خمسين، بل المراكب كانت مملوءة منها. وأضاعوها بحيث تعجب الأقوام الأجنبية. وإني أعلم تاجراً اشترى كتبخانتين كلا منها بعشرين ربية. وبعد هذه المظالم ما تركوا من خزائن الكنائس إلّا جداراً عريانة. ثم ظنوا أنفسهم من أهل الوقار وملؤا الكنائس من أناس من أهل ملتهم ». ثم قال في الصفحة الثانية والخمسين الى الصفحة السادسة والخمسين : « فلنلاحظ الآن أفعال الجور التي فعلها پروتستنت في حق فرقة كاتلك الى هذا الحين : إنهم قرروا أزيد من مائة قانون كلها خلاف العدل والرحمة لأجل الظلم. ونحن نذكر عدة من هذه القوانين الجورية : ــ ١ ــ لا يرث كاتلك تركة أبويه. ــ ٢ ــ لا يشتري واحد منهم أرضا بعد ما يجاوز عمره ثماني عشرة سنة إلا أن يصير پروتستنت. ــ ٣ ــ لا يكون له مكتب. ــ ٤ ــ لا يشتغل أحد منهم بالتعليم، ومَنْ خالف هذا الحكم يحبس دائماً. ــ ٥ ــ مَنْ كان من هذه الملة يؤدي ضعف الخراج. ــ ٦ ــ ان صلى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلثمائة وثلاثين ربية من ماله، وان صلى أحد منهم ولا يكون قسيسا فعليه أداء سبعمائة ربية ويسجن سنة. ــ ٧ ــ إن أرسل أحد منهم ولده خارج انكلترا

للتعليم يقتل هو وولده ويسلب أمواله ومواشيه كلها. ـــ ٨ ـــ لا يعطى لهم منصب من الدولة. ـــ ٩ ـــ من لم يحضر منهم يوم الأحد أو العيد في كنيسة پروتستنت تؤخذ منه مائتا ربية في كل شهر، ويكون خارجا عن الجماعة، ولا يعطى له منصب. ـــ ١٠ ـــ من ذهب منهم بعيدا من لندن مسافة خمسة أميال يؤخذ منه ألف ربية مصادرة. ـــ ١١ ـــ لا يسمع استغاثة أحد منهم عند الحكام بحسب القانون. ـــ ١٢ ـــ ما كان أحد منهم يسافر أزيد من خمسة أميال مخافة أن ينهب ماله ومتاعه، وكذا ما كان أحد منهم يقدر على الاستغاثة في أمر عند الحكام مخافة أن يؤخذ منه ألف ربية مصادرة. ـــ ١٣ ـــ لا تنفذ أنكحتهم، ولا تجهيز موتاهم، ولا تكفين الموتى، ولا تعميد أولادهم، إلا إذا كانت هذه الأمور على طريقة كنيسة انكلترا. ـــ ١٤ ـــ إن تزوّجت إحدى نساء هذه الملة تأخذ الدولة من جهازها ثلثين، ولا ترث من تركة زوجها، ولا يوصي زوجها لها من تركته بشيء، ونساؤهم كن يحبسن الى أن يعطي أزواجهن عشر ربيات عشر ربيات في كل شهر أو يعطوا ثلث أراضيهم الى الدولة. ـــ ١٥ ـــ ثم صدر الحكم عاقبة الأمر : إن لم يصر كلهم پروتستنت يسجنون ثم يجلون من أوطانهم مدة حياتهم، وان أبوا عن الحكم أو رجعوا من الجلاء بدون الأمر كانوا ملزمين بالزام عظيم. ـــ ١٦ ـــ لا يحضر القسيس عند قتلهم ولا عند تجهيزهم وتكفينهم. ـــ ١٧ ـــ لا يكون السلاح في بيت أحد منهم. ـــ ١٨ ـــ لا يركب أحد منهم على حصان يكون ثمنه أزيد من خمسين ربية. ـــ ١٩ ـــ ان أدّى قسيس منهم أمراً من الخدمات المتعلقة به يُسجن دائماً. ـــ ٢٠ ـــ القسيس الذي يكون مولده انكلترا ولا يكون من ملة پروتستنت، إن أقام أزيد من ثلاثة أيام في انكلترا يتصوّر أنه غدار ويُقتل. ـــ ٢١ ـــ من أنزل القسيس المذكور على مكانه يُقتل. ـــ ٢٢ ـــ لا تقبل شهادة كاتلك في العدالة. وقُتل على هذه القوانين الجورية في عهد الملكة اليصابت مائتان وأربعة أشخاص، كان مائة وأربعة منهم قسيسين، والباقون من أهل الغنى. وما كان ذنبهم، غير أنهم أقروا أنهم من ملة كاتلك. ومات تسعون قسيسا وكبار آخرون في السجن. وأجلى مائة وخمسة أشخاص مدة حياتهم. وضرب كثيرا منهم بالسياط. وصودروا

وحرموا من أموالهم وأملاكهم حتى هلك عشيرتهم وقتلت ميري المشهورة ملكة اسكات وكانت بنت الخالة للملكة اليصابت لأجل كونها من ملة كاتلك ». ثم قال في الصفحة الحادية والستين الى السادسة والستين : « حُمل كثير من رهبانهم وعلمائهم بأمر الملكة اليصابت في المراكب، ثم أغرقوا في البحر. جاء عساكرها الى ايرلاند ليدخلوا أهل ملة كاتلك في ملة پروتستنت فاحرقوا كنائس كاتلك، وقتلوا علماءهم وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية، وكانوا لا يؤمنون أحدا، وان أمنوا أحداً قتلوه أيضا بعد الأمان، وذبحوا العسكر الذي كان في حصن سمروك، وأحرقوا القرى والبلاد، وأفسدوا الحبوب والمواشي، وأجلوا أهلها بلا امتياز المنزلة والعمر، ثم أرسل بارلمنت سنة ١٦٤٣ وسنة ١٦٤٤ الباشوات ليسلبوا جميع أموال كاتلك وأراضيهم بلا امتياز بينهم. وبقي أنواع الظلم الى زمن الملك جيمس الأول، وحصل التخفيف في الظلم في عهده، ثم رحمهم الملك سنة ١٧٧٨. لكن الپروتستنتيين سخطوا عليه، وقدموا عرضحال الى السلطان من جانب أربعة وأربعين ألفا من فرقة پروتستنت في ثاني حزيران سنة ١٧٨٠ واستدعوا أن يبقى بارلمنت القوانين الجورية في حق ملة كاتلك كما كانت. لكن بارلمنت ما التفتوا اليه. فاجتمع مائة ألف من پروتستنت في لندن وأحرقوا الكنائس وهدموا أمكنة كاتلك. وكان الحريق يُرى من موضع واحد في ستة وثلاثين مكانا. وكانت هذه الفتنة قائمة الى ستة أيام. ثم أوجد الملك قانوناً آخر سنة ١٧٩١ واعطى ملة كاتلك حقوقا هي حاصلة لهم الى هذا الحين ». ثم قال في الصفحة ٧٣ و٧٤ : « ما سمعتم حال چارتر اسكول الذي هو في ايرلاند. هذا الأمر محقق أن پروتستنت يجمعون في كل سنة مقدار مائتي ألف وخمسين ألف ربية وكراء أكثر المكانات الكبيرة، ويشترون بها أولاد فرقة كاتلك الذين هم من المساكين المفلوكين، ويرسلونهم في العربيات الى اقليم آخر بالخفية لئلا يرى آباؤهم وأمهاتهم. ويقع كثيرا أن هؤلاء الأشقياء اذا رجعوا الى أوطانهم تزوّجوا بأخواتهم أو اخوتهم أو آبائهم أو أمهاتهم للجهل وعدم الامتياز ». انتهى كلامه. والظلم الذي صدر عن بعض فرق پروتستنت بالنسبة الى بعض آخر لا أنقله حذراً من التطويل. وأكتفي على هذا

القدر، وأقول : انظروا الى هؤلاء الطاعنين على الملة المحمدية انهم كيف أشاعوا ملتهم بالجور والظلم.

الأمر الخامس : إن حكم الجهاد في الشريعة المحمدية هكذا : يُدعى الكفار أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام، فان قبلوه فبها ويكونون كأمثالنا، وإن لم يقبلوا فان كانوا من مشركي العرب فحكمهم القتل، كما كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة، والمرتد والذابح للأوثان والداعي الى عبادتها. وإن كانوا من غيرهم يُدْعَوْن الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة، فان قبلوا صارت دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا، وإن لم يقبلوا فيُحاربون مع مراعاة الشروط التي هي مُصرح بها في كتب الفقه، كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق غير الأمم السبعة. والخرافات التي نقلها علماء پروتستنت في بيان هذه المسئلة بعضها مفتريات، وبعضها هذيانات. وأنقل كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه الى رئيس عسكر فارس، وكتاب الأمان من عمر رضي الله عنه لنصارى الشام، ليظهر الحال على الناظر اللبيب.

أما **الأول** فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى رستم ومهران في ملأ فارس. سلام على مَن اتَّبع الهدى. أما بعدُ، فانا ندعوكم الى الاسلام، فان أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فان معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله، كما يحب فارس الخمر. والسلام على مَن اتَّبع الهدى ». وأما **الثاني** فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أمانا لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرها وسائر ملتها : إنها لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنقص منها ولا من صلبانهم ولا شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يُسكن ايلياء أحد من اليهود. وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية. ومن أحب من ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم يخلي بيعتهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية. ومن شاء رجع الى أرضه وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهدالله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ». وكل الناس يعترفون أن أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، كان شديداً في الإسلام في غاية الشدة، وكان جهاد الشام من أعظم جهاداته، وكان جاء بنفسه الشريف عند محاصرة ايلياء. ولما تسلط علي على ايلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحداً، ولا أكره على الايمان، وأعطاهم شروطا حسنة. وقد اعترف به مؤرخوهم ومفسروهم أيضا، كما عرفت من كلام طامس نيوتن في الفصل الثالث من الباب الأول. وقد عرفت في الأمر الرابع من هذا المبحث من كلام المفسر المذكور ما فعل المسيحيون في حق المسلمين واليهود اذ تسلطوا على ايلياء. والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسئلة الجهاد، ان الشريعة المحمدية ان يُدعى الكافر فيها **أولا** بالموعظة الحسنة الى الاسلام بخلاف الشريعة الموسوية. وظاهر انه لا قبح في هذه الدعوة. والامتناع، بعد الايمان، عن القتل عين الانصاف. في الآية الحادية عشر من الباب الثالث والثلاثين من كتاب حزقيال : « يقول الرب الاله لست أريد موت المنافق، بل أن يتوب المنافق من طريقه ». والآية السابعة من الباب الخامس والخمسين من كتاب اشعياء هكذا : « فليترك المنافق طريقه ورجل السوء أفكاره، وليرجع الى الرب فيرحمه، والى الهنا لأنه كثير الغفران ». **والثاني** انه كان حكم قتل النساء والصبيان اذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية، بخلاف الشريعة المحمدية. فان هؤلاء يُقتلون، وإن كانوا من مشركي العرب. كما كانوا ألا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضا اذا كانوا من غير الأقوام السبعة. فاذا تمهدت هذه الأمور الخمسة أقول لا شناعة في مسئلة الجهاد الاسلامي نقلا وعقلا. أما نقلاً فلما عرفته في الأمور المذكورة. وأما عقلاً فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن اصلاح القوة

النظرية مقدم على اصلاح القوة العملية. فاصلاح العقائد مقدم على اصلاح الأعمال. وهذه مقدمة مسلمة عند كافة المليين. ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الايمان عندهم. ولا يعاندنا المسيحيون أيضا في هذا الباب. لأن الأعمال الصالحة بدون الايمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضا. وأن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام. وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان قد يتنبه على خطئه وقبحه بتنبيه الغير. وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان لا يطيع الحق غالبا لأجل وجاهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي الى قول رجل من صنف آخر، بل يأنف من سماع كلامه، سيما اذا كان هذا القول مخالفا لطبائع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية، بخلاف ما اذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم، فلا يأنف من الاصغاء. كذا قد ثبت بالتجربة أن العدو اذا رأى أن مخالفه مائل الى الدعة والسكون يطمع في التسلط على مملكته. وهذا هو السبب الأغلبي في زوال الدول القديمة. وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين والديانة. ولذلك اضطر المسيحيون كافة الى ما يخالف انجيلهم المتداول، فقال أهل ملة كاتلك ان الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل مسيحي بواسطة العماد، لكون كل معتمد خاضعا للكنيسة الرومانية ومرؤسا منها، وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية، وبأن تسلم المصرين على ضلالهم والمضرين للجمهور الى ذوي الولاية ليعاقبوهم بالموت، وبالتالي يمكنها الزامهم بحفظ الايمان الكاتلكي والشرائع الكنائسية تحت أي قصاص كان. وقد نقل قولهم هذا اسحق بردكان من علماء پروتستنت في كتابه المسمى بكتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية عشر من الصفحة ٣٦٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٩ في بيروت. وقال علماء پروتستنت من أهل انكلترا : سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة انكلترا هذه وفي ولاياته الأخر، وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة، سواء كانت كنائسية أو مدنية في كل حال، وما هي خاضعة بل لا يصح أن تخضع لحاكم أجنبي. ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا

السلاح بأمر الحكام ويباشروا الحروب، كما هو مصرح به في العقيدة السابعة والثلاثين من عقائد دينهم. فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام، أعني « لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين، من سألك فاعطه ». فإن هذه الأقوال تخالف ما مهدوه. ولو عملوا على هذه الأقوال، لا أقول أزيد من هذا، أن سلطنة الانكليز تزول في الهند في أيام معدودة، ويخرجهم أهل الهند بلا كلفة. ولذلك قال بعض الظرفاء الأذكياء أطال الله حياته قادحاً على هذه الأقوال الزاما « تكليف للانسان بما ليس في وسعه ولا يمكن لدولة ما أن تعمل به، ولا يمكن الزام أحد به إلا بعض الصيادين الذين لا رداء لهم فيؤخذ منهم ولا يعبؤن باضاعة الوقت ». انتهى كلامه بلفظه. ثم قال : « وذلك كله غير مذكور في مرقص ويوحنا، مع أن النصارى كافة، على القائهم العمل بهذه الأحكام، ما زالوا يحتجون بها، وبها يستدلون على أفضلية مذهبهم. فكيف ساغ اذاً لمرقس ويوحنا أن يهملا ذلك ويتواطآ معا على قصة حل الجحش ؟ فهل من دأب المؤرخين أن يذكروا الخسيس من الأمور ويسكتوا عن الجليل ؟ ولا سيما أنهم هم المخاطبون به. ويمكن أن يقال أن من ذكره فانما نظر الى تكليف غيره، ومن سكت عنه فانما خشي تكليف نفسه ». انتهى كلامه بلفظه. وقال بعض الملاحدة ان هذه الأحكام التي يفتخر بها المسيحيون لا تخلو إما أن تكون مستحبة نظراً الى بعض الحالات، أو واجبة. فان كانت مستحبة فلا بأس بها، لكنها لا تختص بالملة المسيحية. فان هذا الاستحباب نظراً الى بعض الحالات يوجد في غير ملتهم أيضا. وان كانت واجبة فلا شك انها منابع المفاسد والشرور وأسباب زوال الدول والراحة والاطمئنان والسرور. واذ ثبت ما ذكرتُ، فلا شك في استحسان الجهاد عقلا اذا كان جامعاً للشروط المذكورة في الشريعة المحمدية. وتذكرتُ حكاية مناسبة للمقام : جاء بعض القسيسين في محكمة المفتي من محكمات الدولة الانكليزية في الهند، فقال : يا جناب المفتي، لي سؤال على المسلمين أمهل، المجيب الى سنة لأداء جوابه. فأشار المفتي الى ناظر محكمة، وكان رجلا

ظريفا، فقال : أي سؤال هذا ؟ قال القسيس : ان نبيكم ادّعى انه مأمور بالجهاد وما كان موسى مأموراً به ولا عيسى. فقال الناظر : أهذا هو السؤال الذي تمهلنا الى سنة لنتفكر في جوابه ؟ قال القسيس نعم. قال الناظر : لا نستمهلك، وأجيبك الآن لسببين : أما أولا فلأنا متعلقون بالدولة الانكليزية ولا فرصة لنا ألا في أيام التعطيل. فمن يمهلنا الى سنة ؟ وأما ثانيا فلأن هذا السؤال لا يحتاج في جوابه الى تأمل ماذا تقول في حق لجج[1] (يعني الحاكم الانكليزي الذي يكون بمنزلة القاضي في الشرع) أيجوز له بحسب القوانين الانكليزية أن يقتل القاتل قصاصاً اذا ثبت القتل عليه ؟ عنده قال القسيس : لا، لأنه ليس بمأمور بهذا، بل منصبه، أن يرسل هذا القاتل الى شيشن جج (يعني الحاكم الكبير منه). قال أيجوز لهذا الحاكم الكبير بحسب القوانين أن يقتله اذا ثبت القتل عنده ؟ قال القسيس : لا، لأنه ليس بمأمور أيضا، بل منصبه أن يحقق الأمر ثانيا ويخبر الحاكم الذي هو أعلى منه حتى يصدر حكم القتل عن هذا الاعلى، ثم يحكم هذا الكبير بقتله. فقال الناظر أهؤلاء الحكام الثلاثة ليسوا بمتعلقين بالدولة الواحدة الانكليزية ؟ قال القسيس : بلى، لكن اختلاف الاقتدار لأجل اختلاف مناصبهم. فقال الناظر : الآن ظهر الجواب من كلامك، فلا بدّ أن تعلم أن موسى وعيسى عليهما السلام بمنزلة الحاكمين الأولين، ونبينا بمنزلة الحاكم الثالث الأعلى. فكما لا يلزم من عدم اقتدار الحاكمين الأولين عدم اقتدار الثالث، فكذا لا يلزم من عدم اقتدار موسى وعيسى عليهما السلام عدم اقتدار محمد ﷺ. فسكت القسيس وخرج خائباً. فمن نظر الى ما ذكرت بنظر الانصاف وتجنَّب عن العناد والاعتساف، علم يقينا أن التشدد في مسئلة الجهاد وقتل المرتد والمرغب الى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية أشد وأكثر من التشدد الذي فيها في الشريعة المحمدية، وان طعن المسيحيين خلاف الانصاف جدا. وأتعجب من حالهم انهم لا ينظرون الى أن أسلافهم كيف أشاعوا ملتهم

(١) القاضي، وهي نسخ للكلمة الانكليزية : Judge.

بالظلم، وكيف قرروا القوانين الجورية لمخالفيهم. ولما طال هذا المبحث لا أتعرض لهوساتهم المندرجة في رسائلهم. وفيما ذكرت كفاية لدفع هذه الهوسات. وبالله التوفيق.

المطعن الثاني : من شروط النبوّة ظهور المعجزات على يد من يدّعيها. وما ظهرت معجزة على يد محمد، ﷺ، كما يدل عليه ما وقع في سورة الأنعام : ﴿ **مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ** ﴾[1]، وكذا ما وقع في تلك السورة : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جُهْدَ إِيمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلآيَاتُ عِنْدَ ٱللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]. وكذا ما وقع في سورة بني اسرائيل : ﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً** ﴾[3] وكذا بعض الآيات الأخر.

والجواب : ان الأمور الثلاثة التي ذكرها السائل تغليطات. اما **الأول** فلأن صدور المعجزة ليس من شروط النبوّة على حكم هذا الانجيل المتعارف. فعدم صدورها لا يدلّ على عدم النبوّة. في الآية الحادية والأربعين من الباب العاشر من انجيل يوحنا هكذا : « فأتى اليه كثيرون وقالوا ان يوحنا لم يفعل آية واحدة ». وفي الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي والعشرين من انجيل متى هكذا : « يوحنا عند الجميع نبي ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥ « كلهم يحسبون يحيى نبيا ». وقد وقع في الباب الحادي عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام في حقه : « انه أفضل من نبي ». فهذا

---

(١) سورة الأنعام (٥٧).

(٢) سورة الأنعام (١٠٩).

(٣) سورة الأسراء (٩٠ ــ ٩٣).

الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات على شهادة كثيرين، مع أن نبوّته مسلمة عند المسيحيين. وأما **الأمر الثاني** فغلط بحت، كما عرفت في الفصل الأول. **والأمر الثالث** اما غلط منهم أو تغليط. لأن المراد بما في قوله تعالى ما تستعجلون به الواقع في الآية الأولى العذاب الذي استعجلوه بقوله (فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم). ومعنى الآية (ما عندي ما تستعجلون به) أي العذاب الذي تستعجلون به. (ان الحكم إلا لله) في تعجيل العذاب وتأخيره. (يقص الحق) أي يقضي القضاء الحق من تعجيل وتأخير. (وهو خير الفاصلين) أي القاضين. فحاصل الآية أن العذاب ينزل عليكم في الوقت الذي أراد الله انزاله، ولا قدرة لي على تقدمه أو تأخيره. وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده. فلا تدل هذه الآية على أن محمدا ﷺ لم تصدر عنه معجزة. وأما الآية الثانية فمعناها : (واقسموا بالله جهد ايمانهم) مصدر في موضع الحال. (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء. (وما يشعركم) استفهام انكار (انها) أي الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) أي لا تدرون انهم لا يؤمنون بها. وهذا القول يدل على أنه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون. وأما الآية الثالثة فمعناها (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض) أي أرض مكة (ينبوعا) أي عينا غزيرة لا ينضب ماؤها أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء. (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي شاهدا على صحة ما تدعيه ضامنا لدركه. (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب (أو ترقى في السماء) أي في معارجها. (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك. عن ابن عباس قال عبدالله بن أبي أمية : لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. (نقرؤه قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم (هل كنت الا بشرا رسولا) كسائر

الرسل. وما كان مقصودهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ** ﴾[1] ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ** ﴾[2]. وكذا حال بعض آيات أخر. يفهم منه في الظاهر نفي اظهار الآية، لكن المقصود به نفي المعجزة المقترحة. ولا يلزم من هذا النفي نفي المعجزات مطلقاً، ولا يلزم على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون، بل هم لا يظهرون اذا طلب المنكرون عناداً أو امتحاناً أو استهزاءً. وأورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد.

الأول : في الباب الثامن من انجيل مرقس هكذا : « ١١ فخرج الفريسيون وابتدؤا يحاورونه طالبين مئة آية من السماء لكي يجربوه ١٢ فتنهد بروحه، وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يُعطى هذا الجيل آية ». فالفريسيون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان فما أظهر معجزة، ولا أحال في ذلك الوقت الى معجزة صدرت عنه فيما قبل، ولا وعد باظهارها فيما بعد أيضا. بل قوله لن يعطي هذا الجيل آية يدل على أن المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا البتة، لأن لفظ الجيل يشمل الجميع الذين كانوا في زمانه.

الثاني : في الباب الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ٨ وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه ٩ وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ١٠ ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداده ١١ فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده الى بيلاطس ». فعيسى عليه السلام ما أظهر معجزة في ذلك الوقت، وقد كان هيرودس يترجى أن يرى منه آية. والأغلب أنه لو رأى لألزم اليهود على اشتكائهم ولما احتقره مع عسكره ولما استهزأ.

---

(١) سورة الانعام (٧).

(٢) سورة الحجر (١٤).

الثالث : في الباب الثاني والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ٦٣ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزؤن به وهم يجلدونه ٦٤ وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من هو الذي ضربك. وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين ». ولما كان سؤالهم استهزاء وتوهيناً ما أجابهم عيسى عليه السلام.

الرابع : في الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ٣٩ وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم ٤٠ قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك ان كنت ابن الله، فانزل الآن عن الصليب ٤١ وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزؤن مع الكتبة والشيوخ قالوا : خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به ٤٣ قد أتكل على الله فلينقذه الآن ان اراده لأنه قال أنا ابن الله ٤٤ وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه ليعيرانه ». فما خلص نفسه عيسى عليه السلام في هذا الوقت، وما نزل عن الصليب، وان عيره المجتازون. ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللصان ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ كانوا يقولون انه ان نزل عن الصليب نؤمن به. فكان عليه لدفع العار ولإلـزام الحجة أن ينزل مرة عن الصليب ثم يصعد. ولكنهم لما كان مقصودهم العناد والاستهزاء ما أجابهم عيسى عليه السلام.

الخامس : في الباب الثاني عشر من انجيل متى هكذا : « ٣٨ حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ٣٩ فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي ٤٠ لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ». فطلب الكتبة والفريسيون معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام في هذا الوقت، وما أحالهم الى معجزة صدرت عنه فيما قبل هذا السؤال. بل سبهم وأطلق عليهم لفظ الفاسق والشرير، ووعد بالمعجزة التي لم تصدر عنه. لأن قوله (كما كان يونان في بطن الحوت الخ) غلط بلا شبهة، كما علمت، في الفصل الثالث من

الباب الأول. وان قطعنا النظر عن كونه غلطا، فمطلق قيامه لم ير الكتبة والفريسيون بأعينهم. ولو قام عيسى عليه السلام من الأموات كان عليه أن يظهر نفسه على هؤلاء المنكرين الطالبين آية ليصير حجة عليهم ووفاء بالوعد. وهو ما أظهر نفسه عليهم ولا على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة. ولذلك لا يعتقدون هذا القيام، بل هم يقولون من ذاك العهد الى هذا الحين أن تلاميذه سرقوا جثته من القبر ليلا.

السادس : في الباب الرابع من انجيل متى هكذا : « ٣ فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ٤ فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيى الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ٥ ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ٦ وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ٧ قال له يسوع : مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك ». فطلب ابليس على سبيل الامتحان من عيسى عليه السلام معجزتين، فما أجاب بواحدة منهما. واعترف في المرة الثانية أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه، بل مقتضى العبودية مراعاة الآداب وعدم التجربة.

السابع : في الباب السادس من انجيل يوحنا هكذا : « ٢٩ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله لن تؤمنوا بالذي هو أرسله ٣٠ فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ٣١ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا ». فاليهود طلبوا معجزة، فما أظهرها عيسى عليه السلام، ولا أحال الى معجزة فعلها قبل هذا السؤال، بل تكلم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر السامعين، بل ارتد كثير من تلاميذه بسببه، كما هو مصرح به في الآية السادسة والستين من الباب المذكور وهي في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا : « ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه ». وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥ : « ومن ثم ارتد كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يماشوه بعد ذلك.

الثامن : في الباب الأول من الرسالة الى أهل قورنيثوس هكذا : « ٢٢ فان اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة ٢٣ ونحن نكرز بالمسيح المصلوب، وذلك معثرة لليهود وحماقة لليونانيين ». فاليهود كما كانوا يطلبون المعجزة من المسيح عليه السلام كانوا يطلبونها من الحواريين أيضا. وأقر مقدسهم بولس بأنهم يطلبون المعجزة ونحن نكرز بالمسيح المصلوب. فظهر من هذه العبارات المنقولة ان عيسى عليه السلام والحواريين ما أظهروا معجزة بين أيدي الطالبين في الأوقات التي طلبوا المعجزات فيها، ولا أحالوا المنكرين الى معجزة فعلوها قبل هذه الأوقات. فلو استدل أحد بالآيات المذكورة على أن عيسى عليه السلام والحواريين ما كان لهم قدرة على اظهار أمر خارق للعادات وإلا لصدر عنهم في الأوقات المذكورة وأحالوا المنكرين الى أمر خارق صدر عنهم قبل هذه الأوقات. فلما لم يظهر منهم أحد الأمرين ثبت أنهم كان لهم قدرة على اظهاره، يكون هذا الاستدلال عند القسيسين محمولا على الاعتساف، ويكون قوله خلاف الانصاف. فكذا قول القسيسين عندنا بالتمسك ببعض الآيات القرآنية التي عرفت حالها خلاف الانصاف وعين الاعتساف. كيف لا وان المعجزات المحمدية مُصرح بها في القرآن والأحاديث الصحيحة، كما عرفتَ في الفصل الأول، وجاء ذكرها اجمالا أيضا في مواضع متعددة من القرآن : /١/ في سورة الصافات : ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[1] في الكشاف (واذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها. وفي التفسير الكبير : « والرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عنهم أنهم قالوا أن هذا إلا سحر مبين. يعني أنهم اذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها. والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنها من باب السحر. وقوله مبين معناه أن كونه سحراً أمر بيِّن لا شبهة لأحدٍ فيه ». انتهى كلامه. وفي البيضاوي : (واذا رأوا آية) تدل على

---

(١) سورة الصافات (١٤ ـــ ١٥).

صدق القائل (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون ما يرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته. انتهى. وفي الجلالين : (واذا رأوا آية) كانشقاق القمر (يستسخرون) يستهزؤن بها (وقالوا) فيها (ان) ما (هذا إلا سحر مبين) بيِّن. انتهى. ومثله في الحسيني. /٢/ وفي سورة القمر : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾[١] وقد عرفتها في الفصل الأول. /٣/ وفي سورة آل عمران : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ﴾[٢] في الكشاف في تفسير قوله (البينات) : الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوّة. انتهى كلامه. ولفظ البينات اذا كان موصوفه مقدَّراً فيستعمل في القرآن غالباً بمعنى المعجزات، واستعماله في غيرها في تلك الصورة قليل جدا فلا يحمل على المعنى القليل بدون القرينة القوية. في سورة البقرة : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[٣]. وفي سورة النساء : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ﴾[٤]. وفي سورة المائدة : ﴿ إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[٥]. وفي سورة الأعراف : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[٦]. وفي سورة يونس : ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[٧]، ثم في تلك السورة : ﴿ فَجَاءُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[٨]. وفي سورة النحل : ﴿ بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾[٩] وفي سورة طه : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ

---

(١) سورة القمر (٢).
(٢) سورة آل عمران (٨٦).
(٣) سورة البقرة (٨٧).
(٤) سورة النساء (١٥٣).
(٥) سورة المائدة (١١٠).
(٦) سورة الأعراف (١٠١).
(٧) سورة يونس (١٣).
(٨) سورة يونس (٧٤).
(٩) سورة النحل (٤٤).

﴿ ٱلْبَيِّنَات ﴾[1]. وفي سورة المؤمن : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِٱلْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[2]. وفي سورة الحديد : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[3] . وفي سورة التغابن : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ﴾[4] . وكذا في غير هذه المواضع. /٤/ في سورة الأنعام : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[5] . في البيضاوي : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحراً. وإنما ذُكر، أو وهم جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس. انتهى. وفي الكشاف : جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله وكذبوا بما ثبت بالحجة والبينة والبرهان الصحيح، حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، وقالوا الله أمرنا بها، وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب، وذهبوا فكذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول. انتهى. وفي التفسير الكبير : والنوع الثاني من خسارتهم تكذيبهم بآيات الله. والمراد منه قدحهم في معجزات النبي ﷺ وطعنهم فيها وإنكارهم كون القرآن معجزة باهرة بينة. انتهى. وفي تلك السورة أيضا : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِما يَمْكُرُونَ ﴾[6] . وفي التفسير الكبير في تفسير قوله واذا جاءتهم انهم متى ظهرت لهم معجزة باهرة. انتهى. والبابا الكزندر كان يعتقد أن

(١) سورة طه (٧٢).

(٢) سورة غافر (٢٨).

(٣) سورة الحديد (٢٥).

(٤) سورة التغابن (٦).

(٥) سورة الانعام (٢١).

(٦) سورة الانعام (١٢٤).

محمدا ﷺ صاحب الإلهام، وإن لم يكن ذلك الالهام عنده واجب التسليم. وقع في المجلد الخامس من كتابه المسمى بدنيد هي هذه الفقرة : « يا محمد، ان الحمامة عند أذنك ». ونقلتُ هذه الفقرة عن المجلد المطبوع سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٠٦ في لندن لكنها في النسخة الأولى في الصفحة ٢٦٧، وفي النسخة الثانية في الصفحة ٣٠٣، ولعل البابا أسند الهام محمد ﷺ الى الحمامة، لأن الإلهام عند المسيحيين يكون بواسطة روح القدس وقد نزل روح القدس على عيسى عليه السلام بعدما فرغ من الاصطباغ على صورة الحمامة، كما هو مصرح به في الباب الثالث من انجيل متى فظن أن الهام محمد ﷺ يكون بواسطة الحمامة.

المطعن الثالث : باعتبار النساء. وهو على خمسة أوجه : **الأول،** أن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات، ومحمد ﷺ لم يكتف بها بل أخذ تسعا لنفسه، وأظهر حكم الله في حقه ان الله أجازني لأن أتزوّج بأزيد من أربع. **والثاني،** أن المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم، وأظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه. **والثالث،** أنه دخل بيت زيد بن حارثة رضي الله عنه، فلما رفع الستر وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد رضي الله عنهما، فوقعت في نفسه، وقال سبحان الله. فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها، فتزوّج بها، وأظهر أن الله أجازني للتزويج. **والرابع،** أنه خلا بمارية القبطية رضي الله عنها في بيت حفصة رضي الله عنها في يوم نوبتها، فغضبت حفصة رضي الله عنها. فقال محمد ﷺ : حرمت مارية على نفسي. ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم، فاظهر أن الله أجازه لابطال اليمين باداء الكفارة. **والخامس،** انه يجوز في حق متبعيه ان مات أحد منهم أن يتزوّج الآخر زوجته بعد انقضاء عدتها، وأظهر حكم الله في حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوّج زوجة من زوجاته بعد مماته. وهذه الوجوه الخمسة منتهى جهدهم في المطعن باعتبار النساء. وتوجد هذه الوجوه كلها أو بعضها في أكثر رسائلهم مثل ميزان الحق، وتحقيق الدين الحق، ودافع البهتان، ودلائل اثبات رسالة المسيح، ودلائل النبوّة، ورد اللغو وغيرها. وأنا أمهد أمورا ثمانية يظهر منها جواب هذه الوجوه كلها فأقول :

الأمر اللأول : إن تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزا في الشرائع السابقة، لأن ابراهيم عليه السلام تزوج بسارة ثم بهاجر في حياة سارة وهو كان خليل الله، وكان الله يوحي اليه ويرشده الى أمور الخير. فلو لم يكن النكاح الثاني جائزاً لما أبقاه عليه، بل أمره بفسخه وحرمته. ولأن يعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة ليا وراحيل وبلها وزلفا فالأوليان منهما أختان ابنتا لابان خاله، والاخريان جاريتان، والجمع بين الاختين حرام قطعي في شريعة موسى عليه السلام، كما علمت في الباب الثالث. فلو كان التزوج باكثر من امرأة واحدة حراماً لزم أن يكون أولاده من تلك الأزواج أولاد حرام، والعياذ بالله، وكان الله يوحي اليه ويرشده الى أمور الخير. فكيف يتصور أن يرشده في أمور خسيسة ولا يرشده في هذا الأمر العظيم ؟ فابقاء الله يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة، سيما الاختين، دليل بيِّن على جواز مثل هذا التزوج في شريعته. ولأن جدعون بن يواش تزوج نساء كثيرة، في الباب الثامن من سفر القضاة هكذا : « ٣٠ وكان له سبعون ابناً خرجوا من صلبه، لأن كانت له نساء كثيرة ٣١ وسريته التي كانت له في شخيم ولدت له ابنا اسمه ابيمالك ». ونبوّته ظاهرة من الباب السادس والسابع من السفر المذكور، ومن الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية. ولأن داود عليه السلام تزوج نساء كثيرة تزوج أولا ميخال بنت شاوول، وكان بدل المهر مائة غلفة من غلف الفلسطانيين، وأعطاه داود عليه السلام مائتي غلفة من غلفهم، فاعطى شاوول داود عليه السلام ابنته ميخال. الآية السابعة والعشرون من الباب الثامن عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فمضت أيام قليلة وقام داود عليه السلام وانطلق هو ورجاله وقتل من الفلسطانيين مائتي رجل وأتى داود عليه السلام بغلفهم الى الملك ودفعها للملك بالتمام ليكون له ختنا فأعطى شاوول ميخال ابنته له امرأة ». والملاحدة يستهزؤن بهذا البدل من المهر ويقولون : أكان شاوول يريد أن يسوي من هذه الغلف حميلا ويعطيه بنته في الجهاز، أم كان غرضه شيئاً آخر. لكني أقطع النظر عن استهزائهم وأقول : لما بغى داود عليه السلام على شاوول، أعطى شاوول ميخال فلطي بن ليس الذي هو من جليم، كما هو مصرح به في آخر الباب الخامس والعشرين من السفر

المذكور، وتزوج داود عليه السلام بست نساء أخرى حينعام الازرعايلية، بيغال، ومعكا ابنة تلمي ملك جاشور، وحجيت، وابيطل، وعجلا، كما هو مُصرح به في الباب الثالث من سفر صموئيل الثاني. ومع كون هذه الست ما زالت محبة ميخال عن قلبه الشريف وان كانت في فراش الغير. فلذلك لما قتل شاوول طلب داود من اسباسوت بن شاوول زوجته ميخال، وقال له : رُدَّ عليَّ امرأتي ميخال التي خطبتها بمائة غلفة من غلف أهل فلسطين. فأخذها اسباسوت قهراً من فلطي بن ليس وأرسلها الى داود. فجاء هذا فلطي باكيا خلفها الى بحوريم، ثم رجع، كما هو مُصرح به في الباب المذكور فبعدما وصلت ميخال الى داود عليه السلام مرة أخرى صارت له زوجة وكمل عدد الزوجات السبع. ثم أخذ داود نساء أخرى وسراري لم يُصرَّح بعددها في كتبهم المقدسة. الآية الثالثة عشر من الباب الخامس من سفر صموئيل الثاني هكذا : « وأخذ داود أيضا نساء وسراري من أورشليم من بعد أن أتى من هرون، ووُلد لداود أيضا بنون وبنات ». ثم زنى بامرأة اوريا وقتل زوجها بالحيلة، ثم أخذها، فعاتبه الله على هذا الزنا، كما علمت في أول هذا الفصل. وداود عليه السلام وان كان خاطئاً في هذا الزنا والتزوج بتلك الامرأة لكنه لم يكن عاصيا في تزوج جم غفير من نساء أخرى، وإلا لعاتبه الله على تزوجهن كما عاتبه على تزوج امرأة أوريا، فعاتبه الله على تزوجها بل أظهر رضاه على هذا التزوج ونسب اعطاءه الى نفسه. وقال واذا كانت هذه قليلة أزيد مثلهن ومثلهن. وقول الله تعالى في حق داود عليه السلام على لسان ناثان النبي عليه السلام في الآية الثامنة من الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ في لندن على النسخة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ هكذا : « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيدك اضطجعت في حضنك، ووهبت لك بيت اسرائيل ويهوذا. واذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهن ومثلهن ». فقوله (وهبت) على صيغة المتكلم في الموضعين وقوله (اذا كانت هذه قليلة فازيدك مثلهن ومثلهن) يدلان على ما قلتُ. وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ الجملة الأخيرة هكذا : « فاذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول

فازيد مثلهن ومثلهن ». وتزوج في آخر عمره شابة عذراء أخرى اسمها أبي شاغ الشونامية وكانت جميلة جدا، كما هو مُصرح به في الباب الأول من سفر السلاطين الأول. ولأن سليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة، سبعمائة منهن حرات من بنات السلاطين، وثلثمائة جوارٍ، وارتد باغوائهن في آخر عمره، وبنى المعابد للأصنام، كما هو مُصرح به في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول، ولا يفهم من موضع من مواضع التوراة حرمة التزوج بازيد من امرأة واحدة. ولو كان حراماً لصرح موسى عليه السلام بحرمته، كما صرح بسائر المحرمات، وشدد في اظهار تحريمها، بل يفهم جوازه من مواضع. لأنك قد علمتَ في جواب الطعن الأول أن الابكار التي كانت من غنيمة المديانيين كانت اثنتين وثلاثين ألفا وقسمت على بني اسرائيل، سواء كانوا ذوي زوجات أو لم يكونوا، ولا يوجد فيه تخصيص العزب. وفي الباب الحادي والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « ١٠ واذا خرجتَ الى القتال مع أعدائك واسلمهم الرب الهك في يدك وسبيتهم ١١ ورأيت في جملة المسبيين امرأة حسنة وأحببتها وأردتَ أن تتخذها لك امرأة ١٢ فأدخلها الى بيتك وهي تحلق رأسها وتقص أظافرها ١٣ وتنزع عنها الرداء الذي سبيت به، وتجلس في بيتك وتبكي على أبيها وأمها مدة شهر، ثم تدخل اليها وترقد معها ولتكن لك امرأة ١٤ فان كانت بعد ذلك لا تهواها نفسك فسرحها حرة. ولا يستطيع أن تبيعها بثمن ولا تقهرها. انك قد ذليتها ١٥ وان كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة، ويكون لهما منه بنون، وكان ابن المبغوضة بكراً ١٦ وأراد أن يقسم رزقه بين أولاده، فلا يستطيع يعمل ابن المحبوبة بكرا ويقدمه على ابن المبغوضة ١٧ ولكنه يعرف ابن المبغوضة انه هو البكر، ويعطيه من كل ما كان له الضعف من أجل أنه هو أول بنيه، ولهذا تجب البكورية ». فقوله (ورأيت في جملة المسبيين) الخ. لا تختص بمخاطبٍ لا تكون له زوجة بل أعم، سواء كانت له زوجة أو لم تكن، ولا يوجد فيه التصريح أيضا بأن هذا الحكم يختص بمسبية واحدة فقط. بل الظاهر أنه اذا رأى المخاطب أزيد من واحدة وأراد أن يتخذها نساء كان له جائزا. فجاز لكل اسرائيلي أخْذَ نساء كثيرة. ودلالة قوله (وان كان

لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة، الخ.) على ما ادعينا ظاهرة غير محتاجة الى البيان. فثبت أن كثرة الأزواج ما كانت محرمة في شريعة موسى. فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحي الأمة الموسوية نساء.

الأمر الثاني : الصحيح في قصة زينب رضي الله عنها أنها بنت عمة رسول الله ﷺ، وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم طلقها زيد. ولما انقضت عدتها تزوج بها رسول الله ﷺ. وأنا أنقل بعض آيات سورة الاحزاب المتعلقة بهذه القصة مع عبارة التفسير الكبير وهي هكذا : ﴿ **وإِذْ تقُولُ للذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ** ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام ﴿ **وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** ﴾ بالتحرير والاعتاق ﴿ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ** ﴾ هم زيد بطلاق زينب، فقال له النبي ﷺ : أمسك، أي لا تطلقها ﴿ **وَاتَّقِ اللهَ** ﴾ قيل في الطلاق وقيل في الشكوى من زينب فان زيداً قال فيها أنها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفسِكَ ما اللهُ مُبْدِيهِ** ﴾ من أنك تريد التزوج بزينب ﴿ **وَتَخْشَى النَّاسَ** ﴾ من أن يقولوا أخذ زوجة الغير أو الابن ﴿ **واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** ﴾ ليس اشارة الى أن النبي ﷺ خشي الناس ولم يخش الله، بل المعنى الله أحق أن تخشاه وحده، ولا تخش أحدا معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضا، فاجعل الخشية له وحده، كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله. ثم قال تعالى ﴿ **فلمَّا قَضَى زَيْدٌ منهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ أي لما طلقها زيد وانقضت عدتها، وذلك لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن، وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلّقٌ لإمكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره. وأما اذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق، فيقضي منها الوطر. وهذا موافق لما في الشرع، لأن التزوج بزوجة الغير أو بمعتدته لا يجوز. فلهذا قال فلما قضى. وكذلك قوله ﴿ **لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ اذا قَضَوْا منهنَّ وَطَراً** ﴾[1] أي إذا طلّقوهن وانقضت عدّتهن. وفي إشارة الى أن التزويج من النبي ﷺ لم يكن لقضاء شهوة النبي عليه السلام بل لبيان الشريعة بفعله. فان

(١) جميع ما ورد في الأمر الثاني هو لسورة الأحزاب الآية رقم ٣٧.

الشرع يستفاد من فعل النبي ﷺ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾(١) أي مقتضياً ما قضاه كائن. ثم بيَّن أن تزوجه عليه السلام بها، مع أنه كان مبنياً لشرعٍ مشتملٍ على فائدة، كان خاليا عن المفاسد. انتهى كلامه بلفظه. فظهر أن زينب رضي الله عنها كانت تتكبر على زيد بسبب النسب وعدم الكفاءة. وهذا الأمر كان سبب عدم المحبة بينهما فأراد زيد رضي الله عنه أن يطلقها، فمنعه النبي ﷺ. لكنه طلقها آخر الأمر، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لبيان الشريعة لا لأجل قضاء الشهوة. وكان قبل نزول الحكم مخفياً لهذا الأمر لأجل عادة العرب. ولا بأس فيه كما ستعرف في الأمر الثالث ان شاء الله تعالى. والرواية التي وقعت في البيضاوي ضعيفة عند محققي أهل الحديث، كما صرح به المحقق المحدث الشيخ عبد الحق الدهلوي في بعض تصنيفاته، وفي شرح المواقف : « وما يُقال أنه أحبها حين رآها فما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله ». انتهى.

الأمر الثالث : إن الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم. أما الأول فقد عرفتَ بما لا مزيد عليه في الباب الثالث. وقد عرفت فيه أن سارة زوجة ابراهيم عليه السلام كانت أختاً علانية له، وأن يعقوب عليه السلام جمع بين الاختين، وأن عمران أبا موسى عليه السلام تزوّج بعمته. وهذه الزوجات الثلاث محرمة في الشريعة الموسوية والعيسوية والمحمدية وبمنزلة الزنا، سيما نكاح الأخت العلانية والعمة. وهذه الزوجات أقبح القبائح عند علماء مشركي الهند. فهم يشنعون تشنيعاً بليغاً ويستهزؤن بهؤلاء المتزوجين غاية الاستهزاء/ وينسبون أولادهم الى أشد أنواع الزنا. وفي الباب الخامس من انجيل لوقا هكذا : « ٢٩ والذين كانوا متكئين معه كانوا جمعا كثيرا من عشارين وآخرين ٣٠ فتذمر كتبتهم والفريسيون على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطأة ؟

---

(١) سورة الاحزاب (٣٧).

٣٣ وقالوا : لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرا ويقدمون طلبات، وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضا، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون ». فالكتبة والفريسيون الذين من أعظم فرق اليهود وأشرفها كانوا يشنعون على تلاميذ عيسى عليه السلام بأنهم يأكلون ويشربون مع الخطأة والعشارين وانهم لا يصومون. وفي الباب الخامس عشر من انجيل لوقا هكذا : « ١ وكان جميع العشارين والخطأة يدنون منه ليسمعوه ٢ فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل الخطأة ويأكل معهم ». فالفريسيون كانوا يشنعون على عيسى عليه السلام بأنه يأكل مع الخطأة ويقبلهم. وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال : « ٢ ولما صعد بطرس الى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان ٣ قائلين انك دخلت الى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم ». وفي الباب السادس من انجيل مرقس هكذا : « ١ واجتمع اليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم ٢ ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدٍ دنسة، أي غير مغسولة، لاموا ٣ لأن الفريسيين وكل اليهود، ان لم يغسلوا أيديهم باعتناء، لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ ٤ ومن السوق ان لم يغتسلوا لا يأكلون. وأشياء أخر كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤس وأباريق وآنية نحاس وأسرة ٥ ثم سأله الفريسيون والكتبة : لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ، بل يأكلون خبزا بأيدٍ غير مغسولة ». وفي ملة براهمة الهند وغيرهم من أقوام مشركي الهند تشددات عظيمة. وعندهم لو أكل أحد منهم مع المسلم أو اليهودي والنصراني خرج عن ملته. ونكاح زوجة المتبني بعد الطلاق كان قبيحاً عند مشركي العرب. ولما كان زيد بن حارثة رضي الله عنه متبني محمد ﷺ، كان محمد ﷺ أيضا يخاف أولا من طعن عوام المشركين في نكاح زينب رضي الله عنها. فلما أمره الله تزوج بها لبيان الشريعة، ولم يبال بعادة المشركين.

الأمر الرابع : إن الطاعنين من علماء پروتستنت لا يستحيون ولا ينظرون الى بضاعات كتبهم المقدسة من الاختلافات والاغلاط والأحكام التي عرفتَ نبذا منها في الباب الأول والفصل الثاني والثالث من الباب الخامس، ومن ذنوب الأنبياء وعشائرهم وأصحابهم التي قد عرفتها في ابتداء هذا الفصل.

وأريد ان لا أترك هذا الموضع أيضا خالياً عن ذكر بعض الأمور المندرجة في التوراة، وان حصل للناظر اطلاع على أمور كثيرة فيما سبق.

١ ــ في الباب الثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٣٧ فأخذ يعقوب عصياً خضرة من حور ولوز ومن دلب، وكشف من بياضها والخضرة ظاهرة فيها، فظهرت العصي المقشرة بلقاء وبيضاء ٣٨ ووتد العصي في مساقي الماء لكي اذا جاءت الغنم لتشرب تتوحم الغنم على العصي وفي نظرها اليها تحمل ٣٩ وصار انه في حمية التوحم النعاج تتبصر بالعصي وتنتج منقطة ومتمرة مختلفة اللون ٤٠ وعزل يعقوب القطيع ووضع القضبان في المساقي أمام الكباش، فكانت البيض والسود كلها للابان، والباقي ليعقوب، والقطعان مفترقة بعضها عن بعض ٤١ فكان في كل عام ما حمل من الغنم أولا جعل يعقوب القضبان قدام الغنم في المساقي ليتوحم الغنم على العصي ٤٢ وما حمل منها أخيراً لم يجعلها، فصار آخر نتاج الغنم للابان وأوله ليعقوب ٤٣ فاستغنى الرجل جداً جداً وصارت له مواشي كثيرة واماء وعبيد وابل وحمير ». وهذا عجيب أيضا فان الاولاد بحسب جري العادة غالبا تكون على شبه ألوان أصولهم. وأما كونهم على شبه ما يرونه من العصي وغيرها فلا يتوهمه أحد من العقلاء أصلا. وإلا يلزم أن يكون الأولاد المتولدة في الربيع خضرا كلهم.

٢ ــ في الباب الثالث عشر من سفر الاحبار هكذا : « ٤٦ وان كان في رداء أو ثوب ضربة البرص من الصوف كان الثوب أو من الكتان ٤٧ في السد أو في اللحمة أو في جلدة أو في عمل أديم ٤٨ فان كانت الضربة بيضاء أو حمراء، في الرداء أو في الجلد، في السداء أو في اللحمة أو في كل جلود الاديم، فانها ضربة برص فليروه ٤٩ فينظر الحبر الى الضربة ويحجز الحبر عليها سبعة أيام ٥٠ وينظر اليها في اليوم السابع فان رآها قد مشت في الرداء أو في السد أو اللحمة أو في أديم أو في كل أدم، يصنع الصنعة. فانها ضربة برص مر وهو نجس ٥١ فليحرق الحبر الرداء أو السدا أو لفافة الصوفة أو الكتان أو كل أديم من جلد يكون فيه ضربة من أجل أنه برص فيحرقونه بالنار ٥٢ وان رأى الحبر أن الضربة لم تفش في الثوب أو في السدا أو في

اللحمة أو في كل أديم من جلود ٥٣ فليأمر الحبر، فليغسل ما فيه الضربة، ويحجز عليه الحبر سبعة أيام أخر ٥٤ وينظر الحبر الى الضربة من بعدما غسلوها. فان لم تكن تغير لونها والضربة لم تتغير، فانه خبيث أحرقوه بالنار فانها ضربة في جدته أو في بلاه ٥٥ وان رأى الحبر انها قد استوت من بعد ما غسلت، فليأمر الحبر، فليلقط من الرداء أو من الجلد أو من السدا أو من اللحمة ٥٦ فان رأى أيضا في الرداء أو في السد أو في اللحمة أو في كل جلود الادم جميع ما يستعمل من الجلود، فالقوة في النار. فان الضربة قد كثرت فيه ٥٧ وكل رداء أو سدا أو لحمة أو اديم يذهب منه اذا غسل فيغسل مرتين فيطهر ٥٨ هذه سنة البرص في رداء الصوف أو الكتان أو السدا أو اللحمة أو كل جلود الادم يطهره أو ينجسه ». فانظروا الى هذه الأحكام، فانها ثمرات الأوهام. أيليق احراق الجلود والثياب بامثال هذه الوساوس ؟

٣ ــ في الباب الرابع عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٣٤ اذا دخلتم أرض كنعان التي أعطيكم ميراثاً، ان كان ضربة برص في بيت ٣٥ يخبر رب البيت الكاهن ويقول له : ان ظهر في بيتي ضربة كأنها برص ٣٦ يأمرهم الكاهن فيفرغون البيت قبل أن يدخل البيت لينظر اليه لئلا يتنجس كل ما في البيت، ثم يدخل الكاهن لينظر ضربة البيت ٣٧ فان كان ضربة في حيطان البيت قشورا صفراء أو حمراء ومنظرها أغمق من الحائط ٣٨ فليخرج الكاهن خارجا من البيت، وليقم بابه ويحجز على ذلك البيت سبعة أيام ٣٩ ثم يرجع في اليوم السابع فينظر. فان رأى الضربة قد فشت في حيطان البيت ٤٠ فليأمر الكاهن بالحجارة التي فيها الضربة، فتنقض وتُلقي خارجا من القرية في موضع نجس ٤١ ويقشر ذلك البيت من داخل باستدارته، ويُلقى التراب الذي قشر خارجا من القرية في موضع نجس ٤٢ تدخل حجارة أخرى في مكان تلك الحجارة، ويأخذون ترابا غير ذلك، ويطلون به البيت وبطين ٤٣ فان فشت الضربة وكثرت في البيت من بعد ما قشر البيت وطيِّن ٤٤ فليدخل الكاهن وينظر ان كانت الضربة قد فشت في البيت، فليعلم أن في البيت برصا مراً وهو نجس ٤٥ ولساعته يهدمونه ويلقون حجارته وخشبه وطينه بأسرها خارجة من القرية في موضع نجس ٤٦ ومن دخل ذلك البيت وهو محجوز

عليه يكون نجساً الى الليل ٤٧ ومن رقد فيه أو أكل فيه شيئاً فليغسل كسوته ٤٨ وان دخل الكاهن ورأى البرص لم يفش في البيت بعدما طين ثانيا، فليطهره الكاهن من أجل أنه قد برىء من ضربته ». فهذه الأحكام أيضا من ثمرات الأوهام. أتهدم البيوت بمثل هذه الأوهام التي هي أوهن من نسج العنكبوت ؟ أيعتقد عقلاء أوربا أن يكون الثوب أو الجلد أو البيت أبرص قابلا للاحراق أو الهدم ؟

٤ — في الباب الخامس عشر من سفر الأحبار هكذا : « ١٢ وأي اناء من فخار مسه من يقطر زرعه فليكسر، وان كان اناء من خشب أو نحاس فليغسل بالماء ١٦ وأيما رجل جنب، أو خرجت منه جنابة يغسل جسده كله بالماء ويكون نجسا الى الليل ٢٣ ومن مس ثوبا جلست عليه امرأة وهي طامث يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجساً الى الليل ٢٤ وان اضطجع معها رجل فأصابه من حيضتها فانه يكون جنبا سبعة أيام. وكل مضطجع يضطجع فانه يكون نجساً ». ففي الحكم الأول بالنسبة الى اناء الفخار اضاعة المال. وظاهر انه لا يسري شيء بمجرد المس فيه، وان توهم سريان شيء فيه فلم لم يكتف فيه بغسله بالماء كما اكتفى في اناء الخشب والنحاس ؟ وفي الحكم الثاني ما معنى كونه نجسا الى الليل بعدما غسل الجسد كله بالماء ؟ وفي الحكم الثالث أيضا نظر، لأن الظاهر أنه لا يسري شيء بمجرد مس الثوب الذي جلست عليه الحائض في جسد الماس، وان توهم سريان شيء، كان غسل العضو الذي به مس الثوب كافيا. وان توهم سريان شيء بمجرد المس في سائر جسده، فما معنى كونه نجسا الى الليل بعدما غسل الثياب والجسد كلها ؟ والعجب أن الرجل اذا جامع أو احتلم وصار جنبا لا يجب عليه غسل الثياب، بل يكفي غسل الجسد. وههنا بمجرد مس الثوب يلزم غسل الثياب أيضا. والحكم الرابع أعجب من الثلاثة فان الرجل بمجرد اصابة شيء من الحيض بم صار حكمه حكم الحائض، فكما هي تكون نجسة الى سبعة أيام، يكون هو أيضا نجساً الى سبعة أيام. وفي أحكام الحائض والمستحاضة أيضا تشددات عجيبة مذكورة في هذا الباب وبالنظر الى هذه الأحكام النصارى كلهم أنجس الناس لأنهم لا يراعونها مطلقا.

٥ ــ في الباب السادس عشر من سفر الاحبار هكذا : « ٧ ثم يأخذ الجديين ويقيمهما أمام الرب مذبوحين في باب قبة الزمان ٨ ويقترع عليهما قرعتين، قرعة واحدة للرب، وقرعة أخرى لعزرائيل ٩ ويقرب هرون الجدي الذي أصابته قرعة الرب ويصيره قرباناً بدل الخطيئة ١٠ والجدي الذي وقعت قرعة عزرائيل يقوم حيا أمام الرب ليستغفر عليه ويسرحه لعزرائيل الى القفر ». وهذا الحكم عجيب أيضا. وما معنى القربان لعزرائيل وتسريحه الى القفر ؟ ولا ريب أنه قربان لغير الله. ورأيت مشركي الهند أنه يتركون الثيران على أسماء آلهتهم، لكنهم يتركونها في الأسواق لا في القفر حتى تموت جوعا وعطشا.

٦ ــ في الباب الخامس والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « ٥ اذا سكن اخوة جميعا فمات أحدهم وليس له ولد فلا تتزوّج امرأة الميت برجل غريب، ولكن يأخذها أخوه ويقيم زرع أخيه ٦ والولد البكر الذي يكون منها فليسمه باسم أخيه لئلا يبطل اسمه من اسرائيل ٧ فان لم يرض أن يأخذ امرأة أخيه التي تحق له بالسنة فتذهب المرأة الى باب القرية، الى المشيخة، وتقول لهم أن أخا زوجي لا يريد أن يقيم اسم أخيه في اسرائيل، ولا يريد أن يأخذني له زوجة ٨ ولوقتهم يطلبونه ويسألونه. فان أجاب وقال لا أريد أن أتزوّجها ٩ فتدنو المرأة منه قدام المشايخ وتخلع الخف من رجله وتبصق في وجهه، وتقول : هكذا يفعل بكل رجل لا يعمر بيت أخيه ١٠ ويُدعى اسمه في اسرائيل بيت مخلوع الخف ». وهذا الحكم عجيب أيضا لأن امرأة الميت قد تكون عوراء أو عمياء أو عرجاء أو شوهاء قبيحة الصورة أو غير عفيفة أو معيبة بعيب آخر. فكيف يرضى بها الرجل ؟ وهذه الاقامة لزرع أخيه أيضا عجيبة، وأعجب منها أن علماء پروتستنت تركوا هذا الحكم العظيم الشأن، وقالوا : « لا يحل للرجل أن يتزوج زوجة أخيه ». كما هو مصرح به في جدول القرابة والنسب من كتاب الصلاة العامة وغيرها من رسوم الكنيسة وطقوسها على موجب استعمال الكنيسة الانكليزية والارلندية المطبوع سنة ١٨٤٠ في فالته، مع أن بيان المحرمات لا يوجد في الانجيل وما أخذوها إلا من التوراة.

الأمر الخامس : ان المتقشف اذا كان جل همته الاعتساف يعترض بامثال اعتراضاتهم على المسيح عليه السلام والحواريين. في الباب السابع من انجيل لوقا هكذا : « ٣٣ جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان ٣٤ وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطأة ٣٦ وسأله واحد من الفريسيين ان يأكل معه، فدخل بيت الفريسي واتكأ ٣٧ واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة، اذ علمت أنه متكىء في بيت الفريسي، جاءت بقارورة طيب ٣٨ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع، وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ٣٩ فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلا : لو كان هذا نبياً لعلم هذه الامرأة التي تلمسه وما هي انها خاطئة ٤٤ ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : أتنظر هذه المرأة أني دخلت بيتك، وماء لأجل رجلي لم تعط. واما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ٤٥ قبلة لم تقبلني، وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي ٤٦ بزيت لم تدهن رأسي، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي ٤٧ من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا، والذي يغفر له قليل يحب قليلا ٤٨ ثم قال لها مغفورة لك خطاياك ٤٩ فابتدأ المتكؤن معه يقولون في أنفسهم : من هذا الذي يغفر الخطايا أيضا ٥٠ فقال للمرأة ايمانك قد خلصك اذهبي بسلام ». وفي الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ١ وكان انسان مريضاً وهو لعازر من بيت عينا قرية مريم ومرتا أختها ٢ وكانت مريم التي كان لعازر أخوها هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ٥ وكان يسوع يحب مرتا وأختها ولعازر ». فهذه المحبوبة مريم هي التي كانت دهنت ومسحت رجلي عيسى عليه السلام. وفي الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا : « ٢١ لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد، وقال : الحق الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمني ٢٢ فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه ٢٣ وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ٢٤ فأوما اليه سمعان يطرس ان يسأل مَنْ عسى أن يكون الذي قال عنه

٢٥ فاتكأ ذاك على صدر يسوع، وقال له : يا سيدي من هو ؟ ». ووقع في حق التلميذ في الآية السادسة والعشرين من الباب التاسع عشر، والآية الثانية من الباب العشرين، والآية السابعة والآية العشرين من الباب الحادي والعشرين من انجيل يوحنا أن يسوع كان يحبه. وفي الباب الثامن من انجيل لوقا هكذا : « ١ وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية ويكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ٢ وبعض نساءٍ كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض : مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين ٣ وبونا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنة، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن ». وظاهر أن الخمر أم الخبائث وقبيحة عند الله وسبب للضلال والكفر والهلاك ولا يناسب شربها للاتقياء، وازالة العقل من خواصها اللازمة، سواء كان الشارب نبياً أو غير نبي. ولذلك حرم الله شربها على هرون وأولاده اذا أرادوا الدخول في قبة الشهادة لأجل الخدمة، وجعلها سبب الموت وجعل حرمتها عهداً أبدياً معهم. في الباب العاشر من سفر الأحبار هكذا : « ٨ وقال الرب لهرون ٩ لا تشربوا خمراً ولا شيئاً آخر يُسكر لا أنت ولا بنوك اذا أردتم الدخول في قبة الشهادة، لئلا تموتوا. ويكون هذا عهدا لكم الى الأبد في أجيالكم ». ولذلك منع ملك الرب زوجة مانوح من شرب الخمر وشرب كل مسكر وقت حملها، ليكون ولدها من الأتقياء، ولا يسري خبث المسكرات في هذا الولد التقي. وأكد على زوجها أيضا في هذا الباب. في الباب الثالث عشر من سفر القضاة هكذا : « ٤ اياك من شرب الخمر والمسكر ولا تأكلي شيئاً نجساً ١٣ فقال ملاك الرب لمنوح فليحذر عن جميع ما قلت لأمرأتك ١٤ ولا تأكل شيئاً مما يخرج من الكرم ولا تشرب خمراً ولا مسكراً ولا تأكل شيئاً نجساً، وتحفظ بكل ما أمرتها به وتفعل ما قلت لها ». ولذلك لما بشر الملك زكريا بولادة يحيى عليهما السلام بيَّن من أوصاف تقوى يحيى أنه لا يشرب خمراً ولا مسكراً آخر. الآية الخامسة عشر من الباب الأول من انجيل لوقا هكذا : « لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ». ولذلك اشعيا عليه السلام ذمَّ شاربَ المسكر وشهد أن الأنبياء والكهنة ضلوا بسبب شرب الخمر والمسكرات. الآية الثانية والعشرون من الباب الخامس من كتاب

أشعيا هكذا : « الويل للأقوياء منكم على شرب الخمر والمقتدرين أن يمزجوا المسكرة ». والآية السابعة من الباب الثامن والعشرين من كتابه هكذا : « وهؤلاء أيضا لم يفهموا بسبب الخمر وضلوا من المسكر الكاهن والنبي لم يعلموا للمسكر، غرقوا في الخمر، تاهوا من المسكر، لم يعلموا الرؤيا، ولم يفهموا القضاء ». وقد عرفت في أول هذا الفصل أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر وزال عقله وصار عرياناً، وأن لوطا شرب الخمر وزال عقله وفعل بابنتيه ما فعل بحيث لم يسمع مثله من المولعين بشربها. وفي الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا هكذا : « ٤ قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان مترزا بها ». وقال اللوذعي الألمعي الظريف فارس مضمار البلاغة أطال الله بقاءه الزاما هكذا : « هذا يوهم أن عيسى عليه السلام وقتئذ كان قد سرت فيه الخمرة حتى لم يكن يدري ما يفعل. فان غَسْلَ الأقدام لا يوجب التجرد عن الثياب ». انتهى كلامه بلفظه. وقال سليمان الحكيم النبي عليه السلام في ذم الشراب في كتابه سفر الأمثال، في الباب الثالث والعشرين هكذا : « ٣١ لا تنظر الى الخمر اذا اصفر واذا شعشع لونه في الزجاج ويدخل لذيذا ٣٢ وفي نهاية أمره يلدغ كالحية، ومثل ملك الحيات يسكب سمومه ». وكذا اختلاط النساء الشواب الاجنبيات مع الرجال الشبان آفة شديدة لا ترجى العصمة، سيما اذا كان الرجل شابا عزباً شارب الخمر والمرأة فاحشة محبوبة وهي تدور معه وتخدمه بمالها ونفسها. وقد عرفتَ حال داود عليه السلام أن نظراً واحداً الى الامرأة الاجنبية بلغه الى ما بلغ مع انه كان كثير الأزواج وجاوز الخمسين. وكذا قد عرفت حال سليمان عليه السلان أن النساء قد أزلن عقله وجعلناه مرتداً وثنياً في شيخوخته بعدما كان نبياً صالحاً في شبابه، ولما حصل له التجربة الكاملة من حال أبيه وأمه ومن حال أخيه وأخته أمنون وثامار ومن حال أسلافه مثل روبيل ويهودا، سيما من حال نفسه، شدد في هذا الباب تشديداً بليغاً في سفر الأمثال. فقال في الباب الخامس : « لا تُصْغِ الى مكر الامرأة ٧ لان شفتي الامرأة الأجنبية تسكبان عسلاً، وحنجرتها ألطف من الدهن ٤ ثم عاقبتها مرة كالعلقم ومرهفة كسيف

ذي فمين ٥ رجلاها تنحدران الى الموت وخطوتها تنفذ الى الجحيم ٦ لا تسلك أنت سبيل الحيات، لأن طرقها ضالة لا تدرك ٧ والآن يا ابني اسمع مني ولا تبعد عن أقوال فمي، اجعل طريقك منها بعيدا، ولا تدْنُ الى أبواب منزلها ٢٠ لماذا تضلك يا ابني الامرأة الغريبة وتحاضنك أجنبية ». ثم قال في الباب السادس : « ٢٤ لنحفظك من امرأة رضية ومن لطافة لسان غريبة لا يشتهي قلبك جمالها ولا تقتنصك غمزاتها ٢٦ فان قيمة الزانية مقدارها خبزة واحدة، وامرأة الرجل تصطاد النفس الكريمة ٢٨ أيستطيع رجل أن يخفي في حجره نارا وما تحترق ثيابه ؟ ٢٨ أم يتمشى على جمر النار وما تحترق رجلاه ؟ ٢٩ هكذا من يدخل الى امرأة غريبة لا يتبرأ اذا لمسها ». ثم قال في الباب السابع : « ٢٤ فالآن يا ابني استمعني واصغ الى أقوال فمي ٢٥ لا تحنحن قلبك الى طرقها، ولا تضلن في مناهجها ٢٦ فانها قد طرحت كثيرين جرحى وهي قتلت كل قوي ٢٨ بيتها هو طرق الجحيم محدرة الى مطابق الموت ». ثم قال في الباب الثالث والعشرين : « ٣٣ عيناك تنظران الاجنبيات، وقلبك يتكلم بالملتويات ٣٤ وتكون كنائم في قلب البحر، وكمدبر راقد اذ تلفت الدفة ». وكذا اختلاط الامارد آفة، بل أخوف من اختلاط النساء وأشنع، كما شهد به المجربون. واذا عرفت هذا أقول ان عيسى عليه السلام لما كان شارب الخمر حتى كان معاصروه يقولون انه أكول شريب خمر، وكان شاباً عزباً، فاذا بلّت مريم قدميه بدموعها ولم تكفّ عن تقبيلهما منذ دخلت وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وكانت في هذا الوقت فاحشة مشهورة، فكيف نسي عيسى عليه السلام حال أسلافه يهودا وداود وسليمان عليهما السلام ؟ وكيف نسي أقوال سليمان عليه السلام ؟ وكيف لم يعلم أن قيمتها مقدار خبزة واحدة ؟ وان من لمسها لا يتبرأ ؟ كما لا يمكن أن يخفي رجل في حجره ناراً وما تحترق ثيابه، أو يمشي على جمر النار وما تحترق رجلاه، فكيف أجاز لها بهذه الأمور حتى اعترض عليه الفريسي ؟ وكيف يتصوّر أن هذه الأمور لم تكن من مقتضى الشهوات النفسانية ؟ وكيف غفر خطاياها وذنوبها على هذا الفعل ؟ أهذه الأمور هي اللائقة لذات الله العادل المقدس ؟ ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وقد

كانت وقتئذ بغياً مباحة، فهل يليق الآن بأحد مطارنة النصارى، اذا كان ضيفا في بيت أحد معارفه، أن يأذن لقحبة فاحشة في أن تغسل رجليه بمحضر ملأ من الناس من غير أن تبدي أمارة التوبة من قبل لا سراً ولا جهراً ؟ » انتهى كلامه. وكان يحب مريم، ويدور هو واثنا عشر تلاميذه ومعهم نساء كثيرة يخدمنه من أموالهن، فكيف يتصوّر أنه لم تزل أقدامهم مع هذه المخالطة الشديدة ؟ كما زل قدم روبيل حتى زنى بزوجة أبيه، وقدم يهودا حتى زنى بكنته، وقدم داود عليه السلام حتى زنى بامرأة أوريا، وقدم أمنون حتى زنى باخته. ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وأغرب منه ما ذكره لوقا من أن عيسى وتلاميذه كانوا يجولون في القرى ومعهم نساء، منهم مريم هذه التي كان أمرها مشهورا بالفجور والزنا. وأنت خبير بأنه لا يتأتى لكل واحد في البلاد الشرقية، وخصوصا في القرى، أن يبيت وحده في محل مخصوص. فلا بدّ أن هؤلاء الأولياء كانوا يبيتون مع تلك الوليات معا ». انتهى كلامه بلفظه. واحتمال مزلة أقدام الحواريين أقوى، لأنهم ما كانوا كاملين في الايمان قبل صعود المسيح عليه السلام، على ما أقرّ علماؤهم. فلا يُظنُّ في حقهم العصمة من الزنا. ألا ترى أن الأساقفة والشمامسة من فرقة كاتلك لا يتزوّجون، ويدعون أن هذا الأمر من العفاف، ويفعلون ما لا يفعله الفاسق الغني من أهل الدنيا، كأن كنائسهم بيوت الفاحشات الزانيات ؟ في الصفحة ١٤٤ و١٤٥ من كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية هكذا القديس برنردوس يقول ــ وعظ عدد ٦٦ في نشيد الأنشاد ــ : نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم والمضجع الذي هو بلا دنس فملؤها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس. والفاروس بيلاجيوس أسقف سلفا في بلاد البورتكال سنة ١٣٠٠ يقول : يا ليت ان الاكليروسيين لم يكونوا نذروا العفة، ولا سيما اكليروس سبانيا، لأن أبناء الرعية هناك أكثر عدداً بيسير من أبناء الكهنوت. ويوحنا أسقف سالتزبرج في الجيل الخامس عشر كتب أنه وجد قسوسا قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وان أديرة الراهبات متدنسة مثل البيوت المخصوصة للزنا ». انتهى كلامه بلفظه ملخصاً. وشهادة قدمائهم هذه تكفي في حق عصمة هؤلاء القسوس التي ادعوها. فلا حاجة

الى أن أزيد على هذه، بل أترك ذكرهم، وأقول : مثلهم حال فقراء مشركي الهند الذين يدعون العصمة ويفهمون الزواج أنه أشدّ المعائب لفقرهم وطريقتهم، وهم أفجر الناس وأفسقهم، لا يحصل للأمراء الفساق ما يحصل لهم. وتذكرت حكاية أن بعض المسافرين لما وصل الى قرية من قرى الهند رأى جارية كاعبة تجيء من القرية. فسألها : يا بنت أنت من بنات القرية أم من كناتها ؟ فأجابت هذه اللاكعة : أيها السائل أني من بنات القرية لكني أفضل من كناتها في قضاء الشهوة يحصل لي ما لم يحصل لأحداهن في الرؤيا والمنام. فهؤلاء المجردون ذوو حظ جسيم من المتزوّجين، فعند المنكرين كان عيسى عليه السلام مستغنياً عن الزواج مطلقاً، وكان تلاميذه مستغنين إما عن الزواج مطلقا أو عن كثرة الأزواج مثل حضرات الشمامسة والقسوس من فرقة كاتلك،ومثل فقراء مشركي الهند، وكذا محبة عيسى عليه السلام لتلميذه محل تهمة عند الذين ابتلوا بهذا الفحش القبيح. ولذلك قال الألمعي السابق ذكره على قول الانجيلي الرابع، أعني فاتكأ ذاك على صدر يسوع، هكذا : « كالمرأة التي تحاول شيئاً من عاشقها فتتغنج له ». انتهى كلامه بلفظه. واعلمْ أني ما كتبتُ في هذا الأمر الخامس كتبته الزاماً وإلا فاني أتبرأ من أمثال هذه التقديرات، ولا أعتقد أمرا منها في حق عيسى عليه السلام ولا في حق حواريه الأمجاد، كما صرحت في مقدمة الكتاب ومواضع متعددة.

الأمر السادس : في الجلالين في سورة التحريم هكذا : « من الايمان تحريم الأمة ». انتهى. فقول النبي ﷺ حرمت مارية على نفسي يمين بهذا المعنى.

الأمر السابع : اذا قال النبي لا أفعل هذا الأمر ثم فعل لأجل انه كان جائزا من الأصل أو جاء اليه حكم الله، لا يقال انه أذنب. بل في الصورة الثانية لو لم يفعل يكون عاصياً البتة. وعندهم يوجد مثله في حق الله في كتب العهد العتيق فضلا عن الأنبياء، كما عرفتَ بما لا مزيد عليه في أمثلة القسم الثاني من الباب الثالث، وفي جواب الشبهة الخامسة من الفصل الرابع من

الباب الخامس. ويوجد في العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام في الباب الخامس عشر من انجيل متى أن امرأة كنعانية استغاثت لأجل شفاء بنتها فأبى عيسى عليه السلام، فأجابت جوابا حسنا استحسنه عيسى عليه السلام ودعا لابنتها فشفيت. وفي الباب الثاني من انجيل يوحنا أن أم عيسى عليه السلام استدعت منه في عرس قانا الجليلي أن يحول الماء خمرا، وقال ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي، ثم حوّله.

الأمر الثامن : لا بأس بأن يُخصَّص أولياء الله بخصائص. ألا ترى أن هرون وأولاده كانوا مخصصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها، وما كانت هذه الأمور جائزة لبني لاوي الآخرين فضلا عن غيرهم من بني اسرائيل. واذا عرفت الأمور الثمانية ظهر لك جواب مطعنهم بالوجوه الخمسة. لكني أتعجب كل العجب من هؤلاء المعاندين انهم لو رأوا في شريعة الغير أمراً لا يكون حسناً في آرائهم يقولون ان هذا الأمر لا يجوز أن يكون من جانب الله المقدس الحكيم العادل، أو يقولون ان هذا ليس لائق بمنصب النبوّة. ولو وجد أمر أشنع منه في شرائعهم يكون من جانب الله، أو لائقا بمنصب النبوّة. فأمر الله لحزقيال عليه السلام أن يحمل إثم آل اسرائيل وآل يهوذا على نفسه، وان يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوماً خبزاً ملطخاً ببراز الانسان، وكذا أمر الله لأشعيا عليه السلام أن يمشي مكشوف العورة الغليظة وعرياناً بين النساء والرجال الى ثلاث سنين مع كونه في قيد العقل، وكذا أمره لهوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا وأن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبة لزوجها، يكون كلها عندهم أموراً من جانب الله الحكيم المقدس ولائقاً بمناصب هؤلاء الأنبياء المقدسين. واجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها لا يمكن أن يكون من جانب الله ولا يكون لائقاً بمنصب نبوّة محمد ﷺ. وكذا لا يسقط عن درجة النبوّة يعقوب عليه السلام، الذي هو ابن الله البكر بنص التوراة، بسبب ان تعشق راحيل وخدم أباها أربع عشرة سنة، وأخذ أربع زوجات، وجمع بين الاختين. وكذا لا يسقط عنها داود ابن الله البكر الآخر بنص الزبور بسبب أن أخذ نساء كثيرة وجواري كثيرة قبل أن يزني بامرأة أوريا، بل تكون هذه النساء كلها بهبة الله

ورضاه، ويكون داود عليه السلام قابلا لأن يقول الله في حقه فاذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول فازيدُ مثلهن، ولا يصدر العتاب عليه على تكثير النساء بل على أنه زنى بامرأة الغير وقتل ذلك الغير بالحيلة وأخذ تلك الامرأة. وكذا لا يسقط عنها سليمان عليه السلام، الذي هو ابن الله بشهادة كتبهم المقدسة، بسبب أن أخذ ألف امرأة من الزوجات والجواري وارتد في آخر عمره وعبد الأصنام، بل يبقى مسلَّم النبوّة، ويكون كتبه الثلاثة ـــ أعني الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد ـــ كتباً الهية. وكذا لا يسقط لوط عنها بسبب الزنا بابنتيه. وكذا لا يسقط عنها ابن الله الوحيد وحواريه الامجاد بسبب حب الفاحشة وبعض التلاميذ والجولان مع النساء في قرى البلاد الشرقية، بل لا يتهمون أيضا بشيء مع هذه المخالطة الشديدة وكونهم شاربي الخمر وشبانا. ويسقط محمد ﷺ عن درجة النبوة بكثرة الازواج ونكاح زينب وتحليل جاريته بعد تحريمها. لعل منشأ هذه الأمور أن الله، لما كان واحداً حقيقياً لا تكثر في ذاته بوجه من الوجوه عند أهل الاسلام، فذاته المقدسة لا تسع امرأً غير مناسب. وعندهم لما كان ذاته مشتملة على الأقانيم الثلاثة المتصف كل منهم بصفات الالوهيةكلها، الممتاز كلٌّ منهم عن الآخر امتيازاً حقيقياً، تسع أمراً غير مناسب. لأن الامتياز الحقيقي لا يمكن أن يفارق التعدد بل يستلزمه البتة، وإن لم يقروا بحسب الظاهرية، كما عرفتَ في الباب الرابع. والثلاثة أكثر من الواحد فلعل الههم في زعمهم أقوى من اله المسلمين. وكذلك لما لم تكن العصمة من ذنب من الذنوب حتى الشرك وعبادة العجل والأصنام والزنا والسرق والكذب حتى في تبليغ الوحي وغيرها من المعاصي شرطاً للنبوّة عندهم، كانت ساحة النبوّة عندهم أوسع من ساحتها عند المسلمين. أو لعل منشأها ان يعقوب وداود وسليمان وعيسى، لما كانوا أبناء الله، فلهم أن يفعلوا في مملكة أبيهم ما يشاؤن. بخلاف محمد ﷺ فانه، لما كان عبدالله بن عبدالله، لا يجوز له أن يفعل في مملكة مالكه وسيده ما يشاء. نعوذ بالله من التعصب الباطل والاعتساف ومن المكابرة وعدم الانصاف.

المطعن الرابع : أن محمدا ﷺ كان مذنباً، وكل مذنب لا يصح أن

يكون شافعاً للمذنبين الآخرين. أما الصغرى فَلِمَا وقع في سورة المؤمن : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْأَبْكَارِ ﴾(١)، وفي سورة محمد : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٢)، وفي سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٣)، وفي الحديث : « فاغفرْ لي ما قدمتُ وما أخرت، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنتَ ». ونحوه مما وقع في الأحاديث الأخرى.

والجواب : أن الصغرى والكبرى كلتاهما غير صحيحتين، فالنتيجة كاذبة يقيناً. وأنا أمهد لتوضيح بطلانهما أموراً خمسة :

الأمر الأول : أن الله رب وخالق، والخلق كله مربوب ومخلوق. فكل ما صدر عن حضرة الرب الخالق في حق العبد المربوب المخلوق من الخطاب والعتاب والاستعلاء فهو في محله ومقتضى المالكية والخالقية. وكذا كل ما يصدر عن العباد من الادعية والتضرعات اليه فهو في موقعه ايضا ومقتضى المخلوقية والعبودية. والأنبياء عباد الله المخلصون، فهم أحق من غيرهم. والحمل على المعنى الحقيقي في كل موضع من أمثال هذه المواضع في كلام الله وفي أدعية الأنبياء وتضرعاتهم خطأ وضلال. وشواهده كثيرة في كتب العهدين سيما الزبور. وأنا أنقل على سبيل الانموذج بعضا منها. /١/ في الباب العاشر من انجيل مرقس، والثامن عشر من انجيل لوقا هكذا : « ١٧ وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ ١٨ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ». انتهى بعبارة مرقس. فاقر عيسى عليه السلام

(١) سورة غافر (٥٥).
(٢) سورة محمد (١٩).
(٣) سورة الفتح (١ ــ ٢).

بأني لست صالحا ولا صالح إلا الله وحده. /٢/ في الزبور الثاني والعشرين هكذا : « ١ الهي، الهي، انظر، لماذا تركتني ؟ تباعد عني خلاصي بكلام جهلي ٢ الهي، بالنهار أدعوك. فلم تستجب لي. وبالليل، فلم تحفل بي ». ولما كان آيات هذا الزبور راجعة الى عيسى عليه السلام على زعم أهل التثليث فكان القائل بها عندهم هو عيسى عليه السلام. /٣/ الآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي، لما شبقتني ؟ أي الهي الهي، لماذا تركتني ؟». /٤/ في الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « ٤ كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ٥ وخرج اليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم ٩ وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن ». وكانت هذه المعمودية معمودية التوبة بمغفرة الخطايا، كما صرح مرقس في الآية الرابعة والخامسة. والآية الثالثة من الباب الثالث من انجيل لوقا هكذا : « فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ». وفي الآية الحادية عشر من الباب الثالث من انجيل متى هكذا : « أنا أعمدكم بماء للتوبة ». الخ وفي الآية الرابعة والعشرين من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال هكذا : « اذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل ». والآية الرابعة من الباب التاسع عشر من كتاب الأعمال هكذا : « فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة ». الخ. فهذه الآيات كلها تدل على أن هذه المعمودية كانت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا فمتى سلم اعتماد عيسى من يحيى عليهما السلام لزم تسليم اعترافه بالخطايا والتوبة منهما أيضا، لأن حقيقة هذا الاعتماد ليست غير ذاك. وفي الباب السادس من انجيل متى في الصلاة التي علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « واغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر أيضا للمذنبين الينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير ». والظاهر أن عيسى عليه السلام كان يصلي تلك الصلاة التي علمها تلاميذه، ولم يثبت من موضع من مواضع الانجيل أنه ما كان يصلي هذه الصلاة. وستعرف في الأمر الثاني

أنه كان كثير الصلاة، فلزم أن يكون دعاؤه باغفر لنا ذنوبنا مرات كثيرة بلغت الآلاف. والعصمة من الذنوب، وإن لم تكن من شروط النبوّة عند أهل التثليث، لكنهم يدعونها في حق عيسى عليه السلام باعتبار الناسوت أيضا، وكان عيسى عليه السلام بهذا الاعتبار أيضا عندهم صالحاً ومقبولا لله لا متروكاً. فهذه الجمل (١) لماذا تدعوني صالحا الخ (٢) الهي الهي لماذا تركتني ؟ (٣) تباعد عني خلاصي بكلام جهلي. (٤) بالنهار أدعوك فلم تستجب لي. (٥) ألفاظ التوبة والاعتراف بالخطايا عند الاعتماد. (٦) اغفر لنا ذنوبنا، لا تكون محمولة على المعاني الحقيقية الظاهرية عند أهل التثليث، وإلا يلزم أنه لم يكن صالحا وكان متروكاً لله بعيدا عن الخلاص بسبب كلام الجهل غير مستجاب الدعاء، خاطئاً مذنباً، فلا بدّ أن يقال ان هذه التضرعات بمقتضى المخلوقية والمربوبية باعتبار الناسوت. وفي الزبور الثالث والخمسين هكذا : « ٣ الرب من السماء اطلع على بني البشر لينظر هل من يفهم أو يطلب الله ؟ ٤ كلهم قد زاغوا جميعا والتطخوا، وليس مَنْ يعمل صلاحاً حتى ولا أحد ». وفي الباب التاسع والخمسين من كتاب اشعيا هكذا : « ٩ فلذلك تباعد الحكم عنا ولا يدركنا العدل انتظرنا النور فيها الظلام انتظرنا الشعاع، فها سِرْنا في الظلمة ١٢ من أجل أن آثامنا تكاثرت قدامك وخطايانا أجابتنا، لأن فجورنا معنا وآثامنا عرفناها ١٣ ان نخطىء ونكذب على الرب، واندبرنا الى خلف حتى ان لا نسلك وراء الهنا لنتكلم بالظلم والتعدي حبلنا وتكلمنا من القلب بكلام كاذب ». وفي الباب الرابع والستين من كتاب اشعيا هكذا : « ٦ وصرنا جميعنا كالنجس وكخرقة الحائض كل براتنا وسقطنا مثل الورق نحن جميعنا، وآثامنا كالريح ذرونا ٧ ليس من يدعو باسمك ومن يقوم ويمسكك، أخفيت وجهك عنا وأطرحتنا بيد اثمنا ». ولا شك أن كثيراً من الصلحاء كانوا موجودين في زمان داود عليه السلام مثل ناثان النبي وغيره. ولو فرضنا أنهم لم يكونوا معصومين، على زعم أهل التثليث، فلا ريب أنهم لم يكونوا مصداق الآية الرابعة من الزبور المذكور أيضا. ووقعت في عبارتي اشعيا عليه السلام صيغ التكلم مع الغير، واشعيا وغيره من أنبياء عهده وصلحاء زمانه وإن لم يكونوا معصومين لكنهم لم يكونوا مصاديق الأوصاف

المصرحة في العبارتين قطعا أيضا. فلا تكون عبارة الزبور وهاتان العبارتان محمولات على معانيها الحقيقية الظاهرية، بل لا بدّ فيها من الرجوع الى أن تلك التضرعات بمقتضى العبودية. وكذا وقع في الباب التاسع من كتاب دانيال، والباب الثالث والخامس من مراثي ارمياء، والباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس.

الأمر الثاني : ان أفعال الأنبياء كثيرا ما تكون لتعليم الأمة لتستن بهم ولا يكونون محتاجين الى هذه الأفعال لأجل أنفسهم. في الباب الرابع من انجيل متى أن عيسى عليه السلام صام أربعين نهاراً أو أربعين ليلة. والآية الخامسة والثلاثـون من الباب الأول من انجيل مرقس هكذا : « وفي الصبح باكرا جدا قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك ». والآية السادسة عشر من الباب الخامس من انجيل لوقا هكذا : « وفي تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله ». ولما كان اتحاد المسيح بذات الله على زعم أهل التثليث، فلا حاجة له الى هذه التكاليف الشديدة. فلا بدّ أن تكون هذه الأفعال لأجل التعليم.

الأمر الثالث : إن الألفاظ المستعملة في الكتب الشرعية مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وغيرها يجب أن تحمل على معانيها الشرعية ما لم يمنع عنها مانع. ولفظ الذنب في هذا الاصطلاح الشرعي اذا استعمل في حق الأنبياء يكون بمعنى الزلة، وهي عبارة عن أن يقصد معصوم عبادةً، أو أمراً مباحاً ويقع بلا قصد وشعور في ذنب لمجاورة هذه العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب، كما أن السالك يكون قصده قطع الطريق، لكنه قد يزل قدمه أو يعثر بسبب طين أو حجر واقع في ذلك الطريق، أو يكون بمعنى ترك الأولى.

الأمر الرابع : إن وقوع المجاز في كلام الله وكلام أنبيائه كثير، كما عرفت بما لا مزيد عليه في مقدمة الباب الرابع. وقد عرفت أيضا في جواب الشبهة الرابعة من الفصل الرابع من الباب الخامس أن حذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة.

الأمر الخامس : إن الدعاء قد يكون المقصود به محض التعبد، كما في قوله تعالى ﴿**ربَّنا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا على رُسُلِكَ**﴾ فان ايتاء ذلكَ الشيء واجب، ومع ذلك أمرنا بطلبه. وكقوله تعالى ﴿ **رَبِّ آحْكُمْ بِآلْحَقِّ** ﴾[1] مع أنا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق.

واذا عرفت الأمور الخمسة أقول : ان الاستغفار طلب الغفران والغفران الستر على القبيح، وهذا الستر يتصوّر على وجهين : **الأول** بالعصمة منه، لأن من عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى. **والثاني** بالستر بعد الوجود. فالغفران في الآيتين الأوليين بالوجه الأول في حق النبي ﷺ، وفي الثانية بالوجه الثاني في حق المؤمنين والمؤمنات. قال الإمام الهمام الفخر الرازي قدس سره في ذيل تفسير الآية الثانية هكذا : « وفي هذه الآية لطيفة وهي أن النبي ﷺ له أحوال ثلاثة : حال مع الله، وحال مع نفسه، وحال مع غيره. فأما مع الله فوحده، وأما مع نفسه فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله، واما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله ». انتهى كلامه بلفظه. أو أن المقصود من الأمر بالاستغفار في الآيتين محض التعبد، كما في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ** ﴾[2] وكقوله : ﴿ **رَبِّ احْكُمْ بِآلْحَــقِّ**﴾ ، كما عرفت في الأمر الخامس، أو أن المقصود من هذا الأمر أن يكون الاستغفار مسنوناً في أمته. فاستغفاره ﷺ كان لتعليم الأمة. في الجلالين ذيل تفسير الآية الثانية هكذا : « قيل له ذلك مع عصمته ليستن به أمته ». انتهى. أو ان المضاف في الآيتين محذوف، والتقدير في الآية الأولى : « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنب أمتك » الآية. وفي الآية الثانية : « فاعلم أنه لا إله إلا الله، واستغفر لذنب أهل بيتك ولذنب المؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من أهل بيتك، فلا بعد في ذكر المؤمنين والمؤمنات ». وقد عرفت في الأمر الرابع أن حذف المضاف كثير شائع في

---

(١) سورة الأنبياء (١١٢).

(٢) سورة آل عمران (١٩٤).

كتبهم، أو أن المراد بالذنب في الآيتين الزلة أو ترك الأفضل. وسمعت من الأحباء أن بعض من بلغ سن الخرافة من علماء پروتستنت اعترض على هذا التوجيه في بعض تأليفه الجديد، وقال : « فرضنا أنه ما ظهر من محمد ﷺ ذنب من الذنوب غير ترك الأولى، فترك الأولى أيضا ذنب على ما يحكم به كلام الله أعني التوراة والانجيل، فيكون محمد ﷺ مذنبا قال يعقوب في الآية السابعة عشر من الباب الرابع من رسالته هكذا : « فمن يعرف ان يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطيئة له ». انتهى. أقول : هذا منشؤه خرافة السن لأنه لا شك أن تَرْكَ شُرْبِ الخمر حَسَنٌ حتى مدح الله يحيى عليه السلام على هذا، وقال الأنبياء في حقها ما قالوا، وكذا لا شك أن عدم الاذن لفاحشة مباحة بغي في غسل الرجلين ومسحهما بشعر رأسها بمحضر ملا من الناس حَسَنٌ، وكذا ترك المخالطة الشديدة بالنساء الأجنبيات الشواب والجولان معهن في القرى الشرقية حسن، سيما اذا كان الرجل المخالط شاباً عزباً. وما فعل هذه الأمور الحسنة عيسى عليه السلام، حتى أن المخالفين طعنوا عليه، كما عرفتَ في جواب المطعن الثالث. فيلزم على رأيه أن يكون الهه أيضا مذنباً. على أن هذا المعترض زاد لفظ التوراة لأجل تغليط العوام، ولا يوجد هذا الحكم في التوراة. وهو ما أورد سنداً لهذا إلا من رسالة يعقوب التي ليست الهامية على تحقيق العلماء الاعلام من فرقة پروتستنت، سيما على تحقيق أمامه ومقتداه لوطر، كما عرفتَ في الفصل الرابع من الباب الأول. فكلام يعقوب على هؤلاء العلماء ليس بحجة. فاعتراضه واه بلا شبهة. وأما الآية الثالثة فالمضاف محذوف، أو المراد بالذنب ترك الأفضل، أو المراد بالغفران العصمة. وقال الإمام السبكي وابن عطية ان المقصود من هذه الآية ليس اثبات وصدور ذنب وغفرانه، بل المقصود منها تعظيم رسول الله ﷺ واكرامه فقط. لأن الله أظهر تعظيمه واحسانه في أول هذه السورة، فبشر أولا بالفتح المبين، ثم جعل غاية هذا الفتح الغفران واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم واعطاء النصر العزيز. فلو فرض صدور ذنب ما يكون مخلًا لبلاغة الكلام، فمقتضاها التكريم والتعظيم. كما أن السيد اذا رضي عن خادمه يقول تارة لإكرامه وإظهار رضاه، عفوت عنك خطيآتك المتقدمة والمتأخرة ولا

أؤاخذك عليها، وإن لم يصدر عن هذا الخادم خطيئات. وأما الدعاء المذكور في الحديث فتوجيهه أن رسول الله ﷺ، لما كان أرفع الخلق عند الله درجة وأتمهم به معرفة، وكان حاله عند خلوص قلبه عن ملاحظة غير ربه اقباله بكليته عليه ارفع حاليه بالنسبة الى غير ذلك، كان يرى شغله بما سواه، وإن كان ضرورياً، نقصاً وانحطاطاً من رفيع كماله. فكان يستغفر الله من ذلك طلباً للمقام الاعلى. فكان هذا الشغل الضروري أيضا عنده بمنزلة الذنب الذي لا بدّ أن يستغفر عنه بالنسبة الى أعلى حاله أو كان صدور مثل هذا الدعاء بمقتضى العبودية كما أن عيسى عليه السلام بمقتضى العبودية نفى الصلاح عن نفسه واعترف بالخطايا عند الاعتماد، ودعا مراراً باغفر لنا ذنوبنا وتفوه بهذه الجمل : الهي الهي لماذا تركتني — وتباعد عني خلاصي بكلام جهلي — الهي بالنهار أدعوك فلم تستجب لي. أوكان هذا الدعاء لأجل التعبد المحض، كما عرفت في الأمر الخامس. أو كان لأجل تعليم الأمة. أو أن الذنب المذكور فيها بمعنى الزلة وترك الأولى، كما عرفت في الأمر الثالث. وعلى كل تقدير لا يرد شيء. وهذه التوجيهات الخمسة تجري كلها أو بعضها في الأحاديث التي تكون مثل الحديث المذكور. واذا لم يثبت من الآيات والأحاديث المذكورة التي استدل بها المعترض كون محمد ﷺ مذنباً ثبت كذب الصغرى. واما كذب الكبرى فلأن كليتها ممنوعة، لأنها اما أن يثبتها المعترض بعندية أهل التثليث أو بالبرهان العقلي أو بالبرهان النقلي. فان كان الأول فعنديتهم هذه لا تتم علينا، كما لا تتمّ أكثر عندياتهم، على ما عرفت في الفصل الثاني من الباب الخامس. وان كان الثاني فعليهم بيان ذلك البرهان. وعلينا النظر في مقدماته وأنى لهم ذلك. ولا استبعاد في أن يغفر الله ذنوب واحد بلا واسطة ثم يقبل شفاعته في حق الآخرين. على أن قبح الذنب عقلاً ما لم يغفر، فاذا غفر لا يبقى قبحه لوجه ما.وقد يوجد التصريح في الآية الثالثة التي نقلوها بزعمهم الفاسد لاثبات الذنب بأن قال « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ». فان صارت ذنوب محمد ﷺ متقدمة كانت أو متأخرة مغفورة في هذه الدار الدنيا فما بقي شيء مانع في أن يكون شفيعاً للآخرين في الدار الأخرى. وإن كان الثالث فغلط يقيناً ألا ترى أن بني

اسرائيل لما عبدوا العجل أراد الله أن يهلك الكل فشفع موسى عليه السلام لهم، فقبل الله شفاعته وما أهلك، كما هو مُصرح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج. ثم قال الرب لموسى : اذهب أنت وبنو اسرائيل الى أرض كنعان وأنا لا أذهب معكم، فشفع موسى، فقبل الله شفاعته، وقال أنا أذهب معك، كما هو مُصرح به في الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج. ثم لما عصوا أراد الله مرة أخرى أن يهلكهم فشفع موسى وهرون عليهما السلام، فقبل الله شفاعتهما. ثم لما عصوا مرة أخرى أرسل الله عليهم حيات تلدغهم فجاؤا الى موسى مستشفعين، فشفع لهم، فقبل الله شفاعته، كما هو مُصرح به في الباب السادس عشر والباب الحادي والعشرين من سفر العدل. فلا استحالة عقلاً ولا نقلاً في كون محمد ﷺ شفيع المذنبين. اللهم ابعثه مقاما محمودا الذي وعدته وارزقنا شفاعته يوم القيامة. وليكن هذا آخر الباب.

وقد ابتدأت في تأليف هذا الكتاب في اليوم السادس عشر من شهر رجب المنسلك في سنة ألف ومائتين وثمانين من هجرة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وفرغت منه في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة والحمد لله رب العالمين وصار تاريخ ختمه (تأييد الحق برحمة الله ١٢٨٠) فاعوذ بالله من الحاسد الذي لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما، ولا ينال عند النزع إلا شدَّة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا. وأفوض أمري الى اللطيف الخبير انه نعم المولى ونعم النصير. وأقول متضرعا ومترجيا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

هذه فقرات حسبت فكانت كل واحدة منها تاريخ انتهاء تأليف الكتاب أيضا.

١٢٨٠ رحمة الله له كتاب حق

١٢٨٠ هو كشمس الضحى

١٢٨٠ فيض القدير الوهاب

١٢٨٠ هو برهان أعظم

حمدا لمن لم يتخذ ولدا ولم يكن له في ملكه شريك أبداً، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأيده بمحكم كتاب أعجز البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله، وصلاة وسلاما على هذا النبي الأصيل والسيد النبيل المبشر به في التوراة والانجيل سيدنا محمد وآله وصحبه الهادين الى سواء السبيل الدامغين لجيشات الاباطيل. وبعد، فقد تمّ طبع هذا الكتاب الجليل عديم النظير والمثيل، المنبىء بتحقيقاته عن معالم اليقين والصدق الحقيق بتسميته باظهار الحق تأليف مولانا المحقق انسان عين كل انسان الأستاذ رحمة الله الهندي ابن خليل الرحمن فلله دره، لقد أودع فيه مباحث المسائل الخمس المتنازع فيها بين المسيحيين والمسلمين، أعني النسخ والتحريف والتثليث وحقية القرآن ونبوّة سيد المرسلين ولعمري أنه لكتاب نفيس من منن علام الغيوب حقيق بأن يكتب بالتبر على صفحات القلوب معتمد في تصحيحه على نسخ محررة معوّل عليها. وبذا يكون المرجع لدى أهل الحق اليها ولتمام النفع بهذا الكتاب وليحظى منه بكثير الفوائد الأذكياء الانجاب، تحلت طرره بأربع رسائل تقر بمطالعتهم العيون، وتنفي الغواية عن كل قلب مفتون، احداها للشيخ رفاعي الخولي وهي مكتوبة بلسان أردو للسيد عبدالله الهندي، والثانية لصاحب اظهار الحق وهي خلاصة الترجيح للدين الصحيح، والرابعة مختصر الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية وكلاهما للاسناد الطيبي. وذلك على ذمة ملتزمة الماجد النبيه حضرة السيد محمد عبد الواحد بك الضوبي وأخيه نظر الله اليهما بعين عنايته وكلاهما بحفظه ورعايته. وكان هذا الطبع الفائق وتمثيل هذا الشكل الرائق بالمطبعة العامرة العلمية الثابت محل ادارتها بشارع الصنادقية أمام الأزهر الشريف والمعبد الأنور المنيف ادارة المتوسلين بسيد النبيين، حضرة السيد عمر هاشم وأخيه السيد محمد هاشم الكتبيين وذلك في أواخر شهر رجب الحرام من عام ١٣١٦ من هجرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وأصحابه الكرام ما تعاقبت الليالي والأيام آمين.

فهرس

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني

في ابطال التثليث بأقوال المسيح ٥

الفصل الثالث

في إبطال الوهية المسيح ١٥

الباب الخامس

الفصل الاول

القرآن كلام الله ٣١

الفصل الثاني

رفع شبهات القسيسين على القرآن ٥٩

الفصل الثالث

صحة الاحاديث النبوية ٩٠

الفصل الرابع

دفع شبهات القسيسين على الاحاديث ١٠٩

الموضوع	الصفحة
الباب السادس	
الفصل الاول	
اثبات نبوة محمد	١٥١
الاخبارات الواقعة في حق محمد	٢٠٣
في ان الفارقليط هو محمد	٢٤٠
بطلان ادعاءات شبهات الپروتستنت	٢٤٤
الفصل الثاني	
في دفع المطاعن	٢٥٣
القسم الأول: ما ذكر من ذنوب انبيائهم لم يقدح في نبوتهم	٢٥٤
القسم الثاني: الرد على مطاعن القساوسة	٢٧٩